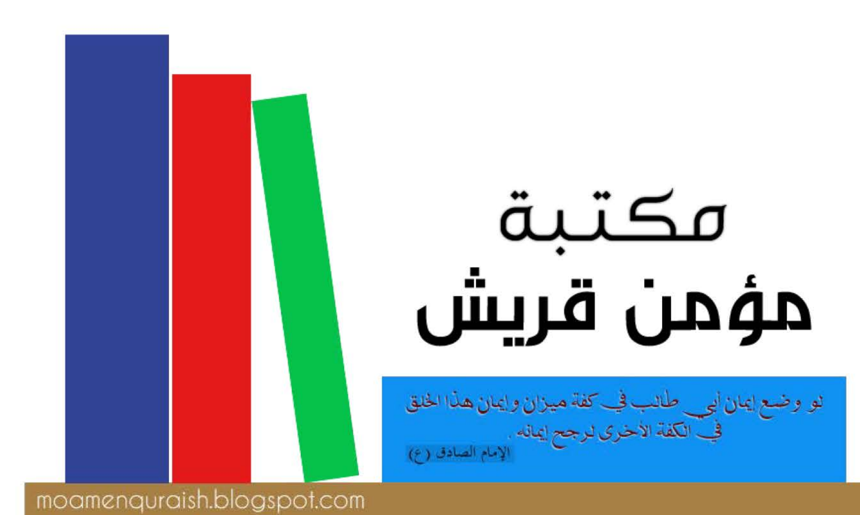
أسوة العاملين

في رحاب
الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصّدر
والشهيدة بنت الهدى



السيّد فاضل النوري

العارف للمطبوعات


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أسوة العاملين



أسوة العاملين

في رحاب

الإمام الشهيد الصدر والشهيدة بنت الهدى

تأليف

السيد فاضل النوري

مؤسسة العارف للمطبوعات

اسم الكتاب: أُسوة العاملين
تأليـف: السيد فاضل النوري
القطـع : 17×24 سم
الصفحات : 340 صفحة

الطبعة الاولى
1429هـ - 2008 م

الناشر

مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت- لبنان
ص.ب: 106/24 برج البراجنة
TLF:00961 1 452077
00961 3 548403
العراق - النجف الاشرف / الميدان
TEL: 00964 33 370636
+ 07801327828

Url:www.alaref.net
Email:alaref@alaref.net

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

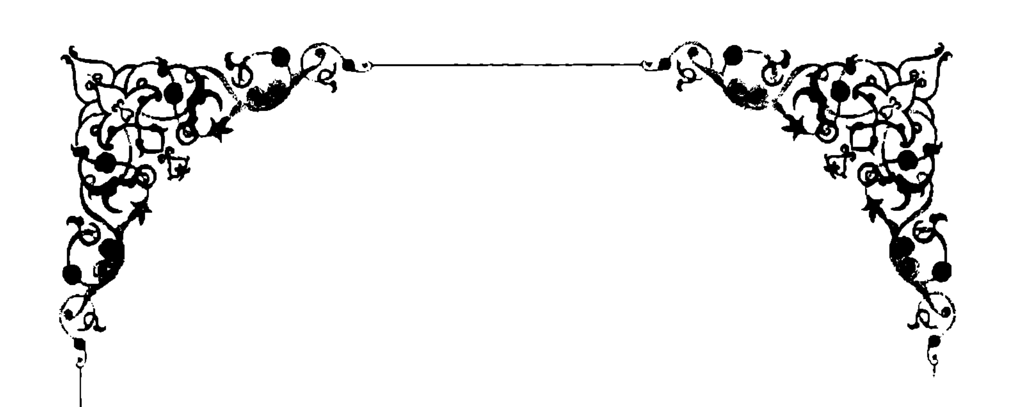
[الممتحنة: ٦]

الإهداء

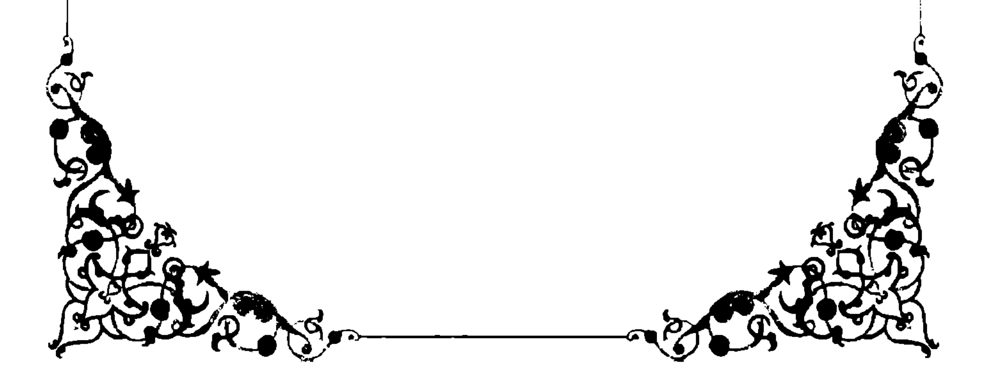
إلى الشامخ المتين الذي مَحَضَ الله براعة الصدق، فحباه خالصة التفرّد

إلى الظلامة الواصبة التي سكنت فورة القلوب والمآقي الى الأبد

إلى شهيد الحقِّ والحقيقة، وشاهد المسار



المقدمة



لقد برأ الله بحكمته أوتاد خلقه من مظاهر لطفه وتدبيره، أسباباً ظاهريّة في عالم العلل والمعلولات والسنن الطبيعيةّ؛ فالسماء المنداحة على الوئام تقيمها طاقات خفيّة كالجاذبيةّ، والأرض تصونها من المَيَدان والتناثر عرى الجبال، ووشائج الرواسي الواصلة، وأواصر عروقها الممتدةّ في أعماق البسيطة، تضمّ بعضها إلى بعض في حصن منيع من الحياطة الحنون.

والبشريةّ في مسارها العاقل المختار لم يحرمها ربُّها الودود ـ وهي تتقلّد وسام خلافته في معمورته ـ نصيبها الوافي من الأوتاد التي تستعصم بها في زلازل متاهاتها، وجعل القوى التي تذود عنها عادية الانهيار باطنةً مغروسةً في أعماقها بالعقول، وبادية جليّة بين ظهرانيها بالنبيّين والمرسلين وخلفائهم على منهج السداد والرشاد، وجعل في حرمات هؤلاء المقرّبين وأقدارهم ـ كما في حرمة الأوبة إليه بالتوبة النصوح ـ حجاباً مستوراً بينها وبين الصروف المبيرة والمَثُلات القاضية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وإذا كان الله قد قدّر لهداته من الرسل معاجز طبيعيّة خارقة تفحم أهل اللجاج وتقهر غلواء العناد، فقد أمرهم ـ لكرامة مسؤوليّتهم وبإلزام دورهم ـ أن يجعلوا تجارب سلوكهم معاجز فائقة تغلب في تأثيرها الممتدّ المقتحم الغلاب أسوار الجموح ومعاقل الصدود، وتضطرّ آياتها الباهرة خصومهم إلى الانحناء بإكبار وإعظام أمام جلال الحقيقة السامية التي جاء بها هؤلاء الذين سمعوها فعشقوها، وجسّدوها إذ اعتنقوها، وانطلقوا متيَّمين على درب الصبابة بها، يخوضون ميادين الصبر والمكابدة والمرارات، متناسين أنفسهم وذواتهم، كأنّهم ملائكة تترّهت عن الوسواس ومطالب الأجساد، ورغائب الدنيا، وأهواء النفوس التي ألهمها من سوّاها فجورها وتقواها.

من هنا انطلق دور الأسوة التي أمر الله عباده أن يتّخذوها ـ في خطى

المقرَّبين والأبرار والصالحين ـ منارتهم على الطريق، تعمِّق الإيمان في أفئدتهم، وتدلّهم مواضع الأقدام في المتابعة الحقّ، وتشحذ الهمم بحسن الانبهار أمام الأثر القهّار لسلطة الإعجاز السلوكي الباهر:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

وكما كان للعقيدة خارق العادة يقطع عنق الملاددة، ويتمّ به إعذار الله وإنذاره وبلاغه، لا بدّ أن يكون لها خارق العادة من سلوك هداتها وحماتها، يعزّها بالحب والإكرام، ويحميها من مضلاّت الاستخفاف والتضييع، ويعطيها بُعْد القداسة والعلقة الربانيّة، وسجيّة الإعظام في ذرى العشق والهيام.

ولقد كان الصدر (رضوان الله عليه) على منهج الصادقين العظام في موكب القادة النازهين، الذين اختصّهم الله بكرامة المسؤوليّة الكبرى بعد أن محصّهم بالبلاء، وضرّسهم بالنوازل، وفتنهم بالمحن، وابتلاهم بالكلمات، فجعلهم بعد إتمامها أئمّة عباده، وقادة بريّته، وعرى الاستمساك لمن حباهم بخلافته.

وكانت في الصدر أبهى معالم القيادة الربانيّة، الجديرة بأن تستعيد بالمماثلة الفذّة روعة ذلك الشموخ الفارد، الذي طفح في تلك الأدوار العليّة للسير البهيّة، التي صاغها النبيّون والربّيّون عقوداً لا نظير لها، تزيّن جيد الحياة بحسنها وبهائها.

ولقد كان الصدر ذلك المجدِّد البارع الذي أحيى تلك الفصول السماويّة التي قُدّت من كبد العلياء، فأبصر الناس من خلاله في مضمار استباقه ما اضطمّت عليه أحشاء التاريخ من بدائع المجد الإنساني، التي باهى الله بها ملائكته، وحباها قربه وتكرمته، ولولا الصدر وأمثاله، لبقيت تلك المقاطع الاستثنائيّة تصوّرات بلا مثال شاخص يقرّبها، فتحار في تبيان أمجادها، ولظلّت أمثلة ذهنيّة لا تمنحها أيدي المستلهمين المبدعين بواقع

الممارسة حقيقة أبعادها، حتّى يهبّ عملاق الفنّ السلوكي الرافع يبوّئ لها مكانها، ويرفع قواعدها وأركانها، ويهبها ملامحها وألوانها.

إنّ الفهم الممتاز بالتفرّد والأصالة، والعلم المتوحِّد بالشمول والموسوعيّة، والوعي الخلاّق المتضوّع بالتجديد، والسلوك الفذّ المنساب من نبع اليقين والاعتصام، والصفاء الفكري والروحي الذي يعجّ بالبصيرة، والفداء الطفي البديع الزاهي بهالة المشايعة إلى درجة المشاكلة... كلّ أولئك كان برهان الصدق في منشور الصدر القدوة، الذي تلألأت به صفحة الحقبة التي طلع فيها صبح ذلك العظيم من أفق المنّ الإلهي، الذي أبى إلاّ أن يتحف دينه في الفترات بمن يجدّدونه وينصرونه، ويعيدونه نقيّاً أقرب ما يكون من محتده، فتيّاً أدنى ما يكون من مولده.

لقد اصفاه الله منذ صباه بطهر النزاهة، وأكرمه يافعاً بكرامة الترفّع، وصانه بلطفه الخفي من ألوان المشائن، كأنّه قد وَكل به ملاك الخير والاستقامه، يصدّه عن المناقص، ويحميه من المقابح، ويعرج به الى مراتع النور، في غمرة الرضا والحبور، ليصنعه على عينه هادياً للركب في المتاهات، وقائداً للجيل في صراع القدرات، وفاتحاً ظافراً في معترك التحدّي، وإماماً وأسوة بالسعي الوِتْر والأداء المشكور، وزعيماً أقسم على الصدق، فجعل الروح الموهوبة لبارئها برهان الحلف المبرور، ووليّاً أخذ الحبّ والقرب بمجامع قلبه، فنسي ذاته ودنياه، وانطلق مارداً معموداً في عوالم عشق الله ودأبه في رضاه.

ومن هذا كلِّه تجد الجواب على مواضع الاستفهام عن تلك الملحمة الصدريّة، المشحونة بالعجائب الخلقيّة وفرائد الإبداع، من روح استمسكت بعروة الحق، واعتصمت بجبلُ الحقيقة، وذابت في وجْد الكمال وشوق الوصال.

لماذا بقي الصدر رمزاً معشوقاً هام فيه المدلّهون، فحفدوا في أثره منقادين بثورة التهيام إلى مناحرهم، كأنّهم يساقون زمراً الى جنّاتهم؟

لماذا بكاه الجميع حتّى من لم يكونوا على خطّه، بل حتّى خصومه وجلاّدوه، الذين صيّره غيّهم معاد ثأر الله ونسخة الوتر الموتور؟

لماذا حبس نفسه في أغلال التقيّد حتّى عن شؤونها الحلال، فلم تظهر يوماً سارحة فيها بلا وثاق؟

لماذا عزف عن الحياة عزوف الكارهين، كأنّه لا يملك حسّاً بديعاً يتذوّقها؟

لماذا لم يخامره حبُّ الأرض (أمّ الجميع) كأنّه ليس خاضعاً لناموس ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾؟

لماذا نذر روحه لأمر كلّفه اعتياف ذاته، والخروج على رغباته؟

لماذا أوقف وجوده ـ بل أذابه ـ في غيب باطن رأته بصيرته النافذة أجلى الظواهر في عالم الشهادة؟

كيف قرأ القيم ومن جسّدوها من آبائه قراءةً جاب بها الأفضية الشداد للتجسيم في منتهى الامتداد بلا نفاد؟

من حرّم عليه ما وجده غيره مباحاً من طعم الراحة النشوى في ألق الأمجاد ونياشين الفخار؟

كيف توحّدت فيه إشراقة العقل والبرهان، وجذبة القلب والوجدان، ليعود قرباناً لهما وأيّما قربان؟

كيف تجلّد قلبه في رعود القوارع وهو المرهف الهيمان في نديّ الأحاسيس وسامرة المشاعر؟

كيف ولِهَ بالصبر والصمود دأب الهائمين، وهما كرْه الطباع ومباءة الأوجاع؟

كيف استأنس بمذاق العلقم في المرارة القصوى للمكاره كأنّه يشتار منها شهْده الرغيب؟

علام طلّق الدنيا ثلاثاً، وهي في أوج إقبالها عليه بزخرفها الفتّان وبريقها الأخّاذ؟

لماذا لم تأسره العناوين الخلاّبة التي أوجد سواه لأسْرها اللذيذ منمّق الأعذار؟

هل نسي أنّه ابن هذا الطين الواهن، المحمول في مركب المنى والرغبات، في عُباب الأنا والذات واللذّات؟

كيف غفل عن عذر التهلكة الذي ركن إليه من سواه، فأمنوا سطوة الأشرار ولذعة القيود وحزّ الشفار؟

لماذا غاب عنه برهان من هو دونه للزوم البقاء، ما دام هو الضرورة التي يفرضها تميّزها بحاجة غيرها إليها، واستغنائها عن الآخرين؟

كيف غدا حرّ السيف في مذبح التضحية رغبة طاغية استغلقته أحبولتها، فلم يجد النجاة من أوهاقها؟

من أوحى إليه أنّ كربلاء في شموخها على أثباج مراراتها وسوراتها تستصرخه أن يكون تكرارها المجيد؟

من علّمه أنه منهل النجيع الذي ترتوي من نميره شجرة الفداء والفادين على طريق ذات الشوكة؟

من تيّمه بفاتنة الشهادة (شهادة الدم)، على أنّه الشامخ في الشاهدين بالعلم والقلم؟

من ألزمه فريضة الموت التي احتشدت ضدّها جحافل الجبلّة وعقدة الفناء؟

كيف وجد في الشريعة أن يجعل وجوده مجمع الشجن المستفحل

الواصب، حيث وجد غيره تكليفه في عيش رغيد وعمر مديد؟

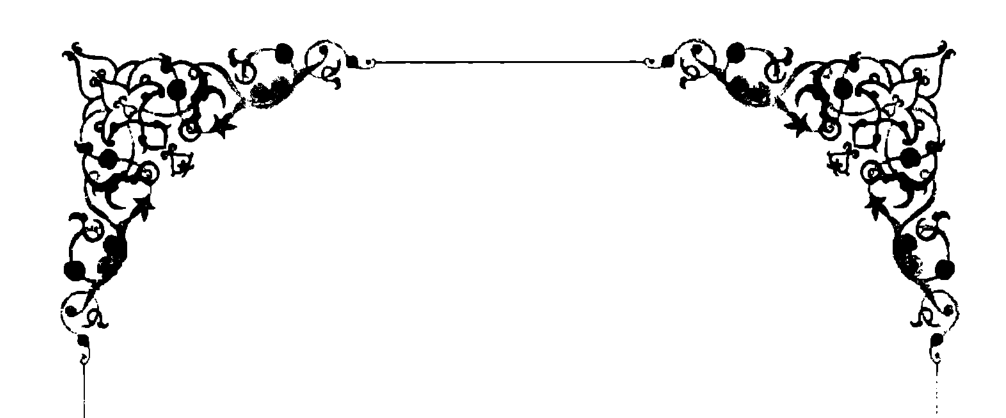
ألم تكفه كلمة الوعظ الصدوق التي نطقها قلبه الخاشع، المفعم بالعرفان المكين، مزهوة بهالة فكره الميسان، التي تميّدت لعقله العملاق ذي الأيد المتين، عبّاقة ببديعة العمق الفقهي، الموغل في استكناه الشريعة من أغوار المصادر والمظان، فيبقى بذلك المرجع الأثير المكلوء من غوائل الشرور والشنآن؟

لماذا أغرم بالناس غرام الانمياث، مفتوناً بسؤددهم في أبهى ذراه، حيث كلّفهم غيره غُرْم الانبعاث في أحلامه سراعاً إلى مشتهاه؟

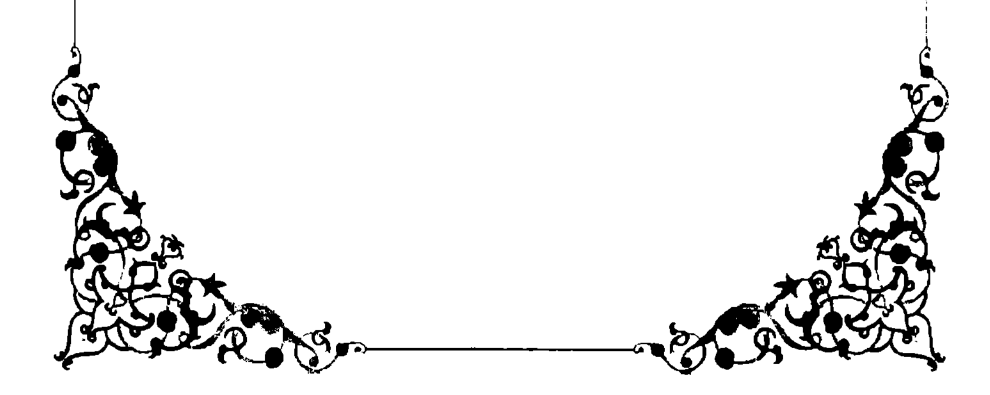
كيف صمّم بفرط العناد على أن يخوض الموج الراعد في خضمٍّ المحنة الفقماء، مستهاماً ببريق السيف المشهور عند قبره المحفور؟

الإجابة الشافية عن كلٍّ هذه الأسئلة هي محاولة يخوضها هذا الكتاب، مؤمّلاً أن تكون موفّقة في رفد الجهد المبذول من المؤتمنين على الحقيقة الصدريّة لبيان أسرارها، واستكناه أغوارها، وردٍّ العوادي عن معالم المجد الأثيل في ذلك الوجود الجليل.

المؤلّف



ثورة الفكر والقيم



منذ تبدّى هذا الوجود العظيم من فجر اللطف، كان فضيلة زاهية برأها مبدع القيم السامية من خصلة الجود الباهر، ومنذ فطر سبحانه القلوب الشاعرة، كان بشمائله الذاتيّة الأسمى وصفاته الحسنى معشوقا رغيباً في منتهى وقدة الجذب إلى نعيم الهوى القدسي، وقد أراد منّاناً أن يروم المتيّمون وصله بالعشق الضارم المكنون، ويريدوا قربه بالشوق اللازم المسنون، في منهج الدأب المستفزّ المشبوب، وسعار التهيام في الكمال المطلوب، قد أذابتهم الفضائل الفاتنة في سحرها وبهائها، فهبّوا ولاّها مدلّهين إلى غرّة عليائها، تحفّزهم اللهفات المتعالية إلى مطلع الجلال والجمال في ذروة الإشراق، ينشدون بهجة الاحتراق الأعذب في أقدس الآفاق، يبتغون غاية المشتهى في اللحوق بركب تلك الذرى عند سدرة المنتهى، يحدوهم بهمّته الشمّاء دافع فطرة فطر الله الناس عليها، وسلطان كرامة أنبتهم ربّهم في قلب التحنان إليها.

لقد أشرقت القيم البهيّة في سيرة ذلك الإنسان الشامخ على ذروة المحامد الرفيعة، والخصال الباذخة، حيث كان الفتح الباهر الذي جسّد قدرة الذوبان في التكليف، والحصافة الرشيدة، وعشق الفضيلة، وروح التسامي، ليخرج من أنماث فيها من المِذْوب المقدّس بشراً سويّاً في غاية الكمال، وإنساناً رضيّاً في قمّة السداد.

لقد أشرق الظفر الصدري في هذا الجانب وضّاءً من آفاق سبعة تبسّم به أسرجة وهّاجة في دروب المتأسّين، المرقلين صَعَداً إلى مطالعها السنيّة، المحبورة بالمثل المتوحّدة بالطيب والطهر والصفاء، تزيّن بالبهاء الوِتْر غرّة العلياء.

الأفق الأوّل: القيم السلوكيّة

السلوك السويُّ هو نظم الخطى الإنسانيّة على إيقاع الكمال الكوني المهيب، في مسيرة بشريّة ينتظمها للإنسان المستخلف حاملِ الأمانة وعيٌ مرشدٌ بصير، وهدى عاصمٌ منير، وهما فخّاران لإرادة مازت الإنسان عمّا سواه بعزٍّ الاختيار، وشموخ المفاضلة بين الخير والشر، وكرامة التمييز بين النجدين، وبهاء المغالبة لدواعي الهوى والنفس الأمّارة في شوط الابتلاء، واقتدار الصبر في مباسلة الشهوات في الحرب العوان عند مفترق الطريقين، فإن وافى مراد الرشاد، فقد بذّ هذا الإنسان المريد كلّ هذا الكون المقسور على الطاعة، المأخوذ بقانون الانقياد، وصار سيّدَه المنعوت بأعذب الممادح، تترنّم بها في شدوٍ كونيٍّ صادح ألسنةُ الكائنات، وهي تبصر مبهورة صورة المجد الإنساني المبين، في وسام ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، حيث سجد الملائكة الكرام المقرّبون لإرادة هي نفخة الرحمان في صلصال من حمأ مسنون، وباء مارج النار لحرمتها بالطرد الأليم، مدحوراً بلعنة ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الحجر: ٣٤].

المراد بالقيم السلوكيّة في وجود الصدر عصمة النفس بأخذها بالإلزامات الكبرى:

١ ـ إلزام التقوى على أشقّ معانيها وسبلها في معرفة حرمة المُتّقى، ووظيفة العبد المتّقي إزاء سيّد الكائنات المعبود في منهج (حقّ الطاعة)، الذي أبدعه الخوف العجيب من عصيان الحبيب في ما يلمّح إليه بالكرْه، فضلاً عمّا يصرّح، وفي ما يشتهيه بالإشارة على مستوى ما يرومه بالإعلان، وما يحفّز إليه أو ينهى عنه ولو باحتمال إرادة الأمر والنهي، من علياء الإلزام، على ذرى الورع الفذّ، في سبحات الاحتياط الشامخ، الذي يحكي قصّة المعرفة القصوى

بالتكليف وطرفيه: المولى المريد، والعبد المنقاد.

٢ ـ إلزام العقل في مسلك الحسن والقبح، ما دام هو رسول الباطن الذي يستقيم على مساره المنير في الأعماق طلاّب الحقيقة الكونيّة، التي يجدونها في قضيّة مذهلة هي الرسوخ على منهج السداد، الذي يرسمه بريشة الوازع الذاتي، وذلك هو الفكر المتحرّر من كبول الأهواء الهابطة، حتّى وإن عزّ الأنبياء، أو حالت الموانع دون وحي السماء.

وفي عقل الصدر الكبير العملاق على مستواه في العمق والامتداد في أغوار فلسفة الوجود، وهدف الكمال للمسيرة الكونيّة عموماً والإنسانيّة خصوصاً، منهجٌ عقليٌّ للسلوك، يأخذ بيده في مديات السلامة من مقابح الذوق السليم، على خطى المراد العقلي، الذي يعضده مراد الشريعة معاضدة كبرى أرادها الله سبحانه لطفاً بعباده، حين غرس فيهم البصائر والأفهام ليتّقوه حقّ تقاته، من خلال الوحي الظاهر المسموع من شفاه المرسلين، يسانده الإلهام المقروء في صفحة غيب الباطن وخبيئة الرشاد المضمر الدفين.

٣ ـ إلزام الدور والمسؤوليّة: ما دام الصدر هو العالم الذي عرف ربَّه وشريعته، وبلغ في ذلك شأو الاقتدار الفذّ المنداح في كلّ مجالات تلك المعرفة، فإنّ إلزامات تلك البصيرة هي على مستواها، وإنّ تبعاتها هي بمقدار أبعادها، لتبلغ غاية المطلوب من العالم الذي ألزمه فرض العلم بواجب العمل، ووضعه الفهم على درب الالتزام، وهتفت به حرمة الربّ إلى حقيقة ما على المربوب...

وحين يكون هذا العالم قائداً، ترى فيه الأمّة مرجع الخطّ المرسوم في عمق الأصالة، والمراد للدّين، وغبطة الرسالة، ونجاة العباد، وترى فيه الزعيم المحرِّر في منهج الله، الذي وهب الحريّة بوحدانيّته، وحطّم كبول العبوديّات الخانقة على أفانينها التي ابتدعتها الألوهيّات الزائفة.. عند ذلك يكون الشعور

بالفرض مضاعفاً، وتكون المسؤوليّة قاب قوسين من مسؤوليّة الهداة المعصومين، الذين وضعوا الأمانة ـ أمانة الهدى ـ في أعناق العلماء الربّانيّين والمجاهدين.

ومن هنا كان الصدر دأب التزام مفرط في الانمياث الإلهي، وشأن تركاض في باحات السعي الحافد نحو المنشود، وعزمة ثاقبة تمحّضت للبحث عن مظانّ الرضى الربّاني المعقود بناصية التكليف في آفاق (حقّ الطاعة)، التي أراد النسر الصدري المحلِّق في أفضية الالتزام أن يحوزها إلى سلطان ورعه الفرد، وأن تكون مطويّة بيمين تقاه، محويّة في قبضة كفّ الاعتصام بذمام التقوى، في أروع أطوارها وأعلى أسرارها.

الأفق الثاني: القيم النفسيّة:

المراد بها غريزة السمو الذاتي، وصفاء الذوق والفطرة في عالم الصحو والانعتاق من أسار الأهواء والنزوات. وبعبارة أخرى: هي نزعة الترفّع بدواعي الكمال الروحي عن المشينات في مختلف درجاتها، وقد تكون فيها إذا قيست بالشخصيّة المترفّعة المقرّبة، حتّى حسنات الأبرار ومحاسن الأخيار.

وعالم الترفّع الصدري عجيب مهيب، ممتدّ المسافات، بعيد الأغوار، ثاقب السبحات، للإعجاب به والعجب منه تجاذب سجال لا ينقضي، تعدّدت أنحاؤه ومساربه تعدّدَ ما على النفس الرفيعة من التزامات أمام حقّ شأنها وقدرها، وصفاء ذوقها ونظرتها، وعمق بصيرتها في ما على المترفّعين من قيود التنزّه عن ألواث الضعف الإنساني إزاء سطوة الرغبة، والزخرف السخيف، وطائف الشيطان، وحديث النفس الأمّارة.

نقرأ في صفحة الترفّع الصدري ملحمة التعالي عن الأنا، ونكران الذات، ووضع النفس الموثوقة بعقال الترويض الوتر مرغمة الأنف أمام المطلوب

منها كيف كان، وأنّى كان، ومهما كانت تبعات ذلك الإرغام، مصمّمة على أن تضحّي بكلّ ما ينفس به الآخرون، وقد يلوون عنق الشريعة لتلك النفاسة، فجعلت ذاتها ولذّاتها وقدراتها وأوسمتها تحت قدم المسؤوليّة الكبرى قرباناً يشهد للصدق والوفاء.

ونقرأ كذلك ملحمة الترفّع عن الإصرار الظلوم، والتبرير الغاشم، ونشدان الأعذار الساهية، والإدهان مع النفس، ومصانعة الغرور، وركوب مطيّة العُجْب الشموس المتقحّمة. فما دام هناك بركان ثائر يفجّر هذا الركام الهائل الذي اسمه (النفس اللوّامة)، فإنّ الصحوة عنيدة دائبة، والسلامة عتيدة ماثلة، والتمسّك بعروة الكمال الوثقى بأعلى درجات التمسّك مكلوءٌ بمعقّبات الصون من الخور، محصّناً بقلاع الامتناع عن الانهيار.

ونرى في ذلك الكتاب العُجاب قصّة الترفّع عن الدنيا الهابطة في مقاوم الزهادة، والحديث المأنوس الباهر عن مشهد الإعراض عن السفاسف، وتحدّي المغريات، ونبذ البهارج، وهي في أبعد أطوارها وإلحاحها في الإغراء نبذ النواة في مستنقع آسن.

ونقرأ آية الترفّع المعجزةَ التي تنزّلت من أفق العظمة الصدريّة المذهلة، تقصّ علينا خبر التنزّه عن الكبْر، لنراه تنزّهاً استخلص النفس الصدريّة الوادعة من رجس الإحساس البغيض بالتعالي والفوقيّة، والمساماة للذات الأزليّة في خصلة الكبرياء التي اختصّت بها، وآثرت نفسها بها على سواها.

لقد تواضع الصدر لربّه، فأخضع نفسه له خضوع الاسترقاق المحض المتوفّز للطاعة عند التصريح أو الكناية أو الحقيقة أو المجاز، المهطع لدواعي الرغبة من ذات الحقّ في أن يطاع كما هو أهله، حيث تنزوي أمام العبد المنقاد كلّ المعاذير والمنادح والمدّخلات انزواء الطريد المرجوم.

وتواضع لأمّته فانقاد لها بزمام مسؤوليّة الريادة التي دعته بها، وبايعته عليها بإلزاماتها، فأبدى لها من خفض الجناح والملاينة واللطف وسعة الصدر ما يحار فيه فهم البصير، ليجد المصداق الأروع للمرجعيّة الصالحة القائدة المتحرِّرة من أغلال الاستعلاء والغرور، وطلب الطاعة العمياء المنقادة بضَرَع الاستسلام الذليل، والمخطومة بخطام التقديس والإكبار لهالة محجوبة بين برد النعيم واطواق العناوين، وفتنة المطرين المتنفعين، وبريق الشارات والنياشين، والعزلة في عالم الدرس والفتيا، ومسامرة الخواص والمريدين.

وتواضع لتلامذته تواضعاً عجباً أنساه أنّه الأستاذ الذي دوّخ عقولهم بالفكرة المتعالية، فاحتمل من بعضهم عنت السؤال، وإلحاح الملاحقة والاستفهام، وقسوة اللجاجة في الاستقصاء، وقابل ذلك بنفحة الصبر، وسعة المداراة، ونزعة العطاء، شأن السحاب الثقال، آبياً إلاّ أن يستقصي روضة الدرس والدارسين بغيثه الهاطل الهتون.

ونبصر في واقع الترفّع الصدري لوحة باهرة ترسمها يد الإعجاز الخلقي، هي صورة الترفّع عن الخيانة بكلّ ألوانها: وضحت أو خفتت، قلّت أو كثرت، صغرت أو كبرت، وعلى كلّ وجوهها: مع الله، أو النفس، أو الأمّة، أو أمانة المسؤوليّة العلميّة والقياديّة. ومشى وازع الصدق في أداء الأمانة بالصدر إلى حدّ التضحية وهو يجد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] سعة الأفق فيالإلزام، الذي يشعّ مفردات الأداء في كلّ أنحاء الائتمان، والصدر يفتح الأبواب والنوافذ والكوى للآية الكريمة على كلّ مُدى الصون المطلوبة للأمانة في كلّ مستوياتها ودرجاتها، ما دام هو مبدع (حقّ الطاعة)، المتشدّد الصارم، الآخذ نفسه بإلزام الاحتمال، الهارب من خداع المندوحة، الناجي من فتل المعاذير.

ويبرز الترفّع الأعجوبة في فضائل الصدر الشامخة في نبذ الانتقام، وفي

الإعراض عن شفاء الغيظ، ومؤاخذة الغريم، وهو يقابل ذلك بالحلم المرير، الذي يجد فيه الصدر الكأس الرويّة لنفسه، التي لا ينقع غليلها إلى المعالي إلاّ بالقيم الزاهية والمواقف السامية.

لقد حلم عمّن أساءوا إليه حلم آبائه الطاهرين، بل أحسن إليهم مكافأة منه للمساءة بالتي هي أحسن، وسعى جهده أن يصلح نفوسهم الدويّة بطبّ المجازاة المثلى، وما هو شأن السعة في صدور العظماء المتسامين، فأينعت العافية في قلوبهم، وتقشّعت غمائم الأحَن والأضغان، وضحك الصحو الربيعي في أرواحهم التي أهطعت إلى الصدر الكبير تلثم يد الشموخ والترفّع عن الصغائر التي يشين مثله في طليعتها مقابلة السيّئة بمثلها، والنأي عن سنّة العفو التي رسمها القرآن، وجسّد فيها الهداة المطهّرون أسوة العاملين والصالحين.

لقد التزم الصدر بترفّعه الفذّ جانب الصدق، لينأى عن كلّ موهناته ومزعجاته. لقد عاش للصدق، وغمر به قلبه، وجعله منارة دربه، وأدّى به حقّ ربّه، وفرض دينه، وواجب أمّته، ومسؤوليّة علمه، وتكليف ريادته، ووجد الكذب في المواقف في كلّ هذه المناحي بَرَماً وسقماً يتأبّاهما قلبه السليمُ المعافى من نكسة الأدواء وآفات العلل.

ويشمخ الصبر المرّ الظافر بالعقبى في سجايا النفس الصدريّة المعطاء، نديان نابضاً بالحسن والعلاء، وهّاباً يملأ الواقع المجدب، الداجي بالخصب والضياء، وإن كان يعتمل في قلب الصدر ضراماً باللذع المسعور، يحفّز الإقدام والثبات بعزمة الجهد المبرور.

لقد باسل به الصدر حنادس الليالي، وكلوح الأيّام، وعسرة الفقر المدقع، وضنك الحصار الخانق، ورعود الإفك الداعر، وقصيف الأهاويل الجائحة، وعناء المجاهدة الدائبة، وجرعة الغيظ المكظوم، وعرامة الإغضاء

على القذى والشجى، ولسعة العفاف عن التشفّي، وغفلة الوازع التقيٍّ الصارم أمام وجه الحيلة، والفرصة الغاوية، والفوز الجائر، والغلبة بالإثم، والرغبة المواتية.

وقاوم به الصدر مقاومة الأبطال في ميادين المرابطة الفاردة في مواقع الدفاع المهيب، وذبّ بوثبته الجَسور الصائلة عن عرينه المقدَّس في احتدام الصراع العجيب.

وثاور الصدر المتصبِّر القاهر جحافل الغوائل العسوف، التي حاشته مؤمّلة أن تسترهبه، مترائيةً له جبلاً أخشن يستهيله من بين يديه، ومهواة بعيدة القرار تفزعه من خلفه، فصيّرت همّته القعساء ما أمامه قمّة النسر الصاعد، لا يرقى إليها طائر الطموح، وجعلت عزمته الشمّاء ما وراءه مجرى سيله الهادر الجموح.

لقد تدرّع فارس الفتح والتجديد في قلعة الصبر بملاذ الاحتمال، مضطمّاً صدره على يعسوب الشمائل وسيّد الخصال، ذلك هو الصبر الشامخ في محاسنه لا ريب في عزّه وعلاه، المتفرّد بالسخاء وساماً على صدر عوائده وعطاياه، فهو إمام الفضائل الواثبة في حركة السلوك الغالب، ودليل الخلال المثاورة في حومة الصيال الدائب.

إنّ ما أحطنا وما لم نحط به خُبْراً من قيم الصدر النفسيّة، كلّ أولئك كان أوسمة الفخار التي تأبّت المثيل في الحسن والبهاء، زيّنت ذلك الوجود العظيم الذي حبا الله به أمّته في قرنها العشرين نفحة من لطفه في حياة المرمّلين، وقبسة من نوره في مسار العالمين.

الأفق الثالث: القيم الجهاديّة:

سلك شهيدنا الصدر طريق الفتنة الإلهيّة، نقي القلب من شوب الحيرة

والتردّد في عماية الارتياب، واثق الخطى على المزالق بالبيّنة والعزم العجاب، رافع الأنف فائتاً في رهج المضمار بنور البصيرة وشمم الاقتدار، دارع الروح إزاء وثبة الحراب المختلسة بلبوس التقى والاصطبار، حيث تصاغرت أمامه أغوال العقبات، ولانت تحت خطاه نواهض الصَعُدات، وأشرعت أبواب الغلبة إزاءه على مصراعيها، حيث يلوي في ساحة الصراع مع النفس ولوازم التكليف الصعب المستصعب.

لقد وجد الصدر في قانون الابتلاء قضيّة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] سبيلاً سالكة إلى الرضا والرضوان، فهي المحكّ العصيب، ولا بدّ لمثله في مثل شأنه ودوره ومعرفته أن يكون أداؤه في محنة الاختبار بمستوى قدره في المسؤوليّة، التى هي لازمة عنيدة الارتباط بالصدر المرجع الإمام القائد، الذي تسمّرت به العيون ملاك الريادة المهيب، وأنشدت إليه القلوب أمل الخلاص الحبيب.

لقد أدّى الصدر ما عليه في وظيفة الجهاد بمراحلها المتعدّدة، المتدرّجة في الصعود في مراقي المنابذة والاستبسال، على أفانين السبل والوسائل المؤدّية إلى المراد.

كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فهم الصدر أساس الدِّين، ومن حقّ هذا الدِّين على مريديه وعارفيه صون هذا الأساس بمنتهى الحرص، وأداء الفرض في ذلك على الوجه المنشود. وكانت كتب الصدر المتفرّدة بروعة المضمون والأداء والتأثير، وكانت آفاق علمه الفاضية كاتساع الرسالة، ومحاضراته المتوحّدة بالإبداع، ورسله إلى الأمّة (الوكلاء)، وغير ذلك.. غرّة الجهاد في خطّه العام، ونور المسلك الثاقب يحمل مشاعله الوهّاجة كلّ العاملين على شتّى مساربهم ومذاهبهم وأصقاعهم من الأرض، يشرقون بها مصابيح زهراً في الداجيات فينيرون، ويثاورون ببأسها الضلالات

فيبيرون.

وترقّى جهاده الفذّ حين اشتدّت غلواء الانحراف، فصار هو أعظم الجهاد بكلمة الحقّ في وجه السلطان الجائر، وصار هو الجهد الثوري المدروس في أرقى أساليب العمل السياسي المعروفة في الدنيا (التنظيم)، ذلك الجهد الذي يخطّط بالعقل والحكمة لتغيير الأوضاع حسب الرؤية الإسلاميّة.

وارتفع لواء المرجعيّة الرشيدة في يد الصدر من على قمّة المسؤوليّة في رحاب النجف الأشرف، يجدّد للتاريخ زهو ذلك اللواء الفذّ في يد المصطفى من على أبي قبيس، يدلّ التائهين على سبيل الفلاح، وينعش المدلجين في الديجور بأنوار الصباح.

ومشت رسل تلك المرجعيّة في الأمّة كما يمشي النسيم العليل في الروض البليل، وانسابت ألطافها الغرّ كما ينساب همس الندى في السَحَر، وطلع فجرها الوضّاء يغمر الأرجاء بالعطاء، وفاضت مناهلها وعيونها بالزلال السلسبيل، يروي ظمأ الهواجر، ويطفيء نار الغليل.

وكان لدى الصدر القائد في هذا الخط الجهادي بمساراته ودرجاته ما يحتاج إليه من لوازمه الأكيدة، من روائع العلم، وجوامع الحكمة، وبدائع البصيرة، تظاهرها فرائد الشجاعة والإقدام، وقدرة الاحتمال الصلد، وعزمة التصميم القاطع على قطع الشوط مهما كانت التبعات، والنظر إلى الشهادة في آخر المطاف سُبْقة الرهان، أملاً ينشده بمنتهى الوجد قلبه الهيمان، ورغيباً فرداً يكدح إلى وصاله سرّه الولهان.

وجسّد الصدقُ الفرد في هذا المنحى العُلْوي في ملحمة الوجود الصدري أروع المصاديق والأثر، وجسّم الوفاء الوتر بأوفى الدروس وأبهى العبر.

الأفق الرابع: القيم القياديّة:

إنّ القيم القياديّة التي تحلّى بها الصدر في خطّ جهاده الباهر هي مدرسة القياديّين الرساليّين الذين يحلمون بالفتح المقدّس، ويؤملون الظفر الأغرّ على منهج الله لتحقيق أهداف الرسالة، من حكم الواقع على هداها المنير، ومن إقامة العدل والقسط في اعتكار الجور والظلم المبير، ووضع الآصار وذلّ القيود عن رهائن العبوديّات وأسرى الجحود، وبسط ظلّ الشريعة الوارف في هاجرة المعاطب والمتالف، قيماً شافية كعيون جارية، ومعارف هادية كقطوف دانية.

ويلتمع في سماء هذه الريادة الممتدّة مبدأ التوكّل على الله في فرد التوكّل النادر العصي، والاعتصام بقوّة الله وجبروته، والاستمساك بعروة امتناعه وعزّته، وبالاحتساب في مصداقه الأروع المجسّد في حياة الصدّيقين.

ويشرق في الأفق القيادي الصدري الزاهر مبدأ الأداء للتكليف ولو كان باهظ الأثقال، صعب الاحتمال، ما دام هو المطلوب من الربّ للمربوب، وما دام هو منتهى طلبة الطالبين للنجاة يوم الدّين. وإذا كان الهدف من الخليقة هو العبوديّة، فإنّ عليه أداء حقّ الألوهيّة كما هو أهله من الانقياد والانشداد، وبذل الوسع جهداً وارياً لوجه ربّ العباد.

وكان في منهج تلك القيادة من دروسها الرائعة درس البصيرة التي يجب على القادة أن يجعلوها شعارهم، ويجعلوا الحكمة من فوقها دثارهم.

وإنّ البصيرة بالزمان والمكان وأوضاع العالم هي الشرط الأساس في نجاح المتصدّين للأخذ بالزمام الريادي في خضمٍّ متلاطم، فيه ظلمات الانحراف، يغشاه موج المكائد والدسائس، من فوقه موج الحوادث والتغيّرات والتطوّرات، من فوقه سحاب القدرات العظمى، واستعمارها الجديد،

وشرورها الرابية.

وما دام القائد إسلامياً، فإنّ العلم بشريعته هو دعامته الأولى في خلافته أئمّة الهدى، ووراثته الدور الأسمى، وهو هداية الناس في خطّ القرآن، وتطبيق أحكام المنهج الربّاني في الواقع الذي يحتاج في ظروفه وملابساته وأغواره ومستجدّاته إلى العلم المستوعب النافذ، والبصيرة الفذّة بالشريعة وأحوال الحياة.

إنّ القوّة النفسيّة والشجاعة القلبيّة كانا ركنين متعاضدين في بناء الوجود القيادي الذي حقّق به الصدر رائعة من إبداعات الإسلام في صنع رجاله الروّاد على نور هداه وتعاليمه، ودروس الأمناء الطاهرين التي تركتها معاهد الريادة الفذّة في حياتهم نبراساً للسائرين، فما عرفت تلك النفس الثائرة ألوان الخَوَر، ولا طاف بذلك القلب المضّاء طائف التسليم للعجز إزاء الصروف القاهرة، وما ساور تلك الروح المقتدرة نزغ الضعف الذي يبتدع المسوّغات تحت أغطية الضرورات، والعناوين الثانويّة، وملاجئ التقيّة، والانتظار السلبي، وأخبار راية الضلال، ومشروع الإلقاء إلى التهلكة الذي استثمره الحريصون على البقاء أوسع الاستثمار، فدرّ عليهم أوفر الأرباح من الأعمار المديدة والحياة الرغيدة.

لقد كان (عليه تحيّات الله وبركاته) قائداً فذّاً:

ثورته وصلاته: عنوانان للشُّعاف الصادق في هوى المعبود.

كلماته ووقفاته: آيات التوحيد الفرد الذي صبّ الصدر في مصهر الاصطفاء، فصيّره عبداً مستخلصاً للذات الأزليّة، موقوفاً لمحراب المسؤوليّة.

دمعته الحانية وعزمته الضارية: وجْها هويّة الشعور المقدّس النبيل في حمى ذلك الوجود الجليل.

خطاه في مساره: الجمر اللاذع.

وهمومه: اللظى اللافحة.

ومضجعه: حسك السعدان.

وحسراته: أفلاذ قلبه الملتاع، تصميه روائش الشجن المسعور.

وآلامه الوارية: عين حامية ثَرُوْر.

أمّا لهفاته القدسيّة، فقد كانت هي الشهب الثواقب.

وطموحه كان هو هامة الثريا.

وولهه الشريف كان أمشاجاً مبتلاة من نور الشوق وشميم العشق، شدّه بمحتده المطلق، فعاد تجسيم الضياء والعبير في سلوك سماوي، يجدّد أسلافه من نماذج السلوك الشامخ في معارج الهداة المهديّين.

كان الاستيعاب ونزعة الجذب والانفتاح الريادي من محامد تلك القيادة الصدريّة الخالدة، فقد انفتحت على الدنيا، واستوعبت أفكارها وتيّاراتها، وشرحت صدرها للناس، وبسطت ظلّها الوارف الحنون عليهم، وأرتهم من أخلاق المرجعيّة الرشيدة ما تحار به ألبابهم، وتستعاد به في أذهانهم نماذج الإمامة التي جعلها الصدر المتأسّي قدوة المسير ومنارة المسؤوليّة.

واستوعب الصدر في ريادته الأمّة بكلٍّ مشاربها ومذاهبها، ووجّه نداءاته إليها على حدٍّ سواء، وشملها جميعاً بالتوجيه والاستثارة على طريق القيام وحركة التغيير الكبرى، التي جعل من نفسه مصباحها ولواءها وقربانها في أروع تصميم على الاحتمال، وأبهى اعتزام على الصدق، وأقدس لهوف إلى المنحر المهيب في محراب الشهادة.

لقد انفتح المنهج الصدري في القيادة بدواعي الحكمة والتدبير على كلٍّ ما مؤدّاه الغبطة للشريعة، والصلاح للأمّة، والسؤدد لمنهج العمل، والعزّة للعاملين.

وقد ازهرت في الزعامة القدسيّة لإمام المجاهدين في أرض المقدّسات

خصلة فريدة الحسن، بهيّة الإهاب، قدسيّة اللباب، وهي أقدر خلاله الحميدة وشمائله المجيدة على قراءة المضمون الإيماني في عمق عقيدة الصدر، المتضوّعة بعبير الوحي، كأنّه يسطع من تراتيل جبريل، وتدبّر المحتوى القيادي في البعد الخفي للتوجّه النزيه، المخبوء في خفر النيّة وطهرها، صنعة الهدى والتنزيل.

إنّها عجيبة القيم القياديّة الصدريّة الباهرة، صفة (الزهد) القيادي الذي فرضته إلزامات النفس المترفّعة، والقلب المتنزّه، وعلم العمل، والوظيفة الكبرى، والروح الرياديّة، ومواساة الأمّة، وحكم الشريعة على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفة الناس كي لا يتبيّغ بالفقير فقره، فاعتصم الصدر الزاهد من حلال الدنيا كأنّه يعتصم من حرامها، ونأى عن شبهاتها نأيه عن محظوراتها، وعافت روحه النازهة العالية هبوط السفساف، ووهدة الزخرف، وشين المتاع، وعار التركاض بين المراتع والأرباض.

إنّ صفوة القول في القيم القياديّة لشهيد العصر أنّها مشت على خطّ الاقتداء بالهداة الميامين، في التحلّي بسجايا القادة المستوعبين وخصائصهم التي تجذب لهم الأمّة، وتفتح لهم الصدور، وتمكّنهم من أداء دورهم الريادي على الوجه المنشود.

لقد أخلص رضوان الله عليه لربّه، ونزّه نفسه عن الدنيا، وزهد في الحطام الزائل، وسحق كلّ مباهج الدنيا ونياشينها، ووجّه همّه للأمّة والخلاص، وجنّد طاقته للدّين والثورة، وبذل وقته كلّه للرسالة فكراً وجهاداً، وصمّم على الموت تصميم المضحّين، ورأى الشهادة غاية المسعى إلى النصر، وأبدع في تصدّيه نهجاً خلقيّاً للمتصدّين، خرج به عن المألوف في تعامل أمثاله من أقطاب الحوزة والمرجعيّة، وانفتح به على الناس انفتاحاً جعلهم يرون فيه رمزاً آخر، وعالماً من نوعٍ لم يشهدوه، ورائداً تقهرهم

سجاياه على أن يحبّوه، فقد ظُلم أشدّ الظلم، لكنّه عفا أوسع العفو، وكِيْد أخبث الكيد، لكنّه تعامل بأصفى صفاء الضمير. تألّبت عليه الحوزة بالجهل والحسد، فقابلها بالصبر والاحتساب وسعة الاحتمال، ونشط خصومه وحسّاده في الإيذاء، فنشط هو في السعي لمداراتهم وتخفيف غلوائهم. لم يغلق بابه حتّى أمام أيادي الشيطان، فزاروه، وتكلّم معهم إتماماً للحجّة، وسعياً لكبح الجماح، بل إنّه ـ كما ينقل البعض ـ تعاطف مع أحد خصومهم ممّن كان منهم للإطاحة بهم، يبتغي من ذلك بحكمة التدبير حصول أهون الشرّين، ممّا قد يتاح له في أجوائه حريّة العمل والتعبير، تمهيداً للوثبة والتغيير.

كان طموحه المتسامي به إلى التمحّض في طلب راحة الأمّة يدعوه إلى اللقاء حتّى بالمجرمين الذين يقصدونه، عسى أن يجد بعض ضالّته.

سخا لأمّته قدر جهده ووسع ذات يده، وأعطى الحوزة من جوده الفكري المشهود، وممّا ملكت يداه من المادة، وحبا طلاّب الحوزة الفقراء حتّى بما يعود إليه من متاع الدنيا...

استوعب مذاهب الأمّة ومشاربها وقوميّاتها، ووجّه نداءاته المخلصة إليها جميعاً.

تميّز بالبصيرة النافذة بالشريعة وبالزمان، وتحلّى بالشجاعة والجرأة الّلتين حطّم بهما سدود الخوف أمام نفسه وأمام مريديه وجنود التيّار الرسالي...

أشرقت شخصيّته الطاهرة بنكران الذات، وداس الأنا بقدم الخلوص والصفاء، وقد جسّم هذه الخصلة الملائكيّة في بيعته للإمام الراحل، ووضعه نفسه رهن الإشارة للخدمة تحت لواء قيادته، ودعا الآخرين للذوبان فيه حتّى أتباعه هو نفسه، على أنّه صاحب الأوسمة الرفيعة، ورائد الصحوة الفكريّة، وعملاق العقل الإسلامي المعاصر، والفقيه المجدّد الفذ، وفارس الفلسفة

الإيمانيّة، ومؤسّس الحركة الإسلاميّة وراعيها في العراق.

حاول الغيظ الأحمق عزله عن الواقع في طوامير الانزواء، من خلال تسقيطه وتنفير الأمّة منه، لكنّه انفتح بحقّانيّته وحقيقته، ونصاعة وجدانه، ووضوح برهانه، فسرى في الأوساط سريان العبير، ومشى في الساحة بروح المقاومة والصمود، ففرض نفسه على ذلك الواقع كما تفرض الحقيقة نفسها رغم لجاج منكريها وعناد خصومها...

تحلّى بفهم التاريخ، ولا سيما تاريخ آبائه الميامين، فهماً فذّاً واعياً، فأنتج من ذلك منهجاً حركيّاً التزم به، وقاد على ضوئه أتباعه والتيّار الذي أوجده في الساحة، ليقاوم به أعتى هجمات الانحراف عن خطّ الرسالة، وليسطّر به أروع ملاحم الجهاد والتضحية على طريق إعزاز الإسلام في بلاد الرافدين، وكان هو رمز الفداء للخطّ كما كان رمز قيادته، ليجسّد الصدق بأرفع المصاديق.

الأفق الخامس: القيم العلميّة:

العلم هو بديعة الأسماء الحسنى للملك الحقّ ذي الجلال، تمادى امتداداً كذاته حتّى قهر سعي الخيال، أباحه للوعاة من عباده الطالبين ذرى العلياء، الطامحين إلى غمرة الشمس، وبهجة الأنس، وسامرة المجد، في محفلٍ أقدس وسامه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، يزيّنون تيجانَ محامدهم بلآلئه الوتر الحسان، ليطلعن من فلق الجمال كأنّهن الياقوت والمرجان، ويعبّون من سلسال نميره الأشهى ما يبلّ غلّة الطموح القصي، ويسني جاذبة الحسّ البهي، ويستافون من رياضه كفؤ اقتدارهم في استياف عطره الساطع الندي.

وللعلم في مسيرة الصدر قِيَمه التي لا بدّ له من التحلّي بها وهو يرد

ضمآن شطآنه يطلب الريّ من نميره الزلال، ليصدر وقد بلّ صداه ونال أشهى مناه... ويطلع في البدء من صبح تلك القيم سلامة الهدف، وطهر النيّة، والتصميم القاطع على العيش في أفياء العلم الفيح، وسبحاته الزهر، من أجل أسمى المراد، وهو القيام بوظيفة الهدى، ودلالة النفس والعباد على سبيل النهى والرشاد، فلم يكن فؤاد الصدر ليهوي إلى العلم ليبجح به على الآخرين أو يبذّهم، أو يطلب به الدنيا، أو ينال به الإطراء والثناء والإعجاب ونياشين العاجلة وأوسمتها، بل اختاره بنيّته الزكيّة أمراً شريفاً يُعرف به الرحمن، وتؤدّى به الفرائض، وتنشر منه ألطاف البرّ والنور، ليستروح العانون والمجدبون، ويستضيء القابعون في الديماس والمدلجون، على القاعدة القرآنيّة: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وكانت هذه النيّة السامية وراء كلّ الأمجاد الصدريّة، وهي التي أمكنته من مفاتح أبواب السمو ومعارج العلياء، ودلّته بلطف الله على سبل الخدمة الحقيقيّة التي رفعته عند ربّه في مصاف المختشين، ليتسنّم في الناس بكرامة الله وتحبيبهم إيّاه مقام المقدّسين الذين تهفو إليهم الأرواح النواسك، وتتعقّبهم البصائر العواشق، وتؤمّ مجدهم لتسبح فيعلاهم قلوب العارفين وعقولهم.

وتتبارى أفراس الرهان للقيم العلميّة في مسيرة الصدر في ساحة السباق الفذّ، فترى الصبر والمثابرة، والمرابطة الدؤوب التي تحبس الطالب الدائب على حقيقة الغوص والتنقيب، وإن تقطّعت الأنفاس، وساورت وساوس الإعياء جهد البحث الموصول باقتدار الهمة الثاقبة.. وما بين سهر الليالي ومكابدة الأيّام في مرارة الكدح العلمي مضى العمر الشريف للصدر العظيم الفاتح.

وترى في مضمار المغالبة من تلك الخصال العلميّة الباهرة قضيّة

الإقدام الجسور، والجرأة المتقحّمة (النزعة التجديديّة وعزمة الكشف)، حيث لم يرتضِ الفكر الصدريُّ العملاق التسليمَ أمام سطوة الموروث أنّى كان، ولم يقنع طموحه النسري بالأفضية الموجودة، طامعاً في فتح الآفاق الكبرى التي عجزت عنها همم الأقدمين من علماء هذا الدّين المبين، طالباً أن يكون هو للشريعة مجدّدها الظافر الذي تمشي بنبض قلبه الطموح في كنوزها المحجوبة في أعماق الركام روحُ الظهور المبدع الخلّاق، الطالع كالشمس تبهر الأبصار، بل تكاد تخطفها بغمرة النور الثاقب للفكر الصائب، بعد ليل الحرمان في أطواء العشوة، تحت دثار الجهل الساجي في غربة الونى والقصور، حيث طوّحت الدار، وعزّ القرار، وناء بالأثقال في متاهة النأي عن مشرق الفتح عمالقةُ الطلب الحثيث لبهجة الإصباح.

وطلع لواء الرسالة الإلهيّة في يد المجدِّد الفذِّ خفّاقاً زاهياً بالظفر المهيب على أشلاء الجهالات والضلالات التي أطاحت بها الثورة الفكريّة الصاعقة التي نفخ الصدر من صورها نفخة التجديد، ليبعث مجد الشريعة المذال من وراء حجب التضليل والإغواء والعزل بعزمة المقاومة الفريدة، تدكّ معاقل الحماقات البشريّة، وتحطّم أصنام الأفكار الوضعيّة.

وتتبدّى همّة المنهج المنطقي الاستدلالي فيالفضائل العلميّة لذلك العالم الفرد، فحيث تقلّب ناظرك في روضة المعرفة الصدريّة، ترى تلك النزعة الطافحة بالجلال بسّامة الثغر، كأنّها تُفرغ بسمتها الساحرة عن معدن الحسن والبهاء والجمال الخلّاب.

«ولقد تجسّدت ملامح التجديد في حياة الشهيد الصدر في الحوزة العلميّة بأمور جمّة، نجملها في ما يأتي:

أوّلها: المنهج الفكري الخاص، القائم على السجيّة المنطقيّة، والنزعة البرهانيّة، والاستدلال الذوقي والعقلائي، والنهج الموضوعي الفريد في

الاستظهار الفقهي. وكانت بحوثه ودراساته الأصوليّة والفقهيّة بنهجه الفكري الخاص مدرسةً جديدة طلعت على عالم الحوزة من مجتهد شامخ الرأي لا ينحني للنقد والتفنيد؛ لأنّه رشيد سديد، ثاقب النظر، لا تفوته دقائق اللفتات، واسع المدى بشموليّة مشهودة، وموسوعيّة محمودة، دقيق عجيب الدقّة، لا تعزب عنه حتّى صغائر الاحتمالات، فهو رائد (حساب الاحتمال)، متين القوى، لا تستعصي عليه أشدُّ المستغلقات، مهيب الفكرة، كأنّها هبطت من الغيب.

موضوعيُّ الطرح، قد تنزّه عن أوهام الخيال، منهجيُّ البحث، مغرمٌ بروح الاستدلال البديع، شغوفٌ بنزعة الكشف والإبداع، فريدٌ في ما يهب عقله الصنّاع. قد مازج بين المنطق والذوق ممازجةً فريدةً وحيدة، وألّفَ بين الجنبة العقلائيّة والنزعة البرهانيّة تأليفاً قد أنفق غيره أعمارهم الزاهرة دون أن يخطر على بالهم، فضلاً عن أن يتحقّق في واقع دراساتهم وبحوثهم.

ويأخذ عليك الإعجاب أقطار الفكر ليذرك رهينة الدهشة حين تبصر فاتنة الحقيقة العلميّة، والتواضع العلمي للأفكار والهدف والطالبين في المسار العلمي لرائد الفكر الإسلامي المعاصر تترصّد مرآك في مجلاّها من ذروة علاها، فالصدر طالب الحقيقة، المتواضع طبعاً وسلوكاً، متواضعٌ للواقع العلمي في منتهى التسليم لمتطلّبات الروح العلميّة الفاضلة، في غاية الطهر والنبل والتسامي والموضوعيّة والحياد المنصف، خضوعاً لمنطق الحقّ والحقيقة.

يعرض أفكار الخصوم ـ كالفكرة الماركسيّة ـ وهو أشدّ الناس كفراً بها؛ لأنّه أبصرُهم بمعايبها، ولكنّه حين يجد لها فلتة حسن يتصدّى للكشف عنها، ولا يضمرها أو يتغاضاها، بل إنّه يقدم عن نبل باهر على توجيه بعض أفكارها إلى شيءٍ من الرشد، لم يلتفت إليه مبتدعوها، ولم يصرفوها إليه،

وينسى للإنصاف العلمي أنّه إنّما يفعل ذلك مع ضلالةٍ يجحدها قلبه، ويرفضها برهانه».

ولكون الصدر خافض الجناح أمام جلال العلم وهدفه الأسمى، فإنّه يصرف عينه عن أبّهة الفخامة، ونياشين الزعامة، وينزل عن عرش دأبه المعهود بالفكرة المعمّقة في غاية النفوذ في الأغوار، ليكتب لطلاّب الحوزة في يفاع طلبهم حلقاته الأصوليّة الميسّرة، كأنّه أستاذٌ في (السطوح) يشرح لتلاميذه بمستوى حلومهم واستيعابهم.

ويكتب للناس (مدرسته الإسلاميّة) وأمثالها باللسان المفهوم، ويطرح رسالته العمليّة الميسّرة كأنّه طالب علم مبتدئ يتحدّث للعوام بلغتهم، على قدر فهمهم.

أَلَيْس من دواعي الحقِّ والإنصاف أن نقول هنا: إنّ منهج البلاغ النبوي المرسوم في الوصية المشهورة: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم» هو الذي اتّخذه الصدر سبيله المهيع السديدة، خلافة رشيدة لدور النبوّة، وأداءً لحقِّ الوصاة، وحفظاً لحرمة الغاية، وقياماً بالواجب المقدَّس بما يتطلّبه ذلك القيام من القدرات المتفاوتة، قدرة الإعجاز النافذ من أقطار السموات الفكريّة، وقدرة التحليق في أجواز الفضاء، وقدرة السفيف الداني، وقدرة الهبوط كأدنى ما يكون من متناول الجميع.

وتواضع الصدر لطلاّبه في التعليم والبحث، فمهَّد لهم المطالب تمهيداً، وجاءهم للفهم من مكان قريب، وتصبّر للإيضاح مناداح الاحتمال، وكايد للاستيعاب مكايدة شريفة استنجدت بحكمة العالم الفذّ وفطنته، فلطفت، ونفذت، وأعلقت.

وتواضع لهم في النقاش والسؤال، فانبسط لهم غاية الانبساط، واستمع لكبيرهم وصغيرهم في حوار الدرس، وأصغى لبعيدهم في الطرح والإشكال،

ولقريبهم في المؤاخذة والاستفهام، واحتمل عنت البعض منهم ولجاجته وغروره، فأغضى بروح العلم ونزعة الحلم على القذى، وعفـّ عن العقاب، ولم يأبه لنداء النفس الأمّارة حين تلحّ عليه أن لا يعترف ـ وهو العملاق الشامخ ـ لسواه من أساتذته أو تلامذته بالفضل العلمي، ويأبى عليها إباءً منكراً، ليصم سمعها بنداءات التفخيم والتكريم لأساتذته العظام، وعبارات الإكرام والمديح لتلامذته النابهين، بل الإقرار لصوابهم في المعارضة والمداخلة العلميّة، مأنوساً بشميم روض العطاء، محبوراً بذوق طلاّبه المستافين، مع قدرته الفائقة على الهروب من التسليم في عتمة المهارب في شتّى المسالك والمسارب التي لا تضيع وجوهها على مثله، لكنّه ـ وهو شجنة العدل ـ يأبى إلاّ منطق الإنصاف انحناءً أمام قراره الملزم في محكمة الوجدان والنفس اللوّامة.

ويأبى الضمير العلمي الممسك بزمام الورع الحازم عقل الصدر إلاّ أن يفرض عليه التأنّي عند الرأي الشرعي في إجابة الاستفتاء، والصمت المتدبِّر حتّى يعثر على الصواب، وتأجيل النظر الفقهي إذا لم يكن حاضراً واثقاً، موصولاً بسكينة الاطمئنان، والقناعة العلميّة، والسلامة الاجتهاديّة، وإن ظنَّ به الظنون من لا يجيدون قراءة التقوى الصارمة، وخشية الله المحيطة، الآخذة بخطام النفس الصدريّة أخذ السداد بوازع الاعتصام.

إنّ إجمال القول في فكر الشهيد الصدر هو أنّه الفكر المجدِّد بما طلع به من عبقريّة التراث والمعاصرة، وبما امتاز به من علقته بربِّه، وانتمائه إلى خطِّه، وصدقه في التعاطي مع الخالق وحقِّه، وإدارة الأداء لوظيفته إزاء شريعة الله وخليقته إدارة تكلّلت بالتوحّد والتفرّد.

إنّ رحلة اكتشاف ذلك الفكر العملاق هي رحلة صعبة مستصعبة، تحتاج إلى قدرة خاصّة لا تتوفّر إلاّ عند من يرى في هذه المهمّة الشاقّة مهمّة

من يريد اكتشاف كوكب تُرى آثاره ولا تعرف أبعاده، حيث تلزمه الغاية الجسيمة توفير الوسيلة المثلى من أدوات الفهم والعلم والمصابرة والمثابرة والتركيز وعمق التأمّل ودقّة الاستنتاج.

لقد تزيّن ذلك العقل العملاق بسمات كبرى هي: الأصالة والعمق والتجديد.

الأصالة التي تمظهرت بذلك الإبداع الذي جسّد روح الانتساب للسماء، وأبرز العلقة القرآنيّة إبرازاً فذّاً أعطى المصدر الأوّل من مصادر الشريعة مكانته اللائقة، ودور قطب الرحى في التوجيه الأساس على مستوى المفاهيم والعقائد والأحكام، وتجسّدت تلك الأصالة بذلك المنحى التوحيدي الباهر، الذي شعّ من كلّ جنباته، ما دام التوحيد هو أصل الأصول، وأمامها ومخدومها.

ثمّ كانت اندفاعات الفكر الوحدوي البديع الشامل الجامع لكلّ فصائل الأمّة هي روعة البيان عن تلك الأصالة في ذلك المنهج الكريم، وهكذا كانت أعجوبة الانشداد المحيّر بالماضي الرشيد، والتأسّي برموزه المقرّبين، ما دام التراث التليد هو مشعل الواقع العتيد.

أمّا العمق، فقد تجلّت مظاهره في ذلك الفكر الخلّاق المبتكر، وتلك الرصانة والمتانة، وفي ذلك الاستقصاء البحثي الذي أخذ بمجامع القلوب في تجليّات باهرة، منها: حساب الاحتمال، والبرهنة المستغرقة حتّى في مجالات ما يسمّى بالعرفي أو الذوقي، وفي النفس الأيديولوجي الشامخ، وصياغة الكليّات والقواعد، ولمّ شمل التفصيلات في أفلاكها وخطوطها العريضة، وفي تلك النزعة التأسيسيّة للأطر والعناوين، وفي اكتشاف منطقة الفراغ، وسدّها بالبدائل المثلى لروح المبدأ واستحقاقات الحداثة، وفي بدائع ذلك الوثوق الراسخ في الاستلهام والاستشفاف والاستشراف، وفي عوائد ذلك الشموخ

الفلسفي والأصولي والفقهي الذي برع فيه رائد العمق براعة عرف منها أهل البصر والنظر ربّانيّة المصدر، وقداسة المنطلق، ووشيجة الفكر الصدري بالجلال الإلهي، وكنه ارتوائه الباهر من منهل الحقيقة العليا، وذوبانه في سبحاتها ومدياتها، وغوصه في أعماقها وأغوارها.

ولا يخفى أنّ الموسوعيّة والشموليّة وسعة الآفاق وكثرة الأبعاد هي من المذهلات في سجايا ذلك العمق المثير لدى ذلك الفكر المنير.

أمّا التجديد، فقد أشرقت أنواره الساطعة من أفق تلكم الأصالة وذلكم العمق، مقرونين بروائع التحليق في أفضية الاستكشاف، والتمحّض للإقدام، والإصرار، والاقتدار، والانقطاع، والتجرّد، والموضوعيّة، والتصميم، والصرامة، والحسم، والمبادرة، والمواصلة، والجرأة، وهمّة الوصول إلى معدن المراد، والعزم، والحزم، والسكينة المؤنسة، والعشق المقدّس، والحضور المستغرق، والاعتصام المستوعب، والانجذاب المذيب، وعزمة الاستنطاق لروح النصّ وواقعه بقلب شغوف لهوف، ومناغاة لغته وسياقه بذوق عربيٍّ مكين، ووعيه أدقّ الوعي من خلال أسسه الوثقى: المأخذ، الهدف، الملاكات، والمقاصد العظمى، يضاف إلى ذلك كلّه انسجام القلب والعقل، وعدم الانفصال بين الفكرة المعمّقة الغائرة، والشعور النفسي الرفاف، وبين الواقع التطبيقي المستعصم، ولا بين العقيدة الراسية وبين الحقّ المفروض على مسار الاحتياط في مسلك الشغف الإلهي المهيب (مسلك حقّ الطاعة). وهكذا الأمر في البهاء التجديدى في رعاية حقّ المعاصرة، والمعايشة، والانفتاح الواعي المدروس على الواقع، بالأساليب والآليّات وإلزامات المطلوب في الطرح والبيان، والابتكار في عرض المضامين بلسان الزمان، لتشكّل كلُّ هذه المحاسن الزاهرة بديعة الفقاهة الحضاريّة، ومرجعيّة العصر، وقيادة الواقع في ميدان المواجهة بالفكر الشرعي السياسي التغييري الرائد، الذي احتمل أقسى صنوف

العنت من عوادي الغربة، واللوعة والتهمة والقيود وأغلال العناوين الثانويّة، وتقيّة الداخل، ومرارة المداراة، وسجون الحصار، وهموم الحرب النفسيّة، ومعرّة البهتان، منطلقاً في تصميمه على أن يكون القربان المتجدِّد لواجب الله والضمير والأمّة على سبيل الإيثار، والنزاهة، والنقاء، وتناسي الذات، واعتبار كلِّ شيء من أجل التكليف الأسمى، وجعل الوظيفة المقدَّسة أمّ المشاغل وفوقها، وعدم الاكتفاء بالفكرة والمداد، فهما في رأيه زعمٌ يحتاج إلى تجسيد، وقولٌ يهتف بعمل ساند، ومدّعيات لا بدّ أن تصدقها الفعال الشاهدة، وهي ليست سوى التضحيات، والمرارات على طريق المهمّة الكبرى، مهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما كلَّفت من أثمان وتبعات، فالمطلوب الحقيقي هو الصدق في المعاملة مع ربٍّ الكائنات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

الأفق السادس: القيم القلبيّة:

ها هنا يكمن الصدر، وإن تراءى في الظواهر الباديات الجسام، ومن هذا الخفاء يكاد يتطلسم معناه ليصبح سرّاً في غياهب الإبهام، فمن قلبه العاشق الولهان يهفو إليه من يتعرّفونه، وفي أحناء الوله العابق الفينان يتطلّبه من يبتغونه، عشقاً وشوقاً في منتهى الصبابة والهيام، وذهولاً شعوريّاً مستغرقاً في غاية الوجد والغرام.

العشق الصدري الفذُّ النابع من النفحات الثلاث: نفحة العلم الهادي إلى العمل، ونفحة القلب المعمود الشاعر، ونفحة الفطرة السليمة الصافية هو حقيقة المضمون المهيب لذلك الإنسان العجيب، فهو الدافع والوازع، وهو المِقْود المشدود برقابة الحيطة والخشية في مرصد الصرامة المحصيّة، وقسوة التَسديد البالغ، وعنف السياق في ساحة المحاسبة.

ذلك العشق الباهر الآسر هو روح الثورة الصدريّة في خطاها المتجمّرة على مسار المقاومة المتلظّي، وهو الصاعق الذي فجّر وجود الصدر في انشطار حماسيٍّ وجدانيٍّ يفوق الذرّة في انفلاقها، ليدمّر في التوّ أو بعد حين، من خلف أعتى الحجب والسدود، ولا تجد مراميه مصرفاً عن سهامه الرائشة، ولا بدلاً عن الإقرار بغلبته في باحة الصيال وحومة النزال..

وعشق الصدر المشبوب هو ركعاته الضارعة، وسجداته الخاشعة، ودموعه اللاهبة السجام، ولهفاته المنهدة من كبد الضرام. وهو فكره الدائب في حقوق الله والشريعة والخليقة بحثاً عن خير السبل الى افضل الاداء، بالعبادة المتوحدة بالخلوص، المتجسدة في محراب التبتل، الماثلة في ميدان الفتوح العلمية، وعوارف الفكر المتفردة، الشاخصة في ساحة التصدي لقيادة الامة على خط المواجهة الكبرى، الموسومة بالظفر في آفاق البذل والعطاء، المقرونة بالجلال المعجز عند مذبح الفداء وصعقة الوصال.

وعشق الصدر الطافح بنور الالهام، وعبير الصبابة، وشعور الفؤاد المتيم، حيث يمتزج الضياء والأريج والاحساس ـ كان هو حقيقة حياة الصدر، فأنِسَ بنفاسته الكبرى غاية الانس، وآثره على سواه ايثاراً منقطع النظير، فصار به جميع القلب ازاء عاديات الهوى والدنيا، عاشي البصر عن بريق الحطام الفاتن، اصم عن سماع انغام الزخارف المسوّلة، سخي المن بكل شيء على طريق اشواقه العارفة، وان جرّت عليه سعاره الشريف، وسهاده المقدس، وآلامه التي تفحّ في شفرة السيف، ولوعته الناطقة بلسان النيران، وحسرته الطالعة من حشا البركان.

في قيم الصدر القلبية يشمخ صفاء النيه كفلق الصبح في رونقه وعلاه، ويشرق زاهياً في شبوة النهار وضحاه، نقي الذيل من الالواث، سليم الصحو من الاغباش، عابقاً بالقداسة كأنه مجمع المقدسات، شريفاً فائحاً بالطهر

والخَفَر وقصْر الطرف كأنه حور الجنان، صادقاً كأنه نسخة الصدق الاولى في عالم المثال، سامياً عليّاً كأنه محفل الملائكة الكرام. جليلاً بهياً كانه سامرة الاولياء العظام.

وصفاء النية هذا هو داعية الالطاف البهية الى وجوده، ومبعث الندى الالهي الغامر في كيانه، منه كان حب الله له وتحبيبه عباده اياه، ومنه عشقه الناس عشق المدلّهين، وبه فتحت له سبل المعارج العصية، واشرعت المكرمات ابوابها الموصدة، ونال فاتحاً ظافراً عروش الامجاد المغالية في الامتناع.

وفي قيم القلب الصدرية تزهر السلامة البديعة الرفيعة في ابهى البهاء، وانقى النقاء، واتم العافية، هنالك حيث التجرد المحض الاّ عن الأمن من غوائل الشرور للخطرات، والنزعات، والنزغات، وهاتف الهواجس المريضة، وحديث النفس المخاتلة، ونفث الوسواس الخناس، وخداع الاهواء الماكرة بحبائل التغرير بالتعذير والتبرير، ومكائد التسويل بالتسويغ والتسويف، عند ميعة الشهوات، وفتل الحيلة، وبروق المطامع، وتمحيص البلاء، وشفير الفتنة، حيث تتهاوى دعاوى الكذابين، وتنحل عُقَد ذوي الدخائل، وتتبدى المكنونات المعلولة في المحك، وتذوب الصروح الثلجية للمزاعم بحر الامتحان. وبهذه العافية المتفردة نجا الصدر من الاوهاق التي احتبلت غيره، وسلم من المصائد التي نالت سواه، وركب بها متون الزعازع والاهاويل في صروف التمييز، واقتحم العقبة الكأداء اقتحام العمالقة، ومشى بها على صراط الابتلاء في ادق اطواره مشية النشاط على الطريق اللاحب.

وفي الفضائل القلبية في وجود الصدر تتجلى بهالة الشموخ فضيلة (الحضور الالهي)، فهو يرى في فلسفته الوجدانية لما بين الجوانح في فضاء الصدور الطهور حرمة البيت الحرام، لا تؤمّها الخواطر النواسك الا بالاحرام،

ويرى للقلب العارف هيبة الكعبة والبيت المعمور، تطوف حولهما مشاعر النفس الصافية بكمال الخشوع والتعظيم، وتمام المهابة والتكريم. واذا كان الرب حاضراً في القلب المشوق فلا مكان لسواه من أرباب الحجارة، او الناس، او الشهوات، واذا كان جلاله مستحوذا على حماه فلا شيء لما عداه من عوادي النفوس وشرورها، واذا كان الأمر كذلك فان القلب الصدري خشوع ممتد متصل، لان الله في حضور دائب واصب، وهو فكر مهيب بجلاله وجماله وما يرضيه، لان مهابة الله الحاضرة هي نفح شذى العشق العارف، يسري في مشاعره واحاسيسه، يأسره اسراً عذباً عجباً، فيرى وهو في وثاقه جنة الانعتاق التي لا شفع لها ولا مثيل.

اذا كان الامر بهذه المثابة فان ذلك الحضور الاقدس المستوعب يملك على الصدر حياته، ليجعلها كلمة الحق التي ينطقها الوجدان الصدري المتيم ـ بالحركات والسكنات والاحاسيس، ويصيّرها رسالة مجسدة بواقع سلوكي فذّ، ملحمي، شامخ بالحب والاصرار والفتوحات، ويصبها للناس من مصهر الحضور في قالبه روحاً منقّاة من اضداد الود، والرحمة، والعطاء، والانفعال المقدس، ونزعة الخدمة الفاردة المنزهة عن أدران المن والاذى، الناجية من الرغبة في الجزاء والشكور.

ويكون ختام المسك في القضية القلبية ذلك الذوبان الطوري في صعقة التجلي، بجلال الوداد المقدس، والحاح الحضور المستحوذ، على اهازيج العشق الغلاّبة، وجواذب الولَه القاهرة، وهواتف الهيام الملّحة الدائبة. وتكون تلك الصعقة المقدسة هي شرارة الثورة التي تجسد في عشق الصدر العملي ذروة وصاله، لان وصاله المنشود كله سلوك ثورة على النفس والواقع. ووثبة على تفرعن الاهواء والقدرات، وقيام دائم في وجه الاباطيل والأضاليل، ودعوة مشهودة الى التغيير الرسالي المطلوب: من ظلمات الجاهلية الجديدة

الى سبحات الرسالة المجيدة.

الافق السابع: القيم العائلية

ويراد بها المثل التي تجسّمت في واقع الصدر في بيته مع من يضمهم ذلك البيت الشريف، الذين له على جلهم حق الاشراف والولاية، ولهم كلهم عليه وظيفة التسديد والرعاية، وهم امه، واخته، وزوجه، واولاده.

لقد سلك الصدر في تعامله مع هذه الصفوة الخيرة التي عاشت في قلبه وجواره وعمق همومه ـ السبل الرشيدة التي تكفل له ان يجعل ذلك البيت بعُمّاره كما يرجو بيتاً منسجماً مع توجهاته وتطلعاته واهدافه، تشع منه في دور الهداية انوار الهدى للشطر الثاني من الامة كما يشع منه للشطر الاول، وينطلق من العزم النسوي فيه واثب الجهاد والشهادة كما ينطلق من العزم الرجولي.

لقد جعل الصدر المودة المفروضة بدواعي الايمان والقلب والرحم اهم وسيلته الى قلوبهم، ومنحهم منها ما جعلهم يعيشون دفئها وعطرها وحنانها في ابهى الاطوار واعذبها، ومزج تلك المودة بالاحترام مزجاً فريداً لينجم عنهما انس يغمر قلوب معاشريه، وسعادة ترفرف بظلالها عليهم، وجسد الصدر لهم بالواقع الملموس مطلوب شريعته التى اراد لها ان تسود كل دنياه من حوله – للابن، والأخ، والزوج، والاب، هذه المفردات الاربع التي لا يكون لمثله سواها في واقع المعايشة العائلية، وكأن الله سبحانه شاء ان يكون الصدر بهداه المرسوم درس السلوك والاسوة للآخرين في التعامل مع الواقع العائلي في ادوار البنوة والاخوة والزوجية والأبوة.

ومشى الصدر في سلوكه الشخصي في البيت على منهج الحكمة الفذة التي استلهمها من شريعته وعقله الكبير، وقلبه المفعم بسمو المعاني لاشرف

الممارسات وارفعها ـ في التدبير، والعلاج، وحسم الامور بالنظر الثاقب، وتصريف القضايا بمنتهى الرشد والعقلانية...

ان الصدر الذي صمم ان يقود ركب الحضارة المعاصرة بهدى دينه العظيم، وفكر رسالته العملاق، وبحضارة الروح الشامخة التي افعمها مبدعها بعجائب الابداع في التقنين، وعصمة التشريع، واعجاز القيم والمفاهيم والتعاليم في كل المناحي والمجالات وفروع الحياة ـ لم يكن هذا الصدر العالم العارف المشحون بالصدق في التعاطي مع ما يعتقد، وتجسيد ما يدعو الناس اليه من المثل والمبادئ والتوجيهات، ليكون بالتجسيم الامثل مَثل الامة الاعلى في الاعتناق، والتطبيق، وتفعيل الحضور الرسالي في واقع سلوكي معتصم بعروة التحفظ وذمام التقيد الى حد يصله وصلا حازما بما يؤمن به رضوان الله عليه من مسلكه الاصولي العجيب (مسلك حق الطاعة) الذي يرى الصدر فيه نفسه مكلفا بان يقف خاشعا امام ربه بالانقياد حتى في محتملات التكاليف، ومظنوناتها، ومختلف درجات وصولها الى وجدانه الديني الحي المتيقظ الحساس في مسألة الورع والالتزام واداء حق الخالق ـ لم يكن ليغفل بهداه وسداده ورشاده اقرب الناس اليه وهم اهل بيته واسرته، ولم يكن ليمنح غيرهم اعجوبة المثال الايماني وروعة الاسوة الباهرة، ويذرهم بلا عائدة من عوائد هذا العطاء الجسيم الذي لا مثيل له في كل عطاءات الانسان العظيم لرسالته وواقعه، فكان رضوان الله عليه لهم نبراساً رساليا دفاقا بالضياء، وقدرة الشد والجذب الى رحاب النور، وفاعلية النشاط في ركب الممارسة الاسلامية الفذة التي تكون منارة النصف الآخر من الواقع الاجتماعي (الاسرة المسلمة)، وتكون آية الابداع الصدري في التربية والتهذيب وصنع المواقف والمصاديق الواعظة الهادية في مفردات السلوك، ونماذج العمل،ومشاريع الكيانات الانسانية الملتزمة غاية الالتزام، والمتفاعلة ابهى صور التفاعل.

وفي طليعة الفتوحات الصدرية في هذا المجال يكون فتحه المبين في جعل نفسه، واهله، واسرته، وافلاذه، راية النصر الاولى في رايات انتصاراته الزاهية في آفاق المكارم والمحامد والانجازات الكبرى على طريق الحضور الريادي، والمبادرة القيادية، والدعوة الصادقة دعوة القول والعمل، من عالم عامل، وواعظ متعظ، ومفردة رسالية شامخة هي ابهى مفردات عصر الغيبة على مسار الانتظار الفاعل الرشيد الممهد بالنضال المقدس المبرور ليوم الظهور.

في واقع الصدر مع عائلته التي كانت اقرب الناس الى رحاب قلبه ومسؤوليته الشرعية - نجد مضامين التفاعل الرسالي، والاهتمام المفروض، والرعاية النابعة من مبعث الحب والعقيدة والالتزام، فقد كان قدس سره مع امه مثلا رائعا من تجسيد البر اللازم في شرع الله فريضة على الاولاد، يفيض قلبه بحبها، وذكر معروفها، وشكرها، والثناء عليها، ويحتشد في وجودها من نشاط الاحسان، وخفض الجناح، والتواضع، والاهتمام، والاستفهام، والتماس النظرة الحانية من خلال الدعاء الرؤوم الذي لا يحرم الاجابة الشافية من رب اكرم الامهات الصالحات فجعل الجنة تحت اقدامهن، وكتب على نفسه اجابة دعواتهن، وتلبية رغباتهن السديدة لافلاذ قلوبهن.

كان يداريها وهي تكابد وضعها الصحي بطب اشواقه ولهفاته ودعواته، ولا يخلي ساحتها من التفقد والرعاية، ويقصدها حيث سنحت له الفرصة في زحمة النشاط والعلاقة بالقلم والدرس والامة، لينحنى أمامها يقبل يدها، ويستخبرها حالها بكل رفق وحرص واشفاق، مستعطفا اياها رضاها ودعاءها ورجاءها.

وهو يستذكر عوائد الله عليه بها مذ حملته جنينا، ثم كابدت الهموم والهواجس والآلام في طفولته ويتمه الى ان بلغ اشده واستوى، حيث اتاه الله

بدعائها ورجائها وسام الاصطفاء والتميّز – وهو يرتع لديها في نعيم الاحاسيس الحالمة، والرؤى الناعمة، ويحاط مكلوء لديها بالمشاعر الرقيقة، واللهفات الدفيقة، لا تغادره حاضرا رنوة عينها، ولمسة يدها، ولا يبارح غائبا طيفه حنوة بالها، ومعقبات خيالها، وهي معبأة له بالامنيات والدعوات واللهفات، ولا تخلو وهو قد استوى على عرش مجده وألقه وشموخه ـ من هواجس ثائرة تجعلها مهتاجة قلقة الوضين، ينتابها الذعر مما يخامرها من الظنون والتوقعات السيئة، وما يعتصرها من مشاعر الخوف عليه من بطش السلطة التي ابى الا ان يقارعها ليهدم كيانها، ويعلي راية الحق على انقاضه.

كان رجاؤها ان تغمض عينيها في وداع الرحيل الابدي على مرآه وهو يكفكف دموع الاسى لفراقها، ويدعو لها ربه بحسن الاياب، وطيب المنقلب، ويلتمسها رضاها، وشفاعتها، وذكرها له عند ربه واصفيائه الميامين: محمد وآله الطاهرين، ولم تكن تتوقع اطلاقا ان تمتد بها السنون حتى تشهد ساعة يأتيها يودعها وهو كما ترى روحها المستشرفة ينقل اولى خطاه في رحلة الوداع الاخير، منطلقا مع زمرة البغي الى منحره، فتوشك ان تسقط مغشيا عليها من فرط اللوعة، وهي تحس احساسها الصادق من اعماق قلبها المستلهم انه اللقاء اليتيم الذي لا لقاء بعده في عالم الشهادة، ولكنها لم تبح بسر فؤادها المستكنه الشفيق، متمنية ان يكون حديثه مع نفسها عن مغزى هذا الوداع المهيب مجانفا الحقيقة، وان لا تكون صورة هذا الشخص الحسي الذي يودعها هي الصورة الاخيرة التي ليس لها تالية، وان لا يكون صوته الناعم الودود الذي قرع قلبها مودعا على لينه وخضوعه برعود الفزع هو آخر ما تسمعه اذناها من كبدها الناطق الواقف امامها في حومة الوداع.

اما كيف كان السيد الشهيد رضوان الله عليه مع اخته وزوجه واولاده فهذا ما نترك الحديث عنه لبقية السيف السيد الجليل جعفر الصدر حفظه الله،

في خواطره للاصدار الثقافي الموسوم بـ (المرفأ):

(لقد كان السيد الوالد في بيته المثال الصادق للمؤمن المحسن لاهله، حيث كان لامه الولد البار الى اخر يوم من حياته الشريفة، وكان يقول: (كان الفضل لوالدتي، لانها كانت وباستمرار تشجعني على المضي في هذا الاتجاه الحوزوي رغم كل المصاعب.)

وكان اذا عزم على امر معين يسألها اذا كانت ترضى بانجازه او لا، ومهما كان رأيها كان يستمع لها مراعيا لمشاعرها ومحبا شفيقا عليها.

يأتي يستأذنها في الذهاب الى زيارة ابي عبد الله الحسين عليه وعلى ابائه وابنائه السلام ليالي الجمع، وبعد ان تأذن له ينحني ليقبل يدها، وينصرف مودعا بدعائها.

لم ينس يوما ما قدمته هذه الام الحنون المعطاء له من عناية ورعاية، فكان حتى اخر ايامه الشريفة يراعي وضعها الصحي وقلقها المستمر عليه على غاية المراعاة.

والله وحده يعلم كم كان يحمل همها اثناء الحجز، وما سيؤول اليه امرها بعده، وهو الصابر، المحتسب، المتوكل على الله، المسلم امره اليه، ولكن شدة عطفه وحنانه تدفعه لذلك).

اما عن سيرته مع اخته رضوان الله عليها فيقول ـ بقية السيف ـ السيد جعفر الصدر:

(كان الوالد لاخته الصديق والاخ الرفيق، حيث كان يهبها من وقته الكثير من الساعات، ويجالسها للاستماع اليها، وتداول دروسها، ومساعدتها، فاني كنت المس اهتمام الوالد بعمتنا الغالية وحبه اياها، ومما اذكره في هذا الصدد توقيره لها، فكان يؤثرها باحسن مجلس اذا التأم مجلس العائلة، ويصغي الى حديثها بكل اهتمام وعناية، وكان يقضي معها وقتا طويلا في

مراجعة كتاباتها ومقالاتها، مطريا، ناقدا، ومعلقا، كان كل ذلك بخلق رفيع، ووجه مبتسم، واهتمام بالغ، حتى تنصرف عنه راضية فرحة).

أما عن تعامل الشهيد مع قرينته المكرمة وشريكة حياته فيقول السيد جعفر:

(تقول السيدة الوالدة: انها شعرت منذ الايام الاولى لزواجهما بان الوالد زوج غير عادي، لذا كانت تقدسه، وتكن له كل مشاعر الاجلال والتقدير).

(والحق اقول: انني ما رأيته يوما آذاها بكلمة، او اسمعها ما لا يرضيها، وكنت اراه في الايام التي تكون الوالدة فيها صائمة يلزم نفسه الشريفة ان يعود الى البيت عند الافطار، ويتفقد وضعها، ويستخبر حالها، وما كان يناديها الا (يا ابنة العم)، وهذا السلوك جعل هذه المرأة الصالحة عندما تذكره تفيض عيناها بالدموع حسرة وألماً، ولا حول ولا قوة الا بالله).

وما ارقى النكات الشعورية الباهرة في سيرة الامام الشهيد قدس الله نفسه الزكية في تعامله مع عائلته ـ مما نشرته مجلة الرياحين في الاعداد:١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ في: (مذكرات اسرة الشهيد الصدر) كما يلي:

الصدر وبر الوالدين

(لعل من اروع المنارات السلوكية والاخلاقية التي اضاء بها الصدر طريق المؤمنين الرساليين الصالحين هو تعامله المتميز في قضية (بر الوالدين)، التي يراها فرضه الاكيد الذي الزمه به القرآن كخطوة ثانية اساسية بعد خطوة التوحيد على مسار الايمان، والتجسيد العملي المطلوب لمضمونه وتعاليمه وتكاليفه التي تتحقق بادائها هوية العبودية لله سبحانه، وحقيقة الطاعة له، والانقياد لاوامره ونواهيه، لتتشكل في النهاية طبيعة النتيجة المصيرية لوجود الانسان في هذا الكون كمستخلف ممتحن في مضمار

المسؤولية الكبرى (امانة الخلافة) لله في هذه المعمورة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

كان رضوان الله عليه ينظر الى موضوع (بر الوالدين) نظرته الخاصة التي استوحاها بعمق فكره وبصيرته وفهمه المتميز للشريعة واحكامها، ومن هنا كان يلتزم اداء هذه الواجب المقدس التزاما قلّ نظيره، بل كاد يكون فريدة من فرائد التجارب السلوكية المعاصرة التي يجب ان يكون فيها الصدر العالم العامل اسوة الاخرين على طريق الاداء لوظائف الرسالة... ومما يمكن بيانه في ماهية البر في التجربة الصدرية الشامخة هو ما يلي:

١ ـ صحيح انه لم يكن للصدر قدس سره في سن تكليفه الشرعي أب يلتزم بره، فقد مات ابوه وعمره (٣) سنوات، لكن الصدر كان اروع الناس التزاما بحق ابيه في فريضة البر، حيث صار له من بعده صدقة جارية من خلال السمعة الطيبة، والسلوك الرضي المعتصم بالسداد، والخدمة الاستثنائية المتواصلة لله وللامة بلا انقطاع.

وقد صارت هذه الصدقة الباهرة مشروع تجارة مع الله مستمرا لصاحب الصلب المبارك، يدرّ عليه ارباحه من الحسنات وثواب الاعمال الصالحة، هذا اضافة الى ما كان الصدر ملتزما به من الدعاء لابيه بالرحمة والمغفرة، وما كان يقوم به من الاعمال المستحبة التي يؤديها نيابة عنه، ويرجو ثوابها له.

٢ ـ كانت امه طاب ثراها تحظى منه برعاية فائقة، استنفر لها شعوره، وصدقه، ووقته، وحرصه، ومصاديق الاداء المتفردة بالابداع القيمي الهائل. كان يدخل عليها كلما اتيحت له الفرصة ليسلم عليها، ويقبل يدها، ويسألها عن حالها التي يزعجها المرض ـ القلب وضغط الدم ـ وهو يستأذنها حتى حينما يريد السفر الى كربلاء للزيارة، لا بل انه يبالغ في ادخال السرور على قلبها في قضية الاستئذان او الاستشارة حتى في بعض موارد اللبس، وتحديد

الاوقات المناسبة، لكأنه يريد ان يشعرها انه لا يزال معها كما كان في ايام صباه الوادع السعيد، حينما كان لا يغادر البيت، ولا يقدم او يؤخر الا عن اذنها وقبولها، لانه رهن ارادتها.

٣ ـ لقد اتخذ غرفتها في الاغلب مقر راحته وانسه، وموضع مطالعته وكتابته، ليكون قريبا منها، وسببا لاستقرارها وراحتها ما استطاع الى ذلك سبيلا. وقد اضطره هذا الالتصاق القلبي العجيب بأمه ان يرد رجاء اخيه واثيره السيد اسماعيل ان تكون امه بقربه في الكاظمية بعد ان اصبح ممثلا للمرجعية فيها، وقد اوضح الصدر في رده انه لا يستطيع فراق والدته، ولا يطيق خلو بيته من وجودها المبارك.

لقد كان له رضوان الله عليه مع امه سُنّة من رسول الله مع زهرائه البتول عليها السلام، فقد كان قدس سره يدخل عليها قبل ان يغادر البيت الى الدرس او اي سفر لينحني على يدها يلثمها، ثم يسألها الدعاء، ويكون هذا شأنه معها حين يعود، ليملأ قلبها بالغبطة والسعادة والحبور، ويشحن صدرها بفورة الحب لوحيدها، والحرص على سلامته، والخوف من نوائب الدهر على وجوده. وقد كان اعلى الله مقامه احرص على هذه العادة النبيلة عندما جاءه ازلام الطغاة ليعتقلوه اعتقال الشهادة، حيث انطلق الى امه يودعها، ويهدىء من روعها، ويشحذ فؤادها بروح الصبر والاحتساب والتسليم. وما اعجب مشيئة الله التي ارادت لهذه الشيخة العليلة ان تبقى تكابد انفاس الحياة حتى تودع آخر ما في وفاضها من افلاذها، قربانيها محمد باقر وآمنة الى دار الخلود، وتلتحق بهما بعد حين قريرة العين، راضية، مرضية.

٤ ـ اصطحبها الى الديار المقدسة للعمرة، رغبة منه في رضى الله برضاها، وكان في منتهى الحرص على راحتها وصحتها، وقد اكد على العلويتين الجليلتين زوجته واخته اللتين كانتا معهما في ركب السفر ان تبذلا

مثله غاية جهدهما في رعايتها، والاحسان اليها، وابعاد وعثاء السفر عن ساحتها.

٤ ـ كان يشعر بقيمتها الايمانية، ومقدار صلتها بالله سبحانه، ويحاول ان يستغل وجودها الكريم لافضل عطاءات مثلها لمثله من خلال اصراره المتواصل عليها ان تشمله بالعناية في دعواتها ومناجاتها، فهي عنده مستجابة الدعوة، لانها ام شفيق اولا، وامرأة صالحة ثانيا، فلا غرو ان تمتلك من ارصدة القرب من ربها ما يجعلها ذات حظوة وافرة من الاجابة، وتحقيق المطلوب. ولم تكن هي تبخل عليه بدعائها الخاشع الذي ظل معه طيلة مسيرته عونا، وسنادا، ودليلا الى التوفيق، والعزة، والنصر المؤزر، وصنع الفتوحات الباهرة التي تسنم بها هامة الجوزاء، تتسمر العيون بمهابته، وتنشدّ القلوب بجلالة قدره، ويغدو اغرودة الاكبار والتعظيم في محفل العمل الرسالي على مسار القضية الاسلامية، ثم يتحول بشهادته رمز الامة الخالد الذي ضرب لها اروع مثل في المقاومة والتضحية والفداء.

٥ ـ كان قدس سره يطريها كلما سنحت الفرصة لذكرها، ويشيد بدورها في حياته ومسيرته، ويؤكد على انها هي التي اخذت بيده على المسار الرشيد الذي بلغ به اوج الكمال في رحلته مع الله الى رحاب النور.

٦ ـ اذا كانت الجنة تحت اقدام الامهات كما في الحديث الشريف، فان جنة الخلود كانت قدَرَ الصدر وقدْره، حيث جسّم بالبر الفريد نموذج الاحسان الى امه، وبديعة خفضه جناح الذل لها، وطلب القرب من الله ورضوانه برضاها.

الزوجية المثالية

الإهداء

الى كل رجل وامرأة يبحثان عن المثال الشامخ للزوجية الرسالية الرشيدة.

الى كل من يتطلبون منارة التجسيد الفذ للمبدأ السديد في واقع البيت والاسرة.

الى كل من يتلمسون عوائد العقل والقلب والدين في حماسة الابداع العائلي المتين.

نقدم هذا النموذج الريادي المعاصر.

***

تجربة الامام الصدر في حياته الزوجية مَثلٌ رفيع بهي ضربه للامة ذلك العملاق السلوكي الذي ابى الا ان يجعل هذا الصعيد كغيره من الصُعُد في مفاخر وجوده الوهاب مدرسة للقيم العالية والمبادئ السامية.

الحديث في هذا المجال هو للعلوية الفاضلة (أم علي الصدر)، تفصح فيه عن مكنون تلك المعايشة اللذيذة المترعة بالاستعذاب المبهور بجلال ذلك السلوك الزوجي الاخّاذ الذي جسد به أبوها وأمها في مسار الفطرة والوظيفة روح المطلوب في الشريعة والوجدان والشعور، من رجل مؤمن ملتزم بفرض قلبه الوفي الهيمان بعد فرض ربه في قضية الميثاق الغليظ الذي أخذته الزوجة بحكم الله وشهادته من الزوج لتكون له سكناً وشريكاً، ومن امرأة مؤمنة، حية الضمير، رقيقة المشاعر والاحاسيس، تتذوق الوفاء لرفيق

الدرب، وتأنس بعطاء الفؤاد الفينان من الوداد الناعم الحالم لمن اصفته قلبها، وجهدها، وحرصها، وجهادها المبرور في حسن التبعّل.

تقول السيدة ـ أم علي الصدر ـ في خواطرها عن تلك التجربة الانسانية الزاهرة:

(منذ ان وقع اختياره عليها بدوافع الدين والقلب والقيم لم تكن تنظر اليه الا هالة من الشموخ والقداسة، ترى فيها كل معاني الطهر، والنزاهة، والتعلق بالله سبحانه، والتمحض لارادته وشريعته وامته، فكانت تذيب نفسها في معاني وجوده، متناسية دنياها ومناها ورؤاها التي كانت هي تحلم كأية شابة مثلها ان تحقق نصيبها المشروع منها في حياتها بعد زواجها، وقد ذابت امامها ذوب السراب في وجه الحقيقة تلك الفوارق المادية التي وجدتها في بدء معايشتها لعالم زاهد، مترفع، متعفف، لا يهمه من دنياه الا ان تكون مغبرا الى هدفه، ووسيلة الى آخرته، لا غاية تقصد لذاتها وعلى أية صورة، ومن هنا لم يكن يجد من دأبه ولا شأنه ان يبحث عن مساربها ليغنم مظاهرها الحلال ومباهجها المباحة، لانه لم يكن سوى مشروع رسالي هادف مصمم على التضحية والعطاء على طريق التحدي والفداء.

لقد عرفت قدس نواياه المستخلصة، وادركت هوية قلبه المعصوب بالذات الازلية، وارتسمت صورته في عقلها الباطن اليقظان عبارة عن فلتة من فلتات الزمان، مشحونة بالاعتقاد الحق، زاخرة بالشعورالمتوحد بخلوص الالتزام، وفرط القرب من رقابة الله وحزم الضمير، فقررت منذ اول وهلة ان تكون له نبع الحنان الذي ينهل منه سلسال انسه المطلوب لشوط المواصلة الدؤوب، باعتباره زوجاً رقراق الاحاسيس، سيّال الخيال، بارع النشاط في روعة العواطف الموهوبة. وان تكون له تلك الظلال الوارفة من السكن الرفراف المفعم بالطهر والطيب والجاذبية، وان تمنحه ذلك المنشود الشهي

الذي يبحث عنه هو والصالحون الذين يدعون ربهم قائلين:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

لقد أزالت من نفسها بروحية التقديس والاجلال كل دواعي الدنيا التي تعتمل في نفوس غيرها حتى من نساء العلماء والاخيار، وتحولت بتلك الروحية الى مشيئة ذوبان في مسار زوجها المستصفى لله وللعقيدة والامة، فعاشت معه الفقر والحرمان وهي لم تكن فقيرة ولا محرومة، وعاشت العزوف عن آمال الحياة العريضة ومظاهرها التي ربما أمَلت او أمَل لها محبوها ان تنال منها شيئا مما يشبع الطموحات المشروعة في نفسها المترعة بالشاعرية والخيال والتوقد.

كانت له فيضاً من الحب والاهتمام والعاطفة الجياشة – يعبّ منه فيرتوي في هواجرغمومه وآلامه واتعابه، فكان يجد عندها حبوره وانشراحه وهو يدخل اليها من كوة الفرصة القليلة الممنوحة له من معترك مسؤوليته للاستراحة، ليجد في كلمتها العذبة وبسمتها الحانية سكون قلبه الواجف، ويلمس في يدها الآسية مرهم الكلوم والجراح التي أُثخِنت بها روحه المكدودة على المسار المستصعب، ويرى بالتذوق الفريد مشاعرها الصادقة وهي تذوب له في كل شيئ حتى في هذا الشاي الذي تسكبه له بكل لهفتها واشواقها، ليحس فيه طعماً عجيباً لا يستطيع ان يجد له في حسه النافذ اللمّاح تعبيرا بلاغيا اوفى من وصفه بالمسكر المسموح من متع السكر الحلال من عطايا الله له بدأب هذه الزوجة التي تجهد نفسها ان تكون معه تجسيم الرقة والشفافية والبراعة في أداء الوظيفة الزوجية في مطافها الشعوري والقيمي بأبهى صور الاداء وأوفاها.

لم تشعر قط انها قد اسقطت الحواجز التي تسقط عادة بين الزوجين، وقد ابقت عليها الى اخرالمدى في ظلال نزعة التقديس التي بقيت معها في

كل خطواتها مع ذلك الزوج الملاك الذي استحوذ على احاسيسها استحواذ الفاتحين، وبقيت تنظره وهو في حومة لأوائه ومكابداته وانطلاقه في طريقه الى ربه — نظرة واحدة متصلة على حال واصبة من الاكبار والاعجاب.

لقد كانت تعيشه كياناً مقدساً مهيباً كما يعيش اهل الكشف معاني الحضور وعبيره، وكانت ولا سيما بعد محنتها بفراقه، وفورة عنائها في لوعتها ووحدتها ـ تستحضره بأرقّ صورالاستحضار، فتشم ريحه الذي يعبق في مشامها، ويسري الى روحها المهتاجة بعطاء السكينة المنعشة التي تجد فيها غاية سعادتها ومنتهى بهجتها، ما دامت ترى أنها تأنس بقربه وهو في دار الخلود بواقع رائع محسوس كأنه لم يفارقها.

ان هذا الاستحضار الذي تحس به بعد رحيله ليس الا عائدة ذلك الدعاء الخاشع الضارع الذي انطلق من قلبها الواجف العارف وهي بين يدي جدها أميرالمؤمنين، عندما قصدت مرقده الشريف أول زواجها تطلب من ربها بحرمة وليه المرتضى ان يغمرها بحقيقة اللطف في هذا الزواج، وان يجعلها فيه كما يريد لها ويختار، وبما تكون به راضية الروح برضاه، سعيدة الفؤاد باحساسها أنها في قربه وجواره وعلى عينه، ما دامت تحتمل أمانة الخطى الدامية على طريق ذات الشوكة في مسار زوجها الذي هيمنت عليها في حناياه فكرة (القربان)، ونكران الذات، وتناسي الانا واللذات الى آخر المطاف.

لقد بذلت له كل شيئ من طاقات روحها وعاطفتها، وحرصت منتهى الحرص على ان لا يرى مكروها يسوؤه، ويضيف الى قلبه الملتاع لقضيته لوعة جديدة من اتراح البيت واوصابه، ومحت من ذهنها ما لدى غيرها من نزعة التسلي بشريك الهموم، فليس شريكها فيها الا سرها الامين وحزنها الدفين، ويبقى وجهها الوادع الطلق واصب البشاشة لصدرها المفدى، ويبقى

ظاهرها السمح الانوس في محضره مقطوع الاواصر بأوجاع قلبها واشجانه.

لم تكن تذكره الا بخير، ويدفعها الحب الصدوق بل الشغف الرسالي المكين الذي اخذ عليها اقطار قلبها الى ان تقسم بحياته قسما صادقا تجد له في نفسها الوالهة حرمة مهيبة تحظر عليها حظر الاعتصام ان تقع في معرة الحنث، والتضييع، والاستخفاف بالحرمة.

لقد أحسنت معه المعاشرة الهادفة، وذابت في مرامه وغايته، وتحولت الى جزء لا يتجزء من خطه العظيم، وصارت تجيد التعبيرعن سلوكه ومدرسته وتربيته بسلوكها الفذ البديع، وقيمها العالية، وتنسّكها، واغلال تنزّهها عن النواقص والمشينات.

وراحت تنطق عن لسانه للمتشرعات باحكام الدين على فقاهته واجتهاده، فلا يجد هو في ذلك غير جودة التمثيل، وبراعة القيام بالمطلوب من ايصال الحقيقة، ونقل الفتاوى والمفاهيم الى المتعلمات والمستفتيات.

لم تكن قط تشعر انّ لها حاجات دنيوية الى زوجها يلزمها الطموح ان تنالها عن اية سبيل، وبشتى وسائل الضغط، من: الحاح، او توسل، او ملاينة، او مكايدة شعورية، وهي تصاب بهاجس الذعر حين تتصور حاله لو كان مع واحدة غيرها لا تفهم هويته الرسالية، ولا قيمته في ميزان جهاده وحضور ربه في قلبه، ولا يهمها الا ان يحقق لها رغباتها، ليذوق في ذلك مساءة الاضطهاد النفسي، ومرارة المكابدة التي تأتلف مع مراراته، ويتنكد فيها قلبه الشريف بضد مشتهاه من السكينة الزوجية التي تعينه على غموم مسؤوليته ودوره.

لقد رضيت به غاية الرضا ولو لم يضع رغائبها في مطلع القائمة، ولو لم يكن أوفر وقته الا لرسالته، وطلابه، ولأمه، واخته، ولو لم يضمها واياه بيت زوجية يفرده لها وحدها، وتكون فيه اصل مشاغله، ولو لم يكن تواجده في البيت الا في غرفة امه حيث لا تجد غرفة زوجته نصيبها منه الا ساعة نومه.

لقد رضيت به أوفى الرضا ولو لم تجد عنده الا زفرة وارية وحسرة ضارية لدأبه الذي صرفه عن شؤون الحياة الزوجية بكل دواعيها وعطاءاتها والتزاماتها التي يعيش الاخرون معها جل وقتهم، ويعطونها الكثير من همومهم ومتاعبهم. وهو حين تتوسل اليه زوجته ان يريح ركابه، ويستروح شميم الهدوء ساعة واحدة ـ لا تجد عنده الا جوابه المعهود:

(هذه مسيرتي، وانا في قطار الصعاب والمزعجات حتى يقضي الله امرا كان مفعولا.)

لقد رضيت به كل الرضا حتى حين لم تكن تجد عنده موافقته على امر تشتهيه، فلا يقرعها رفضه بقارعة الشجى أبدا، لان قلبها المعجب الوفي متمحض للانس والسرور بزوجها على كل حال من احواله معها، لان هذه الاحوال كلها محمولة على التقى واليقين والحب المتين.

لقد رضيت به كل الرضا وهي تعلم انه لم يأتها الا في عقده الثالث، بعد ان كاد يُذهب زهرة شبابه مع قضيته وجهاده وأمانته الكبرى، حيث اقبل عليها بكل عقله، وحكمته، ومسؤوليته، وامتلاء قلبه بمعشوقه الاوحد وهو مبدؤه الذي رجا ان يجد له في ابنة عمه عوناً نفسياً متيناً على طريقه الذي يواصل فيه مسيرة ذلك العشق الالهي الذي استغرق وجدانه، وكيانه، وزمانه، ومكانه.

لقد رضيت به اعجب الرضا المشفوع بالدهش من استطاعته الباهرة في بيته وعائلته ان يوازن بكل كياسته وفطنته قضية الشعور والعلاقة بين بره بأمه، وحنانه لاخته، ووده لزوجته، بلا حيف او جنف او تضييع، حتى بلغ صنع هذا الامر مبلغه العجاب في روعة الانسجام العائلي العابق بالوئام والسلام، الذي جعل هؤلاء الثلاث المكرمات معينا ثرّا بالصفاء المستوعب، والتلاحم الوثيق، والتواصل المشحون بالعطف واللطف والايثار.

لقد رضيت به واعجبت وازدادت ولَهاً عندما استدعته ان يقبل هدية التاجر المؤمن الذي رغب اليه ان يشتري له بيتا يكون به حاله حال الآخرين ممن ملكوا البيوت واستراحوا بها من مشاكل الاجارة وتبعاتها، ولكنها حين تحدق بعد ذلك في سماء المكرمات لزوجها المحلق في الملكوت – تقرأ رده رغبة ذلك التاجر برفض هذه الهدية لنفسه، وقبولها لسواه من طلاب الحوزة المعوزين، فيملكها الانبهار بشموخ النفس المترفعة، وترى نفسها قد امتلكت بدلا من ذلك البيت الترابي قصورالمجد البهية التي شادها ابو جعفر بهذا الموقف الفريد من الايثار الذي عز مثيله.

ولا ينسى هو ان يهمس في اذنها الكريمة بعد رفضه العطية:

(لكم الله فلا تقلقوا، وهو كفيل باموركم، ولن تضيعوا في ساحة رحمته ورعايته.)

لقد تحولت راحته حتى في (لا شعورها) فريضة مقدسة صارمة الالزام بالتقيد والاحتياط، فهي تهاب ان تتخلف عن حق الاداء حتى لو اذن لها هو ان تجد راحتها على سجيتها وكما تحب، فهي حين تكون معه في الكويت على الطريق الى بيت الله، ويعطيها ما يكفيها للوفاء برغبتها في شراء ثوب لابنتها مرام، وحيث كان يمكنها ان تشتري على ما تحب من السعة، تجد انها ملزمة برقابة ضميرها ان تشتري على ما تظن انه يحب من الاقتصاد، لتعيد الباقي اليه وان كان هو لم يرغب اليها في ان تعيد اليه شيئا.

لقد صار شأنه مسؤولية كبرى في وجودها، تنظر اليه نظرها الى الواجبات الشرعية، ما دام قد استحال خدمة منذورة للرسالة بلا تحفظ نذرا حظي بمنتهى العزم في الصون والالتزام، وبغاية الحزم في الممارسة والتنفيذ.

وعلى ضوء هذه المسؤولية التي اكبرتها غاية الاكبار في وجدانها ـ كانت تتخلى عن ذاتها لتصوغها صياغة مثلى في اطار الاحترام والتعظيم

والرقابة المستقصية على التصرفات والكلمات والمواقف بفرط التدقيق، حتى لا يكون فيها الا ما يناسب ذلك المقام الماثل امام عين القلب النازه، المستلهم، المتيقظ، الموصول بالتسامي على الدوام.

لقد بذلت له من وقتها وجهدها وعواطفها بلطف تفرغها له ما لم يبذل هو معشاره لعدم تفرغه لها، الا انه كان يجد في زحمة المشاغل الكبيرة فرصة البذل لبعض ما تستحق على مقدار ما يظفر به من تلك النهزة التي يسعى ان يغنم فيها رضا الله بارضائها، ومن هنا تقول هي صادقة لا تعدو الحقيقة "انها قد اعطته اكثر مما اعطاها"، ومن هنا ايضاً كان هو يعتذر اليها من عدم وجدانه فسحة القيام بما هو جزاؤها الوفاق لحق الزوجة الوفية، وكان عذره عندها مقبولاً، ليجد هو في ذلك القبول سراء خاطره، وراحة وجدانه، وشفيعه الى استقرار نفسه اللوامة.

لقد رضيت به اتم الرضا حتى وهي تدخل بيته المدقع الخالي من اساسيات اللوازم المنزلية كالثلاجة والمبردة، لتقوم هي بشرائها مع فراش جديد تستبدل به العتيق الذي تهرّأ، محبورة غاية الحبور بما تفعل، مفعمة الجوارح والجوانح بأنسها الخاشع العجيب ازاء لطف الله بها ومنّه عليها بهذا الزوج الاستثنائي، الذي حرم نفسه زخرف الدنيا بإرادته، واجتالها عن سفسافها برغبته فداء لرسالته.

لقد رضيت به اشهى الرضا وهي تجد امامها مدرسة في الزهد يجب عليها ان تتعلم فيها دروس التقشف، والاعراض عن الدنيا، ومساواة فقراء الامة، ومواساتهم. وتجد نفسها امام زوج يمنعها ان تشتري الفاكهة في أول وقتها الى ان تكون مبذولة للجميع باسعار يطيقها الفقراء ايضا، ويمنع بناته ان يشترين من حانوت المدرسة ما لا تشتريه سواهن من الفقيرات، وهو يثقفهن منذ نعومة النشأة ويفاع الحداثة على ثقافة التزهد، ومراعاة مشاعر الاخرين

من المحرومين. على ان ام جعفر لم تَعدِم ان تجد من بين نساء الكبار من يزرنها او تزورهن فيتحدثن لها باعجابٍ ساه مفتون عن حالهن مع الغنى والبهارج وزخرف المتاع، فتسمع شاردة الذهن بلا اذن واعية، وتنظر في وجوه محدثاتها بلا إصغاء كأنها ساهمة، وهي تشعر ان لهو الحديث هذا يخرق بنصاله قلبها المتزكي المحجوب عن حب الدنيا بمواعظ زوجها في ذروة الاتعاظ، وبانجذابها الى وجوده الشريف المكابد المأزوم بالبلاء انجذاب الفراشة الى لذة النور ولو كان فيها احتراقها.

لقد رضيت به كل الرضا وهي تأوي الى بيته المرمل الذي لم يتكلف حتى تزويقه بالاصباغ، حيث حداها ذلك على ان تقوم هي بصبغه بيدها، لان غير ذلك يعني صبّاغا يريد الاجور التي لا يبذلها زوجها المتقشف الملتزم بفرض الريادة الآمربالتبلّغ باليسير، والتجافي عن امور لا يراها من ضرورات الحياة ومستلزماتها المفروضة.

لقد رضيت به منتهى الرضا وهي لم تعرف معه منذ الخطوة الاولى في زواجها الا مفاهيم الجهاد والتحمل واسوء الاحتمالات في المواجهة الحامية المستمرة ضد الظلم، ولم تسمع منه مع بعض كلمات المحبة الا اضعافها من الآهات، والحسرات، وعبارات الاسى المستفحل لحال الامة، وتكالب الاعداء، وتراجع الحضارة الاسلامية، بل افولها امام الجاهلية الجديدة.

لقد اكبرته في نفسها ايّما اكبار حتى وهو يتعتب عليها شيئا زائداً من اللباس الذي لا يزيدها حسنا في عينه المشدودة الى جمال الروح الباهر، ولباس الاخلاق القشيب، وزينة الفضائل الساحرة.

لقد قدسته وذابت في تقديسه حتى وهو يغير كل مفاهيمها عن مندوحة الدنيا، ويستبدلها بمفاهيم الصرامة في نبذ التعاطي مع المتاع الزائل وان كان مشروعا ومستحبا لسواها، لان زوجة الرائد في نظره هي اللافتة

الاولى التي يسجل عليها للشطر الثاني في الامة وهو المرأة مقدار صدقه، ونزاهته، وتأثيره، ومحبوبيته لدى الناس.

لقد هامت في اكرامه واجلاله حتى وهي تخيط الفتيق لكي لا يهمل ولا يستبدل، وتأكل الخبز بإدامه من البوراني – شرائح الباذنجان المقلية – مع كل الاسرة في صَحفة واحدة، ولا تنسى ان تكون يدها اولى الايدي التي تكف عن الطعام، حتى تكون آخر شريحة من نصيب غيرها، ولكن الجميع يحذون حذوها، فتبقى الشريحة الاخيرة نصيب الاهمال، لان كل واحد يريدها لغيره.

لقد اعطته كل قلبها مرتعا لحبه واعظامه حتى وهو يجاهرها بان قلبه مسكون من قبل سواها وهو ربها وعقيدتها وامتها، بل حتى وهو يسمي لها اشخاصا معينين هم موضع وده واجلاله مثل: امه، واخته، وابن عمه موسى الصدر، واثنين اخرين، ويلزمها ان تحبهم، وتحترمهم، ولا تقع في محذورالاساءة اليهم، لان ذلك خط احمر لا يجيز لها الاقتراب منه فضلا عن اقتحامه، حيث تدهشها هذه المبدئية الحازمة في التزام المثل الانسانية، وسجية الوفاء المكين الى هذه الدرجة من الدقة والانتباه والمثول.

لقد اكبرت فيه كل مواقفه وتصرفاته وكلماته حتى فيما يتراءى لها فيه خلاف رغبتها، فهي ترى في ذلك كله عبقات ساحرة من روض الملاك الحبيب الذي تتباهى به في نفسها، وامام من يتباهين بأزواج الثراء والرفاه والدنيا الواسعة، وتفتخر امام الجميع انها تزوجت وليا من أولياء الله، واقترنت مسددة برجل ليس اعتياديا، فهو بدلائل التجربة الماثلة مكلوء برحمة الله وعنايته، وان يد الغيب ترعاه وتقوده الى ما رُسم له من الشأن الكبير في لوح التقدير.

لقد شغفها حبا حتى وهو يروعها بمخاوفها عليه من السلطة الجائرة، حيث تراه بين فترة واخرى يكبل باغلال الطغاة، ويجر الى المعتقلات، وتظل

هي تبحث عنه بكل هواجسها وقلقها، فلما وجدته احدى المرات معتقلا يعالج من وعكته تحت رقابة الجلادين في المستشفى ـ استأذنتهم ان تقدم له الرعاية التي لم تبخل عليه بها ابدا ما سنحت لها الفرصة لحظة واحدة.

ويلتفت هو اليها بكل اعجاب وتقدير ليقول لها:

(حتى هنا يا ام مرام لا تكفين عن بذل عوائد الرعاية والاهتمام والاخلاق النبيلة؟!)

ونفس هذه المضامين يرددها على سمعها عندما كانت معه في سفر الحج وهي تعد له بعض الطعام اللذيذ الذي يشتهيه، ويستعذب فيه ذوقها ومهارتها وروحها.

لقد رضيت به رضا الموقنين المعتصمين بعروة الاستشفاف والاستشراف الصدوقين حتى وهي ترى بعين الشواهد اللائحة من تصميم زوجها وتوقعاته ـ بل نبوءاته ـ انه يحمّلها اثقال العناء المهول بحماسة الذود عن حمى الامانة التي سيتركها من بعده، وهي أمانة صُلبه الكريم في تلك الزهورالحالمة التي زهت وعبقت في وجوده الميمون، فلما حق التأويل كابدت بكل الرضا المحبور بالتسليم والاحتساب اقسى الظروف والمحن في دوامة الحيطة والحذر والترقب، بين اسوار الرعب، وزئير الكواسر، وقصف الرعود، وغيلان الكوابيس الليلية التي شاطرت بأرقها اللاذع كوابيس النهار وظيفة التنغيص.

وتمتد الايام بلوعة هذه المؤتمن المكابد مع المرارات والفواجع والنكبات على مسار البذل والفداء – ليتجرع فيه حتى الثمالة كؤوس الحنظل التي استمرأها بالصبر والتسليم لما كتب الله له من واجب الدفاع عن بقية الراحل العظيم وافلاذ كبده المجيدة، ليتجلى المشهد المهيب امام ناظرة المكارم والمحامد هالة غلّابة من الحنان البديع، تظلل بافيائها الوارفة على

انفاس الشهادة التي ابى الله الا ان يبقيها امتداداً مباركاً لذلك النجيع الطهور.

هكذا كانت هي معه ومن بعده:

حضورا متفانيا، متصلا، ملحّا، بلا انقطاع، كله خلوص، وقداسة، واكرام، واهتمام، ومشاعرمفعمة بالحب والوفاء والعزم على العطاء بلا كلل أو ملل.

ولكن كيف يا ترى كان هو معها؟.

وبأي اسلوب من اساليب الممارسة المثلى عايشها؟.

وماذا رأت من عطاءات فؤاده، وعبقات روحه، وابداعات سلوكه الزوجي السديد؟.

تقول العلوية الفاضلة (ام علي):

لقد كان معها بمقدار حبها، واكبارها، واعجابها، وتصميمها على ان يحظى عندها بما اراد من السكن الانوس – قلبا يجيش بما يجيش به قلبها الزكي، وروحا تتوثب الى الشكر بمواهب العمل الرضي، والممارسة الكريمة، والكلمة الطيبة، وتصديق الاحاسيس المعجبة بالفعال المعبرة والكلمات المؤثرة.

١ ـ كان يحس بدورها وقدرها وضرورتها لنفسه، ورسالته، واوصابه، وجراحه، وبضرورتها من بعده لقضيته وثَقَله ونسائم ظهره، وهو حتى في آهاته التي كان يتجمر بها فؤادها، وفي نبوءاته من معدن الاستلهام عن مصيره – انما كان يضع على عاتقها وظيفة الاحتمال، والمواصلة، واداء الامانة على احسن وجه.

٢ ـ كان يذكرها بخير امامها وفي غيابها، ويمتدحها امتداح التسديد، والترشيد، وتعميق الاواصر، ويجعل كلماته المعسولة معها شفيعا بعائدة التقديرلادخال السرورعلى قلبها الكريم، حيث يعطيها هذا الثناء احساسا

بالمكانة عند هذا الرجل العظيم الذي يؤمّل فيها منتهى سعادته النفسية التي قدرها الله في فطرة الخلق بالزوجية السعيدة القائمة على المودة والرحمة.

٣ ـ كان يعتمدها وسيطا بينه وبين المؤمنات في الامور الشرعية، وهو يعطيها الدعم المعنوي الهائل بهذه الثقة التي استحقتها بكل جدارة، ويُسمعها اطراءه لها على براعتها في اجوبتها للسائلات والمتعلمات، ويصفها بانها اجوبة انسانة متفقهة عارفة بدينها ورسالتها. وبسبب ثقته الكاملة بفهمها وكياستها اعطاها الخطوط العامة للتصدي النسوي في المجال الشرعي، ومنحها سمة الوكالة.

٤ ـ لم يكن يسمح لنفسه ان يؤذيها حتى ولو بأنْ تسمع منه ملامة او عتباً، مهما كانت الظروف التي يخرج فيها بعض الناس الاعتياديين عن اطوارهم لينفسوا عن سعار غيظهم الدفين في نسائهم عند اي هفوة من الهفوات او هَنَة من الهنات.

٥ ـ كان يثني عليها لكل ما تفعله في البيت، مستحسنا عوائدها، شاكرا فواضلها، مبديا اعجابه بكل انجازها، حتى انه ليصف ما تصنعه يدها من الطعام بانه يعلو ولا يعلى عليه، ولا يواجه ما تقدمه اليه الا ببهجة القبول وغاية الاستحسان.

٦ ـ كان يظهر منتهى فرحه واهتمامه بها لما تنجبه له من بنات واحدة تلو الاخرى، ويعتبر ذلك من علائم بركتها وقربها من ربها، اذ ينعم عليها وعليه بالحسنات واسباب الفضل والرضوان، ويبدي لهؤلاء الصبيات الطواهر غاية حفاوته وسروره، ويتصاعد به الحبور وشكر المنعم الوهاب سبحانه الى درجة فريدة لم يبلغها احد سواه من افذاذ الناس خارج دائرة المعصومين، حيث قام بوضع الورود الخمس التي ترمز اليهن في خاتمه. وقد تكفلت مذكرة (الصدر ورياحينه) من مذكرات اسرة الشهيد الصدر في مجلة

الرياحين بالتحليق في ابعاد هذه المفردة العجيبة من مفردات التعامل الشعوري من قبل الصدر مع افلاذ قلبه الاناث.

٧ ـ كان يحس بفراقها في نفسه التي تحتاجها حرصا شفيقا، وشعورا رفيقاً، وكلمة ناعمة، واهتماماً منعشاً.

وقد يبدو هذا الاحساس بالنوى في بعض حالاته مفرط التحريك لشعوره الهيمان، حتى انه ليدعوه الى ان يغبط اهل زوجته الذين تتواجد عندهم، حيث يُلفون كما يتصور محقا نفس ما يلفيه هو في قربها وجوارها.

يقول في احدى رسائله اليهم حيث هي ثاوية عندهم:

(تسلمت برقيتكم العزيزة تبشر بوصول الاهل والاطفال، ولئن كنت اغبط كل شئ هناك لأنه اقرب مني الى فاطمة والاطفال، فإني اغبطهم لأنهم سعدوا دوني بالاستظلال بظلالكم الوارفة، وعاشوا في هذه الظلال الكريمة لقاءات سعيدة مع الاحبة والاهلين.)

كان يظهر السرور كله في لقائها عند عودتها، لتشعر في أعماقها بمدى ما تركه فراقها من أثر في نفس هذا الزوج المحب الوفي الذي لا تزال ترن في مسمعها عند أولى خطاها في سفرها كلماته المعبّرة في وداعها، ورجاؤه منها ان تعجّل الاياب ولا يطول بعادها.

٨ ـ كان كثير الذكر لاهلها، والثناء عليهم، والاشادة بمناقبهم، معتبرا ذلك بعض حقهم عليه لكونهم ارحامه، وبعض حقها عليه لكونها ابنتهم الاثيرة، وكان هذا شميماً ذاكياً من روضة الود العميق الذي يكنه الصدر ويبديه لام جعفر، ولا عجب، فمن احب انسانا بذل الحب لاودائه ومحبيه بزلفى احترام الحبيب وشفاعة اكرامه.

٩ ـ كان يسرّه كثيرا ان يؤدي واجب الشعورالنبيل ازاءها حتى في صيامها المستحب، حيث يلزمه قلبه البرّ المرهف العطوف بالحضور ساعة

افطارها ليؤنسها بمؤاكلتها، ويهنأ بمذاق الطعام معها، فقد كان دقيق الرقابة النفسية لمشاعرها ومواضع سرورها قدر مستطاعه في اداء هذا الفرض الوجداني اللازم في شريعة قيمه ومُثله واحاسيسه.

الصدر ورياحينه

(لقد اكرم الله الشهيد الصدر بابهى كرامات الانسان الكامل الذي منّ عليه ربه بأوسمة القرب، والحب، والرضى، والحضور الدائب في مواطن الخير، والرحمة، والثواب، والحسنات، والبركات، فهو اضافة الى انه في ميادين الفكر والعمل الرسالي كان طليعة الفتح، وصانع الانتصار، فهو رضوان الله عليه في سيرته الذاتية كان يسطر الاعاجيب من المشاهد والمواقف التي يجب ان تكون منارة الاخرين الذين يتوسمون ان يكون سلوكهم على مسارالكمال الذي اختطته الشريعة الغراء طريقا الى سعادة الدنيا وكرامة الاخرة.

في مفردة من مفردات سيرته العاطرة مما يهم الرياحين وفي مجال حب الصدر لرياحينه الخمس، اي بناته، وبراعمه الحالمة التي حباه الله بها ورودا يشمها، ومصادر زلفى يتقرب الى ربه بحبها، والاحسان اليها، وحسن انباتها وتربيتها، كان قدس الله سره يتعامل مع افلاذ قلبه الطهور من اناثه اعذب التعامل، ويزاوج في سيرته معهن بين الشعور والشريعة، وهو يمزج خلجات الفؤاد الشاعر الحساس بتوجهات الرسالة على صعيد التعاطي الابوي مع من وصفتهن تلك الرسالة بقولها على لسان هداتها الميامين: (البنات حسنات).

لم يكن الصدر يتمنى ان يكون في لحظة من اللحظات سبب ازعاج او كدورة لبنيّاته، وكانت نفوسهن البريئة الطاهرة مرتع شعوره الرقيق المفعم

بالاحاسيس، وبالعطش الى مناهل الوداعة والبراءة والطهارة، فكان ينهل منها ما يرتوي به، ليشكر الله على رحمته، ويؤدي فرضه الاكيد ازاء هذه الرحمة بترشيدها، وتسديدها، ووضعها في شغاف القلب، ولسان العين، ودائرة الاهتمام على الدوام. ولم تكن مشاغله الكثيرة مع علمه وجهاده وامته لتلهيه عن هذا الفرض المقدس، فكان يتعاهدهن باشواق الروح، وعبقات الضمير، واحضان الرعاية الشفيفة الشفيقة. وحين يستريح اليهن بعد عناء الجهد الرسالي يجد لديهن في تلك الارواح الملائكية البريئة غاية بهجته وانشراحه، حيث لا يخلو حضوره بينهن من عوائده السنية من الكلمة الطيبة، والموعظة الحانية، والعبرة المربية، والنصيحة الشافية، والدرس العملي البنّاء.

وكان يطلق عليهن احلى الالقاب، ويناديهن باعذب النعوت، ويصفهن بأرق الاوصاف، وكان انسه بهن طاغيا على وجوده بجوارهن الى حد يجعله لا يحس حتى بصخب طفولتهن الوادع، وتجاذبهن البريئ امامه، فهو مع ذلك يسرح مع فكره وقلمه في ميادين البذل بلا حاجة الى ما يسمى الهدوء والخلوة وصفاء الذهن، لانه معهن في منتهى السعادة والاستقرار وراحة البال التي تزيده انسا يعين عزمه على المواصلة، وحث الخطى على طريق العطاء.

لقد كان حبه لبناته حبا عجبا، رأى فيه نزهة نفسه في رياض السعادة، ولذة الاحساس باللطف الالهي الذي منحه هذه الرياحين التي يكرم الله بها احباءه، ليزيد فضله عليهم بعوائد حبه واسباب قربه، وكان هذا الحب والاحساس بالنعمة حاضرين عنده قدس سره على الدوام، عبقات منعشة في الشعور الفينان، ومنشطات وثابة في الضمير اليقظان، وعزمات اخرى تضاف الى عزمات سعيه على طريق الرضوان. وتبلغ درجة احساسه النبيل بطهر العلاقة وقدسيتها مع ربه في تعامله مع بناته واكرامه لهن، انه طاب ثراه جعل ذكراهن واصبة امام عينيه في خاتمه الذي نقش على عقيقه ورودهن الخمس،

لتكون تلك الذكرى ملتصقة بجسده التصاقها بروحه. ولا يعجب الرائون العارفون بهوية الفهم الاسلامي السديد الرشيد لدى ذلك الرجل العظيم حين يبصرون ظاهرة الخاتم المورّد الذي لم تنقش عليه الآيات والدعوات، بل الورود المشيرة الى انفاس قلبه النبيل، فهم يعلمون ان هذا الرجل الاستثنائي في فهم الشريعة، هو استثنائي ايضا في تجسيد معالمها وهداها وتعاليمها، ولاسيما في طبيعة السلوك في مفردة من المفردات الحساسة التي تحتاج الى منتهى عاطفة الفؤاد، وغاية سعي الاعتصام، وهي مفردة الرياحين التي يرى فيها الصدر نصف الكيان، ووصية القرآن، وشريكة الدرب، ومنبع الحب، وصانعة الجيل، وثورة العطاء، ومبدعة العظماء، وسياج الحصانة، وسر الوقاية، وحلم الزهراء سيدة النساء، وكتائب زينب الحوراء، والهدف الاول للخصوم الحاقدين الكائدين للاسلام شرالكيد، الذين اعتبروها في (بروتوكولاتهم) اساس غلبتهم لو افسدوها، واخرجوها عن فطرتها وشريعتها.

لقد جعلهن الصدر رهن فكره وعاطفته، وقرين بصيرته وباصرته، وتصميمه الفذ على ملازمتهن الى آخرالمطاف، فأخذ ذكراهن معه في قلبه وخاتمه الى مقصلة الموت، والى روضة الضريح، لتستعلن من هناك قصة هذا الموقف الشامخ الفريد، من خلال كرامة الجسد المصون بلطف ربه من عوادي القبر. ويظهر الخاتم الميمون بوروده الخمس التي ابت ان تفارق الجسد كما ابت ان تفارق الروح، ليقرأ الناس في هذه الملحمة القيمية الباهرة اسطورة الابداع الصدري في تجسيم المفاهيم والتعاليم، ووصية الصدر الشامخ لذوي الدين والشعور باسباب القرب والسعادة التي يقع في طليعتها سبب التعامل المطلوب في واقع المسيرة العملية حسب الفروض المقررة في الشريعة، والتي يكون اهمها حسن التعامل مع الناس، واداء حقوق الاخرين، لاسيما الرياحين، لتسعد الامهات والبنات والزوجات في نعيم الحب

والاحترام، وفريضة الاجلال والاكرام.)

(يتواصل الحديث...... عن الشهيد الصدر ورياحينه الخمس اللواتي رأى فيهن مظهرا من مظاهر الكرم الالهي، حيث حباه الله بهن رياضاً زاهرة تسرح فيها روحه الشاعرة في مباهج الانس والنعيم، وتحنن عليه بهن مغانم وافرة من البركات والحسنات والاجر الكريم.

وقد كان رضوان الله عليه حساسا جدا في سعيه لتربيتهن التربية الفضلى التي رسمتها شريعة الاسلام للاولياء والمربين، كي يبنوا عليها كيان المرأة المسلمة المثالية التي هي اساس الاسرة الرشيدة، والمجتمع السوي، والوجود الانساني السليم.

كان اعلى الله مقامه يجمع في اسلوب تربيته لبناته بين الرقة، والدقة، والفطنة، وحسن الاختيار لاساليب التوجيه الذكي، والموعظة الناجعة، والنصيحة الهادية. وكان يسعى جاهدا ان يدخل مفاهيمه التربوية في اذهانهن الفتية الناعمة بافضل السبل وايسرها واسهلها نفوذا الى قلوبهن، مما يعطيه النتيجة التهذيبية المطلوبة التي يسعد بها غاية السعادة، حيث يرى براعمه الحالمة تنقاد سلسة بين يدي تعاليمه وتوجيهاته وطموحاته الشريفة لمسيرة الكمال التي ينشدها لفلذات كبده، وعبقات روحه.

ومما يمكن الاشارة اليه في هذه العجالة من مواقفه التسديدية الرفيعة لرياحينه:

١ ـ كان رضوان الله عليه يناديهن باعذب الالقاب والصفات، ويستخدم في مناغاتهن ومحاورتهن ارق العبارات والكلمات، وكان ديدنه معهن ان لا يقسو معهن حتى لو كانت هناك مفردة من تصرفاتهن تستحق التنبيه، وقد أوكل ذلك الى زوجته الشفيقة حسب اتفاقه معها، باعتبارها اقرب منه اليهن، واكثر توفرا على الوقت لمتابعة شؤونهن، وكان يرى ان بقاء دوره معهن

متمحضا للحب والحنان والسماحة يعطيه مجالا اوسع للتأثير فيهن، انطلاقا من دور العاطفة في العملية التربوية، والتي توازنها في الطرف الآخر عند امهن اللبيبة المدبرة قضية الحب الحازم الرقيب.

٢ ـ لم يكن يجبرهن على انجاز اي عمل، او قبول اية فكرة الا بالتفاهم والحوار الذي يصلهن بالقناعة التامة التي ينطلقن بها الى الاعتقاد والتنفيذ برحابة الصدر المستقاة من الرضا الوجداني الكامل.

٣ ـ كان يوجههن الى التواضع للآخرين، وعدم استغلال اسم الاب وامجاده للتعالي عليهم، او التباهي امامهم، ويؤكد بمحضرهن رفضه ان يكتب امام اسمه الشريف اية عناوين مدح او اطراء او تمجيد، ويملأ مسامعهن الوادعة بالرواية المباركة المعبرة الواردة عن الامام الصادق عليه السلام: (ولايتي لعلي ابن ابي طالب خير من بنوتي) ويسمعهن على الدوام قول الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله: (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى).

٤ ـ عند دخولهن سن التكليف يقوم هو قدس سره باداء الوظائف الشرعية المطلوبة منهن كالوضوء والصلاة امامهن، ويبادر الى اصلاح اخطائهن في هذا المجال بالطرق البارعة في التقويم والترشيد التي لا تثير عندهن اية حساسية او انزعاج او تأثر.

٥ ـ كان يشجعهن على الصيام عند بدء تكليفهن بفريضته، باساليب مبتكرة من اساليب التحفيز والتحبيب، فيسمح مثلا لمن تُكلف منهن ان تختار نوع الفطور الذي تشتهيه مما هو متاح من امكانات البيت، ليشعرها بالتميز الذي يجب ان تكرم لاجله وهو التميز العبادي، وكان يعدها ويلزم نفسه لها بجائزة عند انتهاء شهر الصيام.

٦ ـ كان يغمر شعورهن بحب قراءة القرآن، والانغماس في سبحات الكلام الالهي المجيد، والمواظبة على التحليق في افضية الادعية والمناجاة،

ويذكي فيهن الشعلة الروحية الوهاجة، والتوجه العرفاني منذ نعومة الاظافر.

٧ ـ كان يعودهن على التقيّد بالقيم والاصول الاخلاقية المناسبة لشأنهن، وشأن البيت الذي ينتمين اليه، وشأن الاب الذي انحدرن من صلبه، ويحسسهن بوجوب ان يشعرن انهن فوق سواهن في صرامة التقيدات الادبية والاخلاقية، ولا يصح لهن ان يرغبن بالتساوي مع اترابهن في التصرفات المشروعة، لانهن قدوة للاخريات اللواتي يتوسمن فيهن التزامات عالية، وسلوكا يناسب قدرهن الموصول بقدر ابيهن، ومن هنا كان يرفض مثلا ان يعطيهن ما نسميه (اليومية) للمدرسة بالمقدار الذي يمكنهن من شراء الموز الذي يباع في الحانوت، والذي لا تشتريه اكثر الطالبات من العوائل الفقيرة او ذات الدخل المتوسط، وكان يستثير فيهن عاطفتهن الجياشة الى المعنى الانساني النبيل القاضي بمواساة زميلاتهن اللواتي يعسر عليهن شراء ما يشتهين، فبنات من يتصدى لقيادة الامة يجب ان يكن كأضعف بنات امته في مظاهر الدنيا، عملا بقانون جده المرتضى لقادة الرعية: (ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدّروا انفسهم بضَعَفَة الناس كي لا يتبيّغ ـ يشتد ـ بالفقير فقره.)

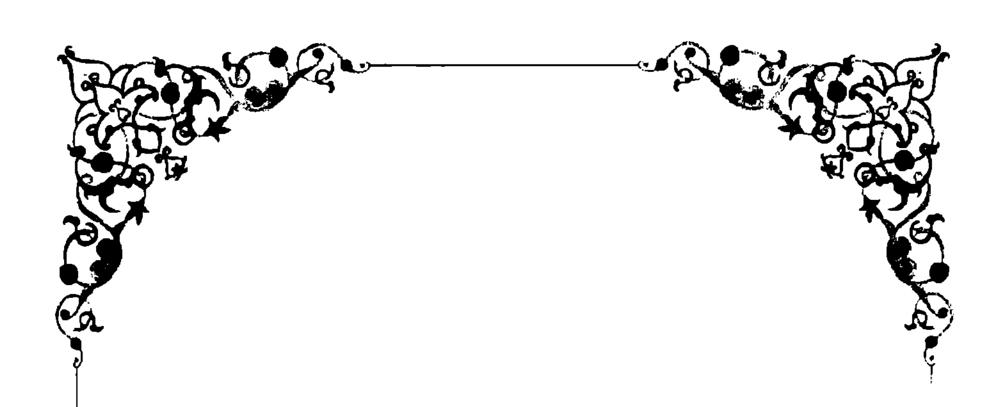
٨ ـ كان يتوسل بالذرائع العذبة المؤثرة لتحريكهن نحو مراده التربوي، فحين يدخل مثلا مع احداهن المطبخ، ويرى الاواني المكدسة التي تنتظر الغسل ـ على اثر ضيافة غير اعتيادية ـ حيث يصعب معها على امهن المتعبة ان تقوم بغسل الاواني، يبادر بكل لطف وذكاء الى تحريك ابنته الى القيام بهذا العمل من خلال دعوتها الى مشاركته في رفع هذا العبء عن كاهل امها، وحين تفهم الصبية الذكية المقصود تقول لابيها انها ستكفيه وتكفي امها هذا الامر بمفردها، وبذلك احسن هذا الاب المربي المتين الى ابنته بتوجيهها وتدريبها، واحسن الى قرينته المكرمة باهتمامه براحتها التي لم يشغله عنها

هم علمه وقيادته وجهاده.

٩ ـ كان يحتاط لدينه اتم الاحتياط في عدم الحاق الاذى بهن حتى في عادة ثقب الاذن التي يلتزمها الناس لبناتهم منذ طفولتهن، وكأنها حق مفروض لهن عليهم، وكان يرى بتقيده الشرعي الصارم ان هذا نوع من الايذاء لهن بلا موافقة منهن، والاولى عنده الانتظار حتى يكبرن، ليكون لهن الاختيار التام امام هذا الامر.

١٠ ـ وكان على هذا الصعيد ايضا يرفض ان يتم التصرف بما يؤتى به كهدايا في ولاداتهن، مفترضا ذلك ملكا لهن، لا يحق لاحد التصرف فيه الا لمصلحتهن، او يكون ضامنا له، يدفعه اليهن عندما يبلغن سن الرشد.

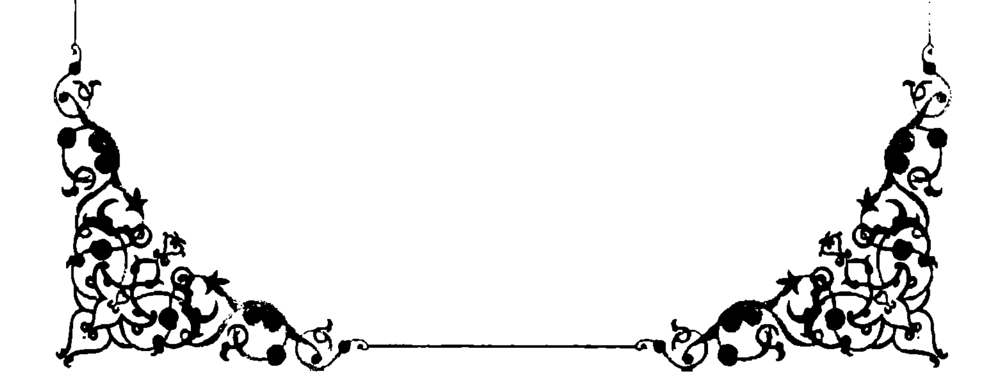
١١ ـ كان يركز في نفوسهن كراهية الدنيا، موضحا لهن بأبهى التعبير والتصوير ان زخارفها الفانية هي من متاع البدن الزائل، اما الروح الباقية فهي تستحق الخلود السعيد في الاخرة عن طريق الاعمال الصالحة، والافعال الكريمة، والاخلاق العالية، وان الانسان السوي هو الذي يخفف عن كاهله اثقال الدنيا واوزارها، ليسهل عليه عبور المضائق الاخروية حسب الحكمة المشهورة: (هكذا ينجو المخفون).



على خطى الإمام الحسين عليه السلام

فرضية التناظر بين

ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثورة الشهيد الصدر رضي الله عنه



تمهيد

في مصادرنا عن هداتنا معاضداً بواقع الحياة من دهر الدهور ـ أنَّ مقاطع العظمة تجدد بعشاقها، وأن ملاحم الانسانية تعاد بطالبيها، وأن وقفات الخالدين تتكرر على أيدي الاحفاد المتأسين، وبذلك يتجدد الدم في عروق المجد، وتتألق محاسنه التي تصوغها المكرمات، وتصونها المحامد، وتمشي بها مع الحياة أنساً وفخاراً لهفات القلوب التي تمحضت للعشق، ووثبات النفوس التي أنماثت في هوى الحق والحقيقة.

وفي مشهود تاريخنا، وبدلائل المحسوس الذي لاريب فيه: أن الرموز الخالدة تورث ابناء الخط خصال الخلود في مشارق المعرفة والتبيين، وفي حماسات الممارسة والتمرين، فأذا بهم بعد ان عَرَكتهم المحن، وضرّستهم الآلام، وعجمتهم الخطوب ـ قد عادوا نسور الهمم، تنقلهم بحولها في آفاق الوفاء والتأسي والالتزام، مهما كان في ذلك من دعارة الصروف، وعرامة الأوصاب، وجيشات الغي والجهل والعناد، لكأنما ولدتهم امهاتهم افلاذاً من كبد العلياء، ولا غرو، فهم سجايا العظماء الغابرين تنبت في صدق المواثيق، لترد الوصوب الفذ الشامخ العملاق في عزمات الصادقين.

وفي مسيرتنا التي شهد لها الدم المقدس المهراق على ثرى الرافدين، وكتب شهادته على جبين الاباء بأروع مشاهد التضحيات ـ تجددت حذو القُذّة بالقذة أو كادت أقباس سطعت في أفق العظمة، وشهب لمعت في سماء الكبرياء، ومآثر باهرة فاح عبيرها يسحر الارواح التي أعتقب عليها الزمان وهي تهيب بالمجددين، حتى هب لها الكماة الشوس من ابناء العقيدة يسطرون للاجابة مالم تره عين الخيال النافذ والاماني المحلقة، مما دوخ الألباب، وحير الفطن، وأعاد صدر الاسلام في مناقب الجهاد الفذة حياً

للرائين، بعدما انطوت الآماد، وتصرمت الاحقاب، وهي تحت دثار القرون تكابد قسوة التضييع والتعتيم.

وقصة الصدر أغرودة فاردة صدح بها عندليب الفخار، معيداً الى الذاكرة بواقع ملحمي فريد – تلك الرؤى الحالمة لحماسة الحسين الخالدة، أثيرة القلوب العلية، ومهوى النفوس الزكية، حيث يسطع اريج المجانسة الكبرى من رحم الآصرة الكريمة، ويضوع مسك التواشج من روضة المحتد العظيم، وينبثق فجر الانسجام والمواءمة من روح الأقتداء الباهر بتصميم آسر على حسن التأسي والمحاكاة على درب التضحيات، مهما كانت الاثمان والتبعات.

وها نحن في هذه الصفحات مع بعض أوجه الشبه بين وقفة الصدر وأصلها ثورة جده معين الملاحم وفخرها، مذ أشرقت من صبح العلياء على كف إمام الثائرين وسيد الشهداء.

وسنرى في وجوه التماثل كيف ان الآيات البينات للواقع، والامارات الهاديات منه تهدي وتشير الى روح التناظر المحير بينهما، بل تدل دلالة مذهلة على سجية المشابهة الفريدة بين كثير من خصائص الثائرَين وسجايا الثورتين.

وأي عجب في ان يشبه الصدر الفذ أباه في جم من شمائله وشؤونه؟، وهل الابناء الاّ نبات آبائهم؟، وهل محاكاة الابناء آباءهم إلاّ دليل عمق الاصالة، وصدق روح الانتساب؟.

الاساس العقائدي للبحث

الوجود العظيم بما فيه (منظومتنا الانسانية) تحكمه سنن كونية وتاريخية صارمة، وكل ما فيه من حركة منضبطة بالنظام القسري، او ملتزمة

بالانضباط في نهج الله التشريعي ـ يحكمها قانون الله البصير الخبير الذي اراد لهذا الكون بما يتضمن مما نبصر او لا نبصر، ومما يشعر او لا يشعر من خلقه سبحانه ان يكون تحت صرامة ناموسه والزامات سننه.

وان كل كلمات الله وآياته الكونية التي برأها ب (كن فيكون)، وكل كلماته وآياته التي اصطفانا بها بارادته التشريعية وامره ونهيه ـ تمشي متوائمة مترابطة على نهج الوحدة الكونية والانسجام الوجودي الباهر. وبعبارة اخرى ان كل شي خلقه الله او قاله او صنعه على عينه انما هو قدر مقدور، مدبر بحساب دقيق لا يشذ عن القاعدة المقررة له، ولا يتخلف عن المسار المرسوم، كل شي، وكل امر، وكل قضية، وكل كلمة تصدر عن إرادة الله تكون على اكمل وجه، وفي موقعها المناسب، بميزان عجيب يحير العقول:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

تندهش عقولنا في واقع الكلمات الكونية المنسجمة المتناغمة بالدقة الالهية التي بنيت على اساس رياضي مذهل، وعلى حكمة فذة تنصعق من فرط شموخها الالباب، وفي واقع الكلمات الربانية التشريعية الموحاة نجد القرآن على كثرة سوره وآياته قد وُضِعت سوره في محلها بين الدفتين، ووضعت الآيات في مكانها داخل السور، ووضعت الكلمات في موقعها من الآيات، ووضعت الحروف حيث يجب من الكلمات، وهذه القضية المحيرة التي اثبتتها العلم، وغاص في اعماق الذهول عندها (الحاسوب) بدقة حسابه، وصرامة ارقامه، ومن قبل ذلك اثبتتها الوسائل البشرية المحدودة عن طريق علم البيان، والبلاغة، والتاريخ، والتفسير السليم عن اهل الذكر الذين يضعون

النقاط على الحروف تنزيلاً وتأويلاً.

وعلى سبيل المثال العلمي من عشرات الأمثلة المعجزة التي هي في الواقع وعد الله الصادق بنصر كتابه واثبات احقيته: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصّلت: ٥٣].

نلاحظ موقع سورة الحديد في القرآن برقم ٥٧، ونرى موضع الآية التي جاء فيها ذكر الحديد من هذه السورة برقم ٢٦، ويقول لنا العلم التجريبي ان هذا شاهد على ان كل شي في القرآن هو بقدر، فالوزن الذري للحديد هو ٥٧، والعدد الذري له هو ٢٦، ويهمس العلم في آذاننا بخشوع ان مذهب اهل البيت الذي جعل البسملة آية من القرآن بل اعظم الآيات ـ حق لا ريب فيه، لاننا اذا الغينا كون البسملة آية كما يفعل اتباع المذاهب الاخرون ـ لاختل امر الاشارة الى العدد الذري للحديد، وكان الحساب في السورة ٢٥ وهو خلاف الحقيقة العلمية.

وعلى شاكلة هذه المفردة الباهرة كانت سورة الدخان التي يكون موقع ترتيبها في القرآن برقم ـ ٤٤ ـ حيث يقول العلم الحديث ان الوزن الجزيئي لثاني اوكسيد الكاربون الذي يكوّن معظم الدخان هو ـ ٤٤ ـ ايضاً، مع العلم ان الوزن الذري للكاربون هو ـ ١٢ ـ، والوزن الذري للاوكسجين هو ـ ١٦ ـ وان مركب ثاني اوكسيد الكاربون يتألف من ذرة كاربون + ذرتي اوكسجين، فيكون المجموع هو ـ ٤٤ ـ.

وفي الواقع الانساني تكون المقاطع السلوكية التي يصنعها الله من هذا الواقع على عينه، ويدبرها بحكمته، ويسيّرها بهداه ـ حالها حال المخلوقات الكونية على منهج الدقة الرياضية والحساب الهندسي المتين، فتأتي خطاها محسوبة مدروسة: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وتتحرك كلماتها مصونة من الزلل والخطل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

[النجم: ٣].

وتجيء مفاصل العظمة فيها على اختلاف المراحل متوائمة، متواشجة، موزونة، متناسقة: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

وتتكرر ايام الله وكلمات لطفه مهما تباعدت بها عن بعضها الفواصل الزمنية والمكانية – متشاكلة، يأخذ بعضها بعضادة بعض على طريق التشابه بل التطابق احياناً.

ومن هنا جاء في مصادرنا الكريمة مؤيداً بالتاريخ الصحيح تماثل الاعداد، والازمنة، والتوقيتات، وحتى الاسماء، في مراحل المسيرة البشرية، وفي مواقع مصطفاة منها، ينتجبها الله بأختياره لتكون من معالم تدبيره.

بل نجد العجب العجاب في التناسق احياناً بين كلمات الله في كونه وكلماته في الخطى الانسانية التي يختارها لتكون منارة المسيرة العاقلة المختارة، فيجعلها كأنها سنة كونية صارمة دقيقة لا تحيد عن مسار الكمال.

وكمثال من عشرات الامثلة تطالعنا وجوه مثيرة للحيرة في عدد ١٢ في المسيرة الزمانية (الشهور)، وفي عدد الاسباط الاثني عشر، والعيون المنبجسة لموسى عليه السلام، وفي عدد ائمة اهل البيت.

ويبهرنا في ما هو المروي: وقوع جلائل الاحداث الاستثنائية في مسيرة الهدى في ايام معينة تتكرر في احقاب متفاوتة تفصلها المئات والآلاف من السنين.

ويحار المرء في تناظر المكابدات التي يتحملها المقدسون والرموز القائدة على مر التاريخ، وفي المواقف التي تبدر منها على عفوية في الظاهر، لكنها مسددة بسداد الغيب المحصي، ولطف التدبير الخفي، فنجد في حياة المرسلين والاوصياء وخلفائهم الصالحين المجاهدين على خطهم اوجهاً من التشاكل والتماثل لا تسمح بغير الاعتقاد بان القضية مرسومة ضمن مخطط

الهي عجيب، وليس هنا مجال الخوض في التفاصيل، لان هدفنا هو العبور من هذه الاشارات العاجلة الى اصل المطلب المقصود الاستغراق فيه في حدود ما تتيحه الآليات والارقام المتوفرة لذلك، وهو حالة الانسجام المذهل بين ثورتين باهرتين: واحدة كانت الام والاصل، وقعت قبل اربعة عشر قرناً. والاخرى هي الحفيدة والفرع، قامت في القرن العشرين، فجاء التواؤم والتلاؤم بينهما رغم الكم الهائل من البعد الزمني ـ امراً مثيراً للدهشة، معمقاً للاعتقاد بقضية الصياغة الالهية الهادفة لمفردات الشموخ في المسير الانساني في قالب الحكمة، فلا عجب ان تخرج صنائع هذا القالب متماثلة متشاكلة.

وما دام الوجود الانساني هو الوجود مهما تصرمت الازمان، وما دام التكليف الرسالي للمنتجبين في هذا الوجود هو التكليف على مر العصور، وما دامت المكابدة على خط المسؤولية هي المكابدة مهما تباعدت واختلفت ظروف الزمان والمكان، وما دامت العقبات والموانع بالجهل والعناد والشروط الموضوعية كالجينات الموروثة ـ فلا غرو اذن ان تتشابه الخطى المقدسة على خط الرسالة، وان تتماثل المعاناة نحو الهدف، ولكن حين تصل الحركات والمواقف والآثار الى درجة التناظر الدقيق المحير، فذلك هو الاختصاص الالهي البديع، والاثَرَة الربانية المجيدة، ووسام الكرامة الرفيع الذي زها على صدر ثائر العراق، ورائد الامة، ووِتْر القضية الموتور ـ وهو يجسد في ملحمة الفداء المعاصر اروع الوان الوئام والانسجام في الخصوصيات والمفردات مع ملحمة الطف الاستثنائية التي هي وسام تاريخ التضحيات على مر الاجيال.

تشابه العدد وأنطباق الأسماء على الالقاب

كان الصدر ﷺ الابن الثاني بعد أخيه أسماعيل مع أختهما آمنة، لابوين

يسميان حيدر وبتول، لم يسلم لهما من عادية القضاء المحتوم بالموت إلا هذه الصفوة. وكان الحسينعليه السلام هو الأبن الثاني بعد أخيه الحسن، وكانت عقيلة أهل البيت زينب ثالثة الأثنين على اصح الاثر في من حيّ لذلك البيت العظيم، وشهد الواقع المحسوس بوجوده.

وكان من القاب الأمام عليعليه السلام بل اسمه الذي اختارته له امه حين ولادته قبل اختيار ابيه هو (حيدرة)، ومن القاب فاطمة عليها السلام (البتول).

إرهاصات الثورة والشهادة

كان الصدررحمه الله يرى في نفسه مبكراً أنه ضحية الاسلام، وقربان الرسالة، وصيحة الرفض، وعنوان التحدي، وكان يهييء نفسه لهذا الامر ويخطط من هذا المنطلق حتى لأمور قد يراها الأخرون أعمالاً انتحارية كخطته المشهورة بان يقوم بالثورة الكلامية على السلطة في صحن أمير المؤمنين امام الملأ من الزائرين وغيرهم، ولا يترك الكلام حتى يقتل هناك، ليبقى دمه ثورة في نفوس الناس الحاضرين، ورسالة ثورة الى الآخرين عن طريق الذين شاهدوها، وقرأوا سطورها الفريدة.

وقد كان جده الحسينعليه السلام يرى في نفسه منذ الصبا وبعلم جده المصطفى أنه الدم الذي يسقي شجرة الاسلام من روح الفداء والتضحية، وكان يعد نفسه لذلك، ويترقب اليوم المشهود الذي ينفجر فيه مشعلا للأباة والثائرين على طريق التحرر والانعتاق، وكانت كلمات الحسين ولاسيما عند خروجه الى كربلاء، ونبوءاته عن مصيره تحكي هذه الحقيقة.

كفالة أمير المؤمنينعليه السلام

كان الصدررحمه الله منذ صغره مشدود القلب الى ساحة جده المرتضى

علي عليه السلام على غير طبيعة الانشداد الولائي الذي يتحلى به أولياء أهل البيت وأنصارهم، فقد كان ذلك حالة فريدة فسرتها الأيام بالنموذج الفريد من المواقف.

وكان رحمه الله يقضي يافعاً شطراً من وقته في الدرس والمطالعة في حرم الامام عليه السلام، وقد انقطع اياماً عن ذلك، فرأى أحد الصالحين في منامه أن أمير المؤمنين يقول له:

(لماذا انقطع ولدي محمد باقر عن الحضور في جواري للدرس والمطالعة؟).

وقد هزّ خبر الرؤيا الصدر اليافع من اعماقه، فعاد الى دأبه وهو أشد شغفا بانتهال المعرفة من ينابيع البركة والعطاء الالهي في احضان جده امام المتقين.

لقد كان لأمير المؤمنين بما له من حرمة متميزة عند الله سبحانه، وبما يمتلك من حب لولده (محمد باقر) لمؤهلاته الفريدة – دور من عالم الغيب في إعداده لهدف كبير وغاية عظيمة لايبلغهما سواه.

وهكذا كان علي عليه السلام مع ولده الحسين عليه السلام في تربيته مباشرة، ونفث روح الكمال في روعه، وإعداده لعظائم المواقف وجسيم المهمات.

تماثل الاجواء

لقد عاش الصدر رحمه الله حالة إعداده نفسه للثورة في أجواء تشبه الاجواء التي عاشها الامام الحسين في أيام أخيه الامام الحسن عليهما السلام، حيث التعامل مع الظروف الضاغطة بروحية الحكمة في التدبير، واتخاذ موقف الصلح أنطلاقاً من مصلحة الاسلام العليا، وبدافع الحفاظ على الصف الشيعي، واعداده لمستقبل الاسلام حين تحين الفرصة المناسبة.

ولقد أمضى الصدر شطراً من عمره في عالم عدم الثورية، واجتناب المصادمة في فترة مرجعية الامام السيد محسن الحكيم قدس سره، التي كان يرى فيها الصدر غطاءً آمنا للعمل الهاديء، المتأني، الممنهج، المدروس، المعبأ بالفكر والثقافة والمشاريع الاسلامية التي ترسي دعائم الوعي، وتعد الجيل للمواقف الحاسمة، وتقوم بمناهضة التيار الالحادي الذي غزا العراق، وتربية الكادر المتسلح بقوة الفكر الرشيد للوقوف امام ذلك الخطر الداهم.

وكان ذلك يشبه أجواء الالحاد التي بدأت تنتشر في ايام معاوية بعد صلحه مع الامام الحسنعليه السلام، واعلانه الصريح او المبطن امام حوارييه أو على منبره بكفره ومروقه عن الدين، وسعيه لمحق الرسالة على نهج والده رأس الشرك والعدو الاول للاسلام (ابي سفيان).

وجاءت فترة البعث العفلقي الصليبي في أواخر مرجعية الامام الحكيم لتشهد البروز الماجن للكفر والالحاد، والخروج عن القيم، وإصلات سيف الحرب على الشريعة كافرا محموما ـ لتشبه الفترة التي عاش فيها الامام الحسينعليه السلام في ظل الصلح لاخيه الامام الحسنعليه السلام، والتي شهدت جرأة معاوية الواضحة على القيم، وتنكره لمباديء الصلح، والاعداد لاستخلاف ولده عشير القرود، وغذي الخمرة والافكار الضالة من ثدي (سرجون)، الذي أحتضنت به الصليبية سدة الحكم الاموي من خلال يزيد، لتنتقم أشد الانتقام من الدين الذي أظهره الله ليأخذ عليها مشارق الارض ومغاربها، وكان اهم انجازاته لصليبه ما اشار به على يزيد من استباحة البيت النبوي الكريم في كربلاء.

وحين يبقى الصدر وحده امام جاهلية البعث يظهر امامه تماثل واضح بين رمز تلك الجاهلية (عفلق) المتظاهر مكراً ببعض المدعيات الاسلامية، والحديث بدافع الخداع عن بعض امور الاسلام، وبين مؤسس السلطة الاموية

ورمزها معاوية الطليق بن الطليق، الذي لم يظهر الاسلام الاّ ليحقن دمه، ويتخذ منه غطاءً لمكائده للرسالة، وسعيه الحثيث لاعادة ليالي الجاهلية، والعمل بوصية أبيه:

(تلقفوها يابني امية تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار).

ويظهر تماثل واضح بين النفوذ الصليبي في الحكم البعثي من خلال عفلق وامثاله، وبين وجود ذلك النفوذ في الحكم الاموي في عهد يزيد من خلال سرجون الذي كان المستشار المطاع في بلاط يزيد.

يضاف الى ذلك تماثل مهم آخر بين رئيس النظام البعثي الذي يمثل أوضح مصاديق المجون والمروق، وسحق الحرمات والمباديء، وتجاوز حدود القيم والاعراف، وحدّة الشراسة على الدين وأتباعه، والبروز بمخالب الوحش الكاسر، لينهش بكل أضغان الكفر لحوم المؤمنين، ويكرع في دمائهم ـ وبين يزيد الذي أقر صدام عينه، واثلج صدره بالاقتداء الفريد بكل عهره، ومجونه، وقسوته، وعدائه لله وللعقيدة.

وبانت الساحة أمام الصدر في عهد صدام كما هي ساحة الامام الحسين في عهد يزيد، حيث لم يبق امامه مجال الاّ للثورة، ليقوم الدم المظلوم بمساورة السيف الغاشم، وتتفجر صيحة الثورة في اوساط الركام الجاثم من الخوف والتضليل، لتعيد الامة الى دورها في الرفض، وتصحيح الاوضاع بما ينسجم وروح الاسلام الأصيل.

كسر أطواق الخوف والخنوع

لقد كان من دواعي ثورة الامام الحسين عليه السلام وهي جمة ـ محاولة كسر حالة الخوف التي كبلت الايدي حتى عن أن تشير أية أشارة الى موضع

الانحراف، وكمّت الافواه ومنعتها عن أن تنبس ببنت شفة ضد الطغيان، وسمّرت الأقدام بالارض فحالت بينها وبين أن تخطو خطوة واحدة نحو التغيير.... وكانت أجواء رهيبة سكت فيها الأخيار، وماشاها الضعفاء، وذاب فيها المنحرفون، ووجد الظالم الجائر غاية مايتمناه لخطه الانحرافي عن درب الرسالة.... وكانت أطباقا هائلة ثقيلة من الجور والاستبداد، غوى فيها الانكاس، وتهيب الاكياس، فكان لا بد من صيحة حسينية صاخّة ترهب الظالمين، وتهدم جدران الرعب التي أقاموها حول الناس، فحالوا بينهم وبين أي موقف مناويء، وتبعث شرارة الرفض في القلوب التي استشرى فيها الاستسلام، وتقدح زناد الأمل في تلك النفوس التي يئست، وتلك التي كادت أن تيأس، ويكون صاحب تلك الصرخة اسوة الأحرار، وقدوة الاخيار في إباء الضيم وانكار المنكر.

وعاش الصدر﵀ اجواء مماثلة لتلك التي عاشها الامام الحسين﵇، فقد سيطر الرعب، وهيمن الانكفاء، وتهيّب الناس موقف الاعتراض، وخشى المصلحون كلمة الرفض، وآثر الجميع الصمت بدوافع الخشية، والحذر، والاحتياط، وحب السلامة، ووجد البعثيون منشودهم في قدرة السيف والسوط على تمهيد الطريق امامهم الى الهدف، واشتدوا في ممارسة العنف الذي رأوا جدواه فجاؤوا به الوانا لم يُعرف لها مثيل في التاريخ، فعاد عليهم بما لم يجده اسلافهم من الحكام في العراق من عوائد السكوت عنهم، والهيبة من أي اعتراض لهم.

فكان الصدر على خطى جده سيد الشهداء هو صاحب ذلك الصوت الهادر الذي حطم أسوار الهلع، وأفزع العفالقة، ووجّه الانظار صوب المخلّص، وأشاع روح الامل في الافئدة، ورسم للصالحين منهج الرفض، وصار لهم فيه قدوة تُقتدى ومثلاً يُحتذى.

نقرأ في التاريخ صيحة الحسين الهادرة في عنفوان الطغيان:

(لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما.)

(على الاسلام السلام اذ بليت الامة براع مثل يزيد.)

(مثلي لا يبايع مثله.)

ونقرأ حفيدتها صيحة الشهيد الصدر وهي تتحدث بلغة الدم التي هي ابلغ اللغات تعبيراً عن الرفض والتحدي:

(إن يقظة هذه الامة تحتاج الى دم كدم الامام الحسين، وحيث أنه لا أحد له مثل موقع الأمام الحسين في امته، فيجب أن نقدم مجموعة من الدماء).

وجلجل صوته الراعد بالرفض والعناد:

(أؤكد للمسؤولين أن هذا الحكم الذي فرض بالحديد والنار على الشعب العراقي، وحرمه من أبسط حقوقه وحرياته، ومن ممارسة شعائره الدينية لا يمكن أن يستمر... وأن القوة ما كانت علاجاً حاسماً دائماً إلاّ للفراعنة والجبابرة).

(ايها الشعب العظيم إنك تتعرض اليوم لمحنة هائلة على يد السفاكين والجزارين الذين هالهم غضب الشعب وتململ الجماهير بعد أن قيدوها بسلاسل من الحديد والرعب).

(الجماهير دائماً هي اقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة، وقد تصبر ولكنها لا تستسلم).

أهداف الثورة

لقد أعلن الصدر الثائر أهداف ثورته في نصوص خالدة وبصوته المحفوظ في شريط التسجيل، ومن قبله جده امام الثائرين على خط الرسالة

أعلن أهدافه التي سمعتها أذن المجد الواعية، وحفظتها ذاكرته، ورددها لسانه أناشيد للاجيال عاشقة الحرية، ونجد الروح في الاهداف واحدة لانها أهداف العقيدة، وارادة الله التشريعية، ومسؤولية عباده التي اراد لها أن تتحقق بواسطة المخلصين.

يقول عليه السلام: (اني لم اخرج اشراً، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً، إنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، اريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر).

وأعلن الصدر أهداف ثورته صريحة وواضحة: (إنني أطالب باطلاق حرية الشعائر الدينية، وشعائر الامام ابي عبد الله الحسين، كما أطالب بأعادة الأذان وصلاة الجمعة والشعائر الاسلامية الى الاذاعة، واطالب بايقاف حملات الاكراه على الانتماء الى حزب البعث على كل المستويات، واطالب باسم كرامة الانسان بالافراج عن المعتقلين بصوة تعسفية، وايقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء، وأخيراً أطالب بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقه في تدبير شؤون البلاد، وذلك عن طريق أجراء انتخاب حر، ينبثق عنه مجلس حر يمثل الامة تمثيلاً صادقاً).

عدم العمل بقانون التقية

حينما تكون مسيرة الاسلام امام معضلة من خصومها اللُدّ، حيث لا ينفع ازاءها إلاّ النداء الجاهر بالرفض، والوقفة الصارمة للردع، هنالك تكون النفوس الملزمة بالتكليف الاقدس أرخص ما تبتاع به سلامة الدين، وتُفدى به العقيدة التي لا بد لها أن تحيا لانها حياة الارواح، وان ريّها الذي يينع به عودها هو الشراب القاني من مهج الاخيار الذين رأوا فيها حقيقة الوجود، وسر الخليقة، ومنهج المسار.

واذا كان الامر بهذه المثابة، فأي مسوغ من تقية وغيرها يمكنه أن يكون تبريراً للقعود، أو ذريعة للجمود، وإن وردت فيه النصوص التي مهما تمادت في تسويغ السكوت فأنها لا تصل الى حد الرضى به عندما تكون المسألة دائرة بين الحياة والموت للرسالة، ويكون الطمس والتضييع هما المصير الذي يتهددها على يد الضلال العنيد؟.

وهكذا كان الامر في ظروف ثورة الحسين عليه السلام حينما استشرت الجاهلية وتعرت، فكشفت عن حقيقة نواياها مع غريمها القديم الجديد (الاسلام)، بعد هلاك معاوية وبيعة يزيد.

وكمثل ما جرى ثمة حصل في زمان ثورة الصدرعندما تجسد الكفر في منتهى العداء والشراسة، حيث لم يكن لعالم يحس بمسؤوليته مثل سليل ابي الضيم إلا أن يحتذي مثال ابيه فيالموقف ازاء جاهلية جديدة أحتذت مثال امها جاهلية الامويين.

وحيث علت الاصوات امام الخطى الاولى في مسيرة الثورة الطفية تطالب رائدها الحسين بالسكوت والتربص والبعد عن موارد الهلكة، فكان الالزام القطعي لأسوة الاحرار يجعله يصم عنها، فينطلق بمنتهى التصميم على اداء التكليف ـ كان حفيده الصدر ينأى بسمعه عن نداءات التقية التي يرددها من حوله الخانعون، والخائفون، والجاهلون، وازلام السلطة من وعاظ السلاطين.

لقد فتح رضوان الله عليه باب الشهادة على مصراعيه له وللعاملين على خطه، كاسراً سدود التقية، عسى أن يفك بذلك أسر الدين، ويمنحه من دم الوريد ما يرتوي به، ليعود يانعاً مزهراً بعد أن كاد يذبل ويموت في بلاد الرافدين.

انه طاب ثراه يعدد المنكرات البعثية التي صبر عليها أهل التقية، ولا

ينبغي لهم ذلك، بل يجب أن يهدموا جدار الصمت، لتنطلق الصرخة هادرة بالرفض، فقد فضح صبح التكليف بالقيام بدليله القاطع ليل التبريرات، وديجور الاعذار.

(اسقطوا الأذان الشريف من الاذاعة فصبرنا، اسقطوا صلاة الجمعة من الاذاعة فصبرنا، وطوقوا شعائر الامام الحسين(ع) ومنعوا القسم الاعظم منها فصبرنا، وحاصروا المساجد وملأوها عيوناً فصبرنا، وقاموا بحملات الاكراه على الانتماء الى حزبهم فصبرنا، وقالوا انها فترة انتقال يجب تجنيد الشعب فيها فصبرنا، ولكن الى متى تستمر فترة الانتقال؟).

وحيث يعلو الصوت الاحمق أو المشبوه للتحذير الشرعي في وجه الهمة الحسينية، يعلو النداء الالهي لمبدعها بأن الفتح في مسيرته، وأن الظفر في انطلاقته، وان الجنة مشرعة في وجهه:

(من لحق بي فقد استشهد، ومن تخلف لم يدرك الفتح).

(ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة).

انه يبطل التشكيك في خروجه بالمحذور الشرعي بقوله:

(الا ترون الى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه؟).

ومثل ذلك واجه الصدر فى ثورته فقابله بموقف جده، معتبراً أن الجنة قد فتحت ابوابها لتستقبل قوافل الشهداء في ركبه المبارك الذي رأى تكليفه اللازم الذي ليس له سواه أن يكسر طوق الصمت، وأن يضرب بالتقية عرض جدار الوظيفة المقدسة التي تطلبتها محنة الدين القصوى، حيث لا مجال للخنوع أو التشبث باذيال المعاذير التي هي باب نجاة الخانعين الذين يستطيعون أن يلووا عنق الشريعة ليُخرجوا منها أدلة تبرر خنوعهم، وتعطيهم العذر للسكوت، وما أهون ذلك على الصدر لو اراده بداعي حب الحياة، معتبراً أن وجوده الميمون المثمر المعطاء يحتم عليه بالحكم الأولي أو

بالعناوين الثانوية ضرورة البقاء أطول فترة، ليأتي الحياة كل يوم بشيء جديد من فتوحاته الفكرية الباهرة!.... لقد رفض المجد والالق الشخصيين، ونبذ حب الحياة في ظل وضع تُرتهن فيه العقيدة باطواق الاختناق والحجب عن الواقع، فقرر أن يموت من أجلها.

رفض البيعة وشروط المساومة

حين طلبت الضلالة الاموية في بداية تجاهرها المفضوح ـ البيعة من الامام الحسين، كان موقفه الرفض الذي حمل لواءه حتى الموت، وتحدى به كل الوان الوعيد، ودمدمة الرعود القاصفة، وداس بقدمه الشروط التي لوّح بها الجناة امام عينيه وسيلة للسلامة والنجاة من حد السيف، وكان نداؤه الفذ الذي لم يزل فم التاريخ يصدح به نشيداً للثوار واغرودة للشرفاء:

(والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل، ولا اقر اقرار العبيد).

(ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السِلّة والذلة، وهيهات منا الذلة...).

وعلى منهج طغاة الامس حاول طغاة بغداد ان يجعلوا الصدر في اسر بيعتهم، او الولاء لهم، أو السكوت عنهم على الاقل، وجاؤوه من اجل ذلك بكل فنون المكر والكيد والاغراء، ودقوا على سمعه طبول التهويل والتحذير، ووعدوه ومنوه، ثم خوفوه وبسطوا له يد السوء بكل قسوتها، وقد واجه هو ذلك كله بصلابة الطود الاشم للايمان الراسخ الذي لا يتزعزع، وصيحته تزمجر امام خطاه: (لقد صممت على الشهادة).

وحيث فتحت امامه ابواب السلامة التي فتحت امام غيره بالسكوت او اللجوء الى إيران رفض ذلك قائلاً لابناء الامة عندما استعلموه عن حقيقة ما يقال عن اعتزامه الخروج من العراق: (هيهات، محياي محياكم، ومماتي

مماتكم). (أني أؤكد لك ياشعب ابائي واجدادي اني معك، وفي اعماقك، ولن اتخلى عنك في محنتك).

الكوفة معقل الثورة

كانت الكوفة هي مهد الثورة الحسينية من ناحية ايجاد موضوع الحكم الشرعي الملزم بالقيام الخالد، وتوفر الظروف الموضوعية التي تكون ارضية لاداء التكليف الصارم بالتغيير: الولاء والجند والاستعداد للثورة. وقد عاش فيها الامام الحسين مدة من عمره في امامة ابيه امير المؤمنين عندما حولها عاصمة لدولته راسماً بذلك بداية الطريق لجعل أرض العراق عاصمة الدولة الاسلامية، وجعل الكوفه بالذات مختار الامامة، وموضوع رغبتها في ان تكون عرين الحكم الاسلامي ومنطلقه الى العالم، وهو ما سيحققه يوم الظهور على يد القائد الموعود.

رأى الحسين كذلك بريق الحماس الاسلامي والولاء الصادق لدى المخلصين من اهل الكوفة من اتباع ابيه واعوان اخيه الذي ورث الامامة والزعامة من والده العظيم.

ان الكوفة هذه التي غلب اليوم اسم النجف الاشرف على اسمها حتى صار متبوعها، بعد ان كان يدعى ظهرها ومن نواحيها ـ كان لها دور في الثورة الصدرية، ففيها عاش الصدر، ونهل من معارف الاسلام على خط اهل البيت في رحابها، وفيها اعطى دروسه في علوم الشريعة ومنهج الثورة، ومنها انطلق في تجسيد افكاره ومشاريعه الثورية، ومنها وجه وكلاءه وانصار خطه رسلاً الى الناس يهدونهم الى رايته، ويدعونهم الى بيعته، وفيها دوت امام بابه هتافات البيعة، وانطلقت الى سمعه من بينها نداءات (نحن جنود مجندة)، لتشكل تناغماً فريداً مع نداءات اهل الكوفة للامام الحسين.

ثورة لكل الامة

ان الشبه الكبير بين الثورتين يتجلى في انهما وان كانا بريادة امام معصوم من اهل البيت، وسيد عالم من ذرية المصطفى متأس بآبائه الطاهرين ـ فانهما لم تكونا بهدف حماية اتباع الخط فقط، او اغاثة جماعة معينة، اوتطبيق مذهب محدد، بل كان الهدف هو نصرة الامة باجمعها، وتطبيق الاسلام بروحه الشاملة ومبادئه العامة على كل المسلمين، ومن هنا كانت نداءات الثائر الاب وابنه البار المقتفي اثرابيه نداءات عامة لكل المسلمين بكل معنى العمومية والشمول، وبأوضح صورهما. يقول الامام الحسين في احد نداءاته: (انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدى رسول الله...).

ويقول مجدد ثورته وبنفس تلك الشمولية: (يا شعبي العراقي العزيز... اني اخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنتك وشيعتك، لان المحنة لا تخص مذهباً دون أخر، ولا قومية دون اخرى، وكما ان المحنة هي محنة كل الشعب العراقي، فيجب ان يكون الموقف الجهادي والرد البطولي والتلاحم القتالي هو واقع كل الشعب العراقي، وإني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الامة بذلت هذا الوجود من اجل الشيعي والسني على السواء، ومن اجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً، ولم اعش بفكري وكياني الا للاسلام طريق الخلاص وهدف الجميع... اني اعاهدكم باني لكم جميعاً ومن اجلكم جميعاً، وانكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل).

انهما ثورتان لكل الامة بكل مشاربها ومذاهبها، وان كان الوريد الذي قدحت شرارتهما من دمه الطهور هو الوريد العلوي الشيعي الذي ابى الله الا

ان يكون منه نزف التضحية على طريق نصرة الاسلام، واعزاز كلمة الحق، ودحض الباطل على طول الطريق ومر الازمان.

التماثل في مواجهة الشبهات والفتاوى التضليلية

واجهت مسيرة الثورة الحسينية منذ انطلاقتها ألواناً من الشبهات والدعايات المضادة، وحتى اشكالاً من الاحكام الشرعية التكفيرية، فاتهمت بانها مخدوعة، او مستعجلة، وغير مدروسة، وعارية عن لباس الحكمة، واتهمت بانها مادية تبحث عن الامجاد الذاتية، وقيل عنها انها انتهكت حرمة الشريعة التي تأمر باطاعة ولي الامر، وان رائدها قد خرج عن حده فقتل بسيف جده، وقيل عنها غير ذلك مما سمعه قائد الثورة مباشرة، او قيل من وراء ظهره في حياته او بعد شهادته، من السلطة المضادة، والخصوم، والناصبين، او من الحمقى، والجاهلين، والمخدوعين. وهذه السجية البارزة في الثورة كانت ايضاً سجية الثورة الصدرية، فقد نالت وقائدها سهمهما الوافر من التهم والتحريف بالأقاويل والشبهات والاحكام الظالمة المتذرعة بالدين والورع والذب عن حياض الشريعة.... فقيل عن حركته انها راية ضلال قبل موعد الظهور لا تنسجم مع الصبر والسكوت المطلوبين لمنتظري اليوم الموعود، وقيل انها تدخّل في شؤون السياسة مع ان الدين لا شأن له بذلك، وقيل عن رائدها انه عالم حزبي يطمح الى ما يطمح اليه ارباب الاحزاب وروادها، وقيل عنه انه التقاطي وذو توجهات سنية منحرفة، وقيل عنه كذلك انه مخدوع ومغفل، ويعبث بارادته الاخرون، وانه لم يلتزم جانب البصيرة بواقع حركته، ولم يتحل بالحكمة في تعامله مع حقائق الامور، وقيل فيه ما هو اكثر من ذلك، مما سمعه مباشرة او بهت به ورشقت بسهامه حيثيته الشريفة ومقامه الكريم من ورائه.... وكما تم تحريض السلطة الاموية

بالمحركات الشرعية على ثائر كربلاء، تم تحريض سلطة الكفر في بغداد على مفجر الثورة الاسلامية في العراق بتلك المثيرات والدواعي، والتي واجهتها ساحته كأخطر سلاح، ووجدت فيها خطاه اشق عقبة تقف امامها دون هدفها.

الانكسار الظاهري

لقد تماثلت الثورتان الحسينية وحفيدتها الصدرية بالتشابه في قضية الانكسار الظاهري، فكلتاهما لم تحققا الهدف المرسوم ظاهراً وفي الوقت المنظور لمن عايشوا الثورة، وامّلوا قطف ثمارها يوم الحصاد القريب، فقد تم دحرهما بادي الرأي، وقُتِل الثائران العلويان شر قتلة، وابيد اصحابهما الميامين، وهدأت فوارة الخطر المحدق بالسلطة الحاكمة، واعلنت ابواق الظلم الناظرة بعين يومها وساعتها قضاء الطغاة على مصدر التهديد... وقد غفل المعايشون لصراع الثورتين مع العرشين الجائرين عن مسألة المرمى البعيد لهما، والنتيجة النهائية التي هي فوق نيل النظر السطحي الذي تعوّد رؤية الاشياء القريبة بلا قدرة على الاستشراف، او الاستشفاف، او الاستنتاج المنطقي من المقدمات المنظورة للنتائج الكبيرة التي تحتاج لتظهر الى وقت بحجمها. وما اقرب ان يشبه امرهما في ظاهر الحال وواقع المآل ما قصه الله سبحانه في كتابه الكريم عن غَلَبِ الروم الذي استبشر به المشركون، وعن غُلْبها الذي كان في خزانة الغيب حقيقة واقعة لا محالة، تسر المؤمنين الذين يستشرفونها في افق التربص المقرون بالرجاء لفضل رب السماء: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٢ ـ٧].

قضية انتصار الدم على السيف

في النهج السماوي المبدع للمفاهيم، والسنن، والمواقف، والقوى المحيرة على طريق الهدف الاسمى (تحرير الانسان) يلتمع قانون عجيب صارم هو قانون (انتصار الدم على السيف)، ومذ طلعت الرسالات الالهية المكافحة، واختتمت برسالة الجهاد الفرد ـ كان الدم المهراق ساقي شجرتها الخالدة بخلود عطاء الشهادة، وكان النزف المقدس مكتب التأمين الصادق الذي اودعته وجودها فصدقها المعاقدة على الدفاع عن حياض هذا الوجود العظيم، وضمان سلامته من العوادي المردية.

في ثورة الحسين كان شريان الفداء هو الحسام السماوي البتار الذي انتضاه رائد القضية الكبرى التي حيرت قوانين الارض ومسلماتها وعاداتها، فثاور السيف الترابي الذي صنعته يد القهر لتقمع به ارادة الحرية والخلاص، وحين علق به الدم الطهور ذاب ذوب السراب امام سطوة الواقع، وانماث كما ينماث الوهم في حر الحقيقة، وان تراءى للناظرين بخداعه ومكابرته على هيئة الفالج الظافر.

لقد حكم الدم الطفي على الطغيان الاموي لدعاة الجاهلية الموتورة بالفناء حكماً حاسماً هو صيحة القدر المحتوم، وقضاء الارادة النافذة.

وكانت الرؤوس الشريفة المرفوعة على رماح الجناة رايات الانتصار واكاليل الغار، تصيح بأرفع النداء، مزهوة ببشرى الفلاح واوسمة الظفر.

وعلى هذا المسار النير العاطر كانت خطى ثائر العراق الشهيد الصدر، مصلتة قانون غلبة الدم، متحصنة بدرعه الوثيقة، غير هيّابة من غوائل العواقب التي يخشاها المثاورون باسياف القدرات المادية، معتزة باليقين من النصر المهيب الطافح في أفق الشهادة الاحمر.

وحيث لم يكن جده الحسين يملك في صياله الفذ الاّ عروقه النابضة الفوارة، وعروق اصحابه التي صبت حممها على العرش الخشبي ـ لم يكن حفيده صدر المكرمات يحوز في حلبة الصراع الا مهجته المتأهبة للعطاء، ومهج الابرار من عشاقه وجنود خطه الازكياء، تتوكف الظفر الاغرّ حين تصمى بسيوف العادين واسنّتهم.

جاذبة العشق

في عالم العشق الامثل الرحب الممتد كانت هناك صفحات خالدة تتلألأ بأنوار الصدق والوفاء، وتتأرج بعبير السمو والعلاء، شامخة باذخة، ترمقها عين الخلود بكل معاني الاكبار والاجلال، لانها تجسد حقيقة التوجه الانساني بأصدق المشاعر النقية السامية وهو الانجذاب الطهور الى الحقائق الكبيرة المقدسة التي لا تُعشق الا لذات كمالها وجلالها ورفعتها، وان كل ما جر اليه ذلك الهوى القدسي من محن وشجون هو بعض المشتهى على درب ذلك الهوى.

لقد عشق اللهَ محبوه فذابوا اعذب الذوبان في اروع مصهر، وعشق مريدوه اولياءه المقربين لنسب الوداد الفذ بينه وبينهم فهاموا فيهم كأنهم يهيمون فيه، ولا غرو فهم آياته ودعاته، وشارحو كتاب مجده واسمائه الذي لا يفسره الا الهائمون.

واشرق في ذلك التاريخ الوتر وَلَهُ اصحاب الحسين في اسوتهم في الغرام، وداعيتهم الى منتهى الضرام، تجسيداً لاشرف الصدق في سبحات الهيام، وقد عبر احدهم بما طاوعه من الفاظ الارض ما ظن فيه القدرة على بيان الحال لحقيقة ذلك السعار الاشهى فقال: (حب الحسين اجنّني).

ومن هنا حفد في ركب المحبة الطاغية هو والمدلّهون يخوضون في

نيران الوجد يحسبونها جنانهم المشتهاة في ذروة العلى، ويباسلون في المحبوب عرامة الموج الهادر في خضم الجوى يرونها غاية المنى.

وتكرر مشهد الحب العجيب بعد ما عبر من خلال القرون المتمادية على جناح المجد ليجلجل نداؤه الفريد على مسمع الحبيب حفيد الحسين في نجف المعالي، حيث صرح العشق في وفود البيعة عندما نادى شبيه (عابس بن ابي شبيب الشاكري) يعبر للقائد عن طويته ودخيلة من معه من المبايعين: (حب الصدر اجنّني).

وكما مشى اصحاب الحسين على طريق الانجذاب الهائل في ملحمة اسطورية من ملاحم جنون الانسان في الانسان ـ سار متيمو الصدر معه على الدرب ليجددوا تلك الملحمة، ويعيدوها حية للناظرين بعد ما كانت قصة تأبّت الند من قصص الهوى الاقدس، تتلى على المنابر، وتقرأ في ما يسطرون.

ولو لم يكن الحب الفرد لما كانت تلك المواقف التي توحدت بالشموخ... ولو لم يكن ذلك الاندكاك الشعوري في مذوب الانصعاق الطوري لما اشرقت تلك الشموس السواطع في افق العراق آية يرتلها الفخار من مصحف التأسي، كأنها هبطت للتو من سماء كربلاء، نزل بها روح مجدها الامين.

التماثل في الرمزية

لقد انتصر الحسين كما اراد، وبلغ غاية مرامه حين صار رمزاً للفداء، ومنارة للتضحية، وبركاناً واصباً تنطلق على نهجه حمم الثائرين الاباة تدك عروش الظالمين والطغاة، ونال الحسين طَلبته أن يكون مدرسة للاحرار يتعلمون فيها دروس الانعتاق، وان يظل منبراً للكرامة يدوي منه نداء

الرافضين للضيم يوقد منه في صدور الشرفاء مصباح الاباء من شجرة التحدي. وترنمت بموقف الحسين اطيار المكرمات باعذب اللحون في آفاق العز والشرف والامتناع على الذل، فتشنفت اسماع الاجيال التي اسرتها الانغام الخلابة الجديدة فقادتها بخطام التسليم الى باحات المقاومة، وصنع المواقف الطالعة على عوالم المجد من مشرق الاعجاز سراجاً وهاجاً دائم الاشراق.

لقد ظل أبو الاحرار صانع الثوار، وبقيت ثورته معين الثورات، وما فتئت ترنيمة التعالي تصوغها انامل الدهر الخاشع على اوتار الاكبار، تدهش الالباب بفرط صياغتها، واقتدارها الفني، وسحرها، ولاتزال متجددة ليبقى الاعجاب حياً، متواصلة ليظل الانجذاب واصباً، ثرة العطاء بلا انقطاع لتؤتي اكلها كل حين باذن ربها..... وهكذا كانت ثورة الصدر، فما عتمت منارة ومساراً لاحرار العراق وأُباته، يلهجون بذكر الرمز الشهيد، ويسرعون على خطاه منقادين بأزمّة التأسي، وعزمة الثأر، وجلال الهدف المقدس، ليصنعوا محير العقول من البطولات، ويسطروا مدوخ الالباب من الملاحم. وبقي الصدر الثائر منذ عروجه أنشودة الثائرين، يصبون دموع الاسى لفقده زيتاً على لهيب الغضب ليعود اعصاراً نارياً، ويحولون اللوعة الفادحة بخسرانهم اياه صاعقاً رهيباً يفجر العزيمة لتنقلب بركاناً مهولاً يحاصر بالرعب الخانق غرماء الحق حتى في آمن مدّخلاتهم ومغاراتهم.

وكما بقي للحسين ورثة خطه وثورته من آله ومريديه يواصلون خطاه الرافعة على الاثر المرسوم في نهج الدم القاني، ويعيدون صوته الجاهر النابت في ضمائرهم الناهضة حياً الى الوجود كأنه صيحة اليوم ـ هكذا بقي للصدر جنوده الاوفياء يديمون نهجه ومشعله، ويشرحون تطلعاته واهدافه، ويكدحون دأب المخلصين الصابرين في بذل الوسع في الجهاد الذي الزمهم به القائد الشهيد، فرضاً يفوق كل الفروض، وحقاً يبذ كل الحقوق، وطريقاً

متوحداً لا شفع له ولا بديل.

عمق الاحساس بالمسؤولية

لقد أحس الامام الحسينعليه السلام بمسؤوليته تجاه دينه ورسالته أروع ما يكون الاحساس وأقدسه، وجعل وجوده كله رهناً بهذا الشعور الطاهر وطوع ارادته مهما كانت تبعات ذلك الارتهان وعواقبه، والتي كان يلوح له فيها في الافق بريق السيف البتار الذي يحزّ به المجرمون رأسه الشريف. وان احساسه بالمسؤولية المقدسة هو الذي جعله حيث سكت الخانعون والنفعيون، وتزلف الوعاظ المتاجرون ـ يقول لمعاوية بجرأة المؤمن المجاهد الراسخ الخطى على الايمان رسوخ الاطواد في اعماق الارض:

(وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس انوار السرج.... ولقد فصلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى اجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرْت حتى جاوزت، تريد ان توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً، او تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد بنفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد بما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لاترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي ـ تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول مما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما انت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الاسقية، وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص).

ويخاطبه الحسينعليه السلام في كلام آخر قائلاً له:

(واني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا اعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمدصلى الله عليه وآله افضل من ان اجاهدك، فان فعلت فانه

قربة الى الله، وان تركت فاني استغفر الله لديني، واسأله توفيقه لارشاد امري...

وقلت فيما قلت ان انكرتك تنكرني، وان كدتك تكدني، فكدني ما بدا لك، فاني ارجو الله ان لا يضرني كيدك، وان لا يكون على احد اضر منه على نفسك، لانك قد ركبت جهلك، وتجرأت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح، والايمان، والعهود، والمواثيق، (يعني حِجْرا واصحابه)، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة امر لعلك لولم تقتلهم مت قبل ان يفعلوا، اوماتوا قبل ان يدركوا، فابشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم ان لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصاها، وليس الله بناس لاخذك لاوليائه على الظنة والتهمة، ونفيهم من دورهم الى دار الغربة، واخذك للناس ببيعة ابنك وهو غلام حدث يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، وما اراك الا قد خسرت نفسك، وغششت رعيتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، واخفت الورع التقي).

وهذا الاحساس هو الذي جعله يبادر الى طريقة التحرك المستور والعمل السري بعد رحيل اخيه السبط المجتبى عليه السلام، لجمع صفوف شيعته ومريديه على كلمة الرفض والثورة، وتهيئة الاجواء المناسبة لما بعد معاوية، حتى كتب عيون الضلال الى معاوية عن هذا الحدث:

(إن رجالاً من اهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي، وانه لا يؤمن منه وثوبه...).

ان الاحساس بالمسؤولية هو الذي جعله يرفض الدنيا العريضة التي يمكنه أن ينالها بكل يسر اذا ألان جانبه للظالمين، لكنه رفض البيعة ليزيد وهو يقول لمروان بن الحكم لمّا دعاه اليها:

(إنا لله وإنا اليه راجعون، على الاسلام السلام إذ قد بليت الامة براع مثل يزيد).

وقد قال لاخيه محمد بن الحنفية: (والله لولم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية).

وقال للأمة: (إنّا اهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، ومثلي لا يبايع مثله).

وكما رفض الامام الحسين باحساس المسؤولية ان يلزم جانب الحياة مأنوساً بالعناوين الكبيرة التي يمتلكها، والتي تجعله يستحوذ على القلوب استحواذ الفاتح، فهو سبط الرسول، وريحانته، وابن البتول، وسيد شباب اهل الجنة في نظر كل المسلمين حتى غير اتباعه منهم، وهو وارث علم النبوة، ومرجع الامة في الاحكام والمعارف، واعلم رموزها بالشريعة، وابصرهم بحقائق الكنوزالنبوية، وكان بامكانه لو اراد ان يظل اطول مدة ممكنة مع هذه النياشين البراقة التي تمنحه المكانة والكرامة والتقدير، وحتى متاع الدنيا لو اشتهاه – لكنه رفض هذا كله، وداسه بقدم المسؤولية المقدسة، واعرض عنه اعراض الزاهدين بتمام حقيقة الزهد في سفاسف الدنيا وزخارفها، وفضل الموت بابشع صوره من اجل انجاز الوظيفة الثقيلة التي هي امانة الرسالة، والتكليف الشرعي، ونجاة الامة.

وهكذا كان ولده شهيد الاسلام في العراق، ذلك الذي لا ينكر احد انه نال في كل العالم الاسلامي وحتى في خارج حدود هذا العالم مكانة سامية، واجلالاً كثيرا، وحظي بأوسمة الفخار وانواط المجد بأبهى اشكالها واعلاها، فهو رائد الفلسفة الاسلامية المعاصرة، وهو المجدد الفذ، والاصولي الفاتح، والفقيه العملاق، والمفكر المبدع، وإمام الصحوة الايمانية.. وقد اشرأبت الى

مقامه الشامخ في كبد العلياء اعناق البصائر والعقول، وتسمرت في جنابه البديع افئدة المدركين، وهوت اليه مهطعة المشاعر بكل شوقها وعشقها، وكان في وسعه ان يظل على عرش الاكبار والتقدير، وفي ذلك الملك الباهر الكبير ما أتاحت له الحياة من العمر، دون ان يعرض نفسه لقصر العيش بسلوك درب الفداء والتضحية، وتقديم النفس قرباناً على درب المسؤولية العظمى.

على المنهج الحسيني سار الهمام الفذ صدر المكرمات، فأحس بالمسؤولية اعمق الاحساس، وحمل أعباءها باعلى العزم والاقتدار، واوفر الصبر والاحتمال... وهذا الامر هو الذي دعاه (كما فعل الحسين) أن ينحو المنحى السري، ليربي كوادر الامة، ويثقف طليعتها من خلال التنظيم المحكوم بأصول العمل المتقن الحكيم الذي يجاري آخر فنون العالم في المنهج الحركي... انه رضوان الله عليه يقول:

(ما هو العمل؟، كيف نعمل؟، ما هي اساليب العمل؟، كيف يمكن تجديد اساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الامة اليوم؟، نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عالم عصر المماليك، اذن كيف نتعامل مع عالم اليوم؟... العمل الاجتماعي يقوم على اساس الحدس الاجتماعي، والحدس الاجتماعي يتكون من الخبرة والتجربة، ومن الاطلاع على ظروف العالم وملابسات العالم، اذن يجب ان نفتح اعيننا على العالم، يجب أن نعيش الخبرة والتجربة في العالم... الحدس الاجتماعي يتكون من خلال التفاعل مع الناس، من خلال الاطلاع على ظروف العالم، من خلال الاطلاع على الملابسات، من خلال الاطلاع على التجارب التي قام بها الاخرون).

وكما خرج الحسين عليه السلام من فترة العمل السري عندما تهيأت له اجواء الثورة فصرح وجاهر ـ قام الشهيد بأحساس المسؤولية ليواجه طغاة البعثيين

كما واجه جدّه طغاة بني أمية، ويتصدى لمشاريعهم الاجرامية التي كان اخطرها ربط الناس بحزبهم الالحادي، واماتة الشعائر الاسلامية، والتعرض لحرمات الدين والعلماء والمقدسات، وسلب ارادة الامة في اختيار طريقها.

واذا كان الامام الحسين عليه السلام يخاطب المكلفين باسلوبه التحريضي الملفت، وبصيغة (الا ترون): (الا ترون الى الحق لايعمل به والى الباطل لايتناهى عنه؟)

فان ولده الذي تفرع منه ينحو منحاه، وينهج منهاجه في مسير الثورة حتى في عباراتها وشعاراتها ولحن خطابها، انه يقول:

(إلا ترون يا اولادي واخواني انهم اسقطوا الشعائر الدينية...؟.

إلا ترون انهم ملأوا البلاد بالخمور وحقول الخنازير وكل وسائل المجون والفساد...؟.

إلا ترون انهم يمارسون اشد الوان الظلم والطغيان تجاه كل فئات الشعب...؟.

إلا ترون احتكار هؤلاء للسلطة احتكاراً عشائرياً يضفون عليه طابع الحزب زوراً وبهتاناً؟).

التحريف والمتاجرة

تعرضت ثورة الحسين عليه السلام الى أخطر المساويء والاضرار من كيد الحاقدين، وفعل الجاهلين، وطمع تجار الدين والعقيدة، وطلاب الدنيا بايات الله وشريعته، وتزييف المزيفين، وتحريف المحرفين، ومسها السوء من أخبث فعال الخصوم في التشويه والاسقاط، واقبحها لدى التجار (استدرار الدموع بالخرافة والزيف لنيل حطام الدنيا)، ووصل الامر كما يقول شهيد الاسلام الخالد (مرتضى المطهري) ان يقتل الحسين بذلك قتلة هي شر من

قتلته يوم عاشوراء.

وفي قضية الشهيد الصدر وظلامته الموجعة حصل من التشويه والتحريف والمتاجرة ما يُحكم آصرة المماثلة بين ثورته واسوتها واصلها، ثورة جده سبط المصطفى.

لقد زيد فيها من الامور ما ليس منها، وانقص منها ما هو من صميمها، ونسب اليه ما لم يقله، ونحي عن الاسماع من كلامه ما ينفع السامعين، واستخدم الطامعون قضيته تجارة مربحة يُنال منها الربح الوفير، واتخذه طلاب الجاه جسراً الى امجادهم، وبناء ذواتهم، واعمار وجوداتهم، حتى ان الكارهين له بالامس الذين لم يكونوا يكنون له الا اللامبالاة او التحفظ ـ صاروا بحكم الحس الجماهيري العارم المنشد الى الرمز الشهيد يثنون عليه، ويطرونه، ويذكرونه احسن الذكر في وسائل اعلامهم ومنابرهم.

واذا كان بنو العباس المنحرفون عن اهل البيت قد رفعوا ظلامة الحسين واهل البيت شعاراً لثورتهم، يستدرون به عطف الامة ونصرتها فحظوا بما يريدون ـ فما اكثر الخطوط المنحرفة عن خط الصدر وعقيدته ورسالته التي اتخذت من ظلامته شعاراً لحركتها، ووسيلة اعلامية في جهدها الاعلامي، لتجسد بذلك هي وكل من يسيء الاستفادة من الظلامة دون ان يؤمن بخط صاحبها ونهجه ـ تحركاً عباسياً مشبوهاً، خبيث النوايا.... وان ما قيل عن حركة عدنان حسين باتجاه الاتصال بالشهيد قبل قيامه بمحاولته الانقلابية ـ انما هو اعادة حية للتجربة العباسية التي استغلت ظلامة اهل البيت وحبهم لمآربها.

الجانب العرفاني في الثورتين

لقد امتلأت ثورة الامام الحسين في كل فصولها بحديث العشق

والشوق الى الفناء في المحبوب، ذلك الحديث الذي كان يردده السبط الثائر مع كل خطوة يخطوها الى المنحر المهيب، حتى ان من يسمع ذلك يظن ان فلسفة الثورة ليست سوى عملية انتحار من سعار الهيام:

تركت الخلق طراً في هواكا وايتمت العيال لكي أراكا
فلو قطّعتني بالحب اربْا لما مال الفؤاد الى سواكا

ويتحدث هذا العاشق المتيم مؤكداً قضية الهوى القدسي دافعا اساسيا للنهضة، معلنا عن عاقبة اوصاله المشرفة: (كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء...).

فمن كان يرى مصيره بهذا الوضوح لا يقدم على عمل فاشل الا وهو مصمم على فعل يذيب فيه وجوده من اجل هدف يسترخص فيه الموت، بل يستعذبه، ويراه وسيلته ومعبره الى غاية رجائه: (ليس يخفى علي الرأي، ولكن ارادة الله لا تغلب).

هكذا يقول للائميه في حركته نحو كربلاء.

ويحدو ركبه الى المذبح المقدس في محراب عشقه في كربلاء وهو يردد ترانيم الوله والصبابة: (القوم يسيرون والمنايا تسير معهم). (لا يَدَعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي).

ويستعذب التنغم بكلمات جده في رؤياه التي رآه فيها وهو يقول له: (يا حسين! اخرج فقد شاء الله ان يراك قتيلا). (انك رائح الينا عن قريب).

وكأنه يمشي بركبه هذا الى اشهى بلغة واسمى مرتجى، يقول هذا المتيم الفذ في ضرام الوجد: (هوّن ما نزل بي انه بعين الله).

ليبدي كيف انه يهزأ لغرامه الفريد بكل عنائه وكروبه التي لا تتحملها الرواسي، ولا تطيقها همة الصبر وان بلغت ذروة الاحتمال. من ير هذا يبصر الحسين صبّاً، مدلّهاً، اخذ الجوى بمجامعه فضاقت عليه نفسه في عصاب

الهوى، وضاقت عليه الارض برحبها، فلم يجد متسعاً له فيها من الحب العارم الا مذبح القربان، ونبذ سجنه الترابي – جسده ـ الذي يحوط نفسه الوالهة باغلاله، ويصدها عن العروج الى سبحات التحرر في مقعد الصدق.

ويظلم الحقيقة من يحصر فلسفة الثورة في هذا المضمون، فانما هي ثورة قائد ابيٍّ رافض احتمل أمانة الوراثة للمسؤولية الكبرى فقرر ان يثاور الاعاصير الراعدة وهو يخطو في مسار الاداء... ولانه عاشق معمود ذائب في محبوبه وهدفه فقد طفحت ـ والاناء ينضح بما فيه ـ مكنونات الفؤاد المجذوب، واستبانت اسرار النفس الوالهة.... وبذلك القلب المشبوب وتلك الروح المفعمة استطاع الحسين ان يصنع معجزة الفداء، ومن هنا ظن المحدقون في جنبة الغرام انها هي الداعي ولا شيء سواها.

وفي تجربة الصدر استبان عشق المدرسة الحسينية في المواقف التي سماها البعض انتحاراً، او اقداماً على التهلكه، او تسرعاً في الموقف، او غفلة عن فهم الابعاد والظروف.

فكيف يُفسر شغفه في ان يتوجه الى صحن جده امير المؤمنين ليطلق صرخات الرفض حتى تسكته رصاصة الظلم؟!!

وما هو تبرير العناد الحازم مع ان الطغيان في اعتى قواه؟!!

وما هو تسويغ الاقدام الصارخ على الانكار والمواجهة وهو كزورق مهيض في بحر لجي هادر؟!!

وما هو عذر الثائر امام منطق الاشياء ولغة التدبير حين يتحدى شراسة الكواسر الضارية في غابة تجلت فيها بمنتهى التجسيم شريعة الغاب، ويد المتحدي جذاء لا تصاول، وقوادمه لم تنبت لتسعفه في الطيران؟!!

كيف لم يسمع كجده الحسين لنصح الناصحين وتحذير المحذرين الذين تظاهروا بالحكمة، وتحدثوا بلسانها، فاعرض عنهم مستخفاً كما يعرض

الولهان عن احاديث الوشاة وسمعه مشدود بنداء الوصال، وعينه واصبة التحديق في طيف الحبيب؟!!

على اي محمل يحمل ذلك التصميم القاطع في تلك اللهجة الصارمة:

(لقد صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني.).

وهو يرى الافاق مكفهرة، والدروب موصدة، والانصار قد سيقوا الى المقاصل، ولم يتبق الا الناد والمكعوم، وسيف العدوان المرهف الضمآن يتلظى عطشاً الى نجيع مهجته الطهور، وانياب الوحش الكاسر الغرثان تتسعر من جوع الى لحمه كعسلان النواويس وكربلاء؟!!

من هذا كله قد يرى من يقتصر على جانب العرفان في الثورة الصدرية انه المتفرد بالدفع، والمتوحد بالتحريك، وان الأمر اذا لم يفسر به فستكون موارد السؤال حول الثورة قائمة على حالها، ومواطن الابهام في دوافعها مستقرة لا تزول.

ويغفل هذا الرائي بهذه العين عن ان يدير باصرته الثانية صوب التجربة الحسينية التي شابهتها التجربة الحفيدة المتأسية اروع المشابهة، وجارتْها ادق المجاراة، ليرى فيها اصدق التفسير والتعليل، ففي الحسين القائد المسؤول يكمن الصدر الوارث، ومن الوله الحسيني المتضرم يفوح الربيع الطافح بالاريج في مسير الصدر، وفي فصول الظروف المتآصرة، والمحركات المتماثلة يظهر البيان الصدوق لقصة القدر الازلي ان يكون التماثل بين يوم كربلاء ويوم النجف مكروراً بعد اعتقاب القرون المتمادية على يد الفاتح الاثير شهيد العراق.

ان خلاصة ما يقال فى الثورتين اللتين حيرتا العقول بعدم ظاهر الانسجام مع الشروط الموضوعية والظروف القائمة، وبطابع التصميم على تحدي الممنوع، في غير مواتاة للاسباب، ولا أمكان من القدرة، ولا محالفة

من عوامل التأثير،.. ودوختا الالباب بانهما ابصرتا نهاية مطافيهما بعين اليقين: فاجعتين بلا نظير، تخسر فيهما امة الاسلام اماماً معصوماً وعالماً فذاً ـ انهما مسيران منطقيان، يقودهما التكليف والمسؤولية العظمى، وانهما ثورتان جبارتان اريد لهما ان تخلدا مناراً واسوة، فكان لا بد لهما ليخلدا ان يصنعا غير المألوف، ويبديا خلاف المعتاد، ويكون فيهما لينبتا في الوجدان نبتة الجبال الشم ما تحار فيه الفطن من التفسير، وتذوب له الافئدة من الخطوب والفواجع.

انهما كانتا عمليتين فريدتين، مزجتا سطوات الروح الثورية الهادرة بترانيم العرفان، وجمعتا عرامة الانفعال الثوري المقدس بأناشيد الوله للقلب الهيمان، ووحدتا بين قصيف الرفض المدوي في الميدان، وغزليات العارف المنسابة من همس الوجدان. وألّفتا بين التعامل مع واقع التكليف ومتطلبات القيادة المستعدة لاداء المسؤولية، وبين ارهاصات الغيب واحاديثه الملهمة التي تنبىء عن غير ما يرسمه الظاهر للمسيرة من اهداف.

قالتا للواقع اننا ننطلق مما يفرضه الحكم الاولي او العنوان الثانوي من اوضاعك، ولكنهما احتوتا في اعماقهما على حديث آخر قاله لهما البعد الخفي الذي فرض نفسه عليهما من خلال قضية الاختصاص الالهي، والأثرة الربانية، والقدر المحتوم الذي ابى الا ان يكون الحسين السبط وحفيده الامين آيتين للثوار، ومدرستين للاحرار.

دوافع الأصحاب

لقد تمازجت في دوافع اتباع الأمام الحسين للّحوق به، والفداء على طريقه امور عدة:

الوعي بالواقع الفاسد الذي يراد تغييره.

الاحساس بمسؤولية المتابعة للقائد الحق من اجل التغيير.

روح الاستبسال على سبيل الجهاد مهما كانت التكاليف والاثمان.

وجاذبة العشق التي عبر عنها (عابس) واصفاً اياها بابلغ وصف هو (الجنون).

لقد تجسمت هذه الدوافع في اثناء المسير الى مكان الواقعة الكبرى، وفي ميدان المواجهة الاستثنائية، فانكشفت سرائر النوايا، ومكنونات القلوب، وتعرت الارواح في المحك العصيب، وبانت حقيقة معدنها، فاذا بها تبدّت رسوخاً لا مثيل له على العقيدة، وادراكاً فذاً للهدف والتكليف، وولاءً منقطع النظير للزعيم الهمام الثائر، وولهاً عجباً الى الفداء معه على نهجه الى غايته.

لقد ماثلت دوافع اصحاب الصدر اسوتها دوافع نجوم الطف وابطال ملحمة كربلاء، وكان الشعور بواجب الجهاد، والبصيره بواقع الفساد، وتصميم العطاء بمنتهى استحقاقه وتبعاته على الدرب المقدس، والفناء في شخص القائد الرباني حباً وطاعة وانقياداً يجسم حقيقة التسليم المطلق ـ من بعض سجايا الصفوة الخيرة التي تقحمت مع الصدر على طريق ذات الشوكة بكل الوعي بالمسؤولية، وبفرط الحب والتقديس والاقدام.

واذا كان اصحاب الحسين قد امتلكوا الصوارم التي شفوا بها بعض الغليل من خصوم الحق والهدف الاسمى، وذبوا بها عن حياض العشق والمعشوق، وادركوا ولو مقدار هباءة من حجم الثأر الهائل، لكن اصحاب الصدر لم يكونوا يمتلكون الا الايدي الخالية، والصرخات الابية المدوية، والرفض الفذ الجاهر، والاباء الصلب المستعلن، وخاضوا لهيب المعركة بقوة الضمائر والقلوب، وروح اليقين والصمود، وفورة الوله والولاء، في واقعة استثنائية، على خطى ذلك الاستثناء الكبير الذي صنعه لهم ولقائدهم الصدر سيد الاحرار (ابو عبد الله الحسين).

لقد ضم ذلك الموكب الطفي الالهي الذي لمع في الوجود لمعان الكوكب الدري في سماء الحقائق الباهرة صنوفاً شتى من المريدين والتابعين، تنوعت بين الرجل والمرأة، والصغير الكبير، والاسود والابيض، والمتعلم والامي، وذي القدم المتقدمة في الاسلام وحديث العهد به، والناصر منذ البداية، والمحامي الذي كان من الخصوم.

لقد كان هناك (٧٢) رجلاً، وكانت نسوة آل البيت وبعض النساء المناصرات، وكان الى جانب الوجوه الحسينية الزُهْر لسلالة الرسول وانصارهم ـ وجه جون الاسود الذي لم يكن له نصيب من الحسب.. ويقف في الساحة مع الشيخ اليفن الكبير (حبيب) الشبان واليافعون من الذرية الطاهرة وحماتها: (على الاصغر، القاسم بن الحسن، محمد بن ابي سعيد، عمر بن جنادة)..

ويَمْثل في ذلك الحدث الجسيم بضعة النبوة، وقاريء القرآن، وصاحب الجهاد، مشفوعاً بجديد الخطى على الطريق، والذي لم يعرف المسيرة الاّ وهي تتقدم نحو حومة الصراع ومعانقة الاسنة، بل كان فيها الحر الرياحي الذي نفذ بعض المخطط الاموي في حصار الحسين، ومنعه من الاختيارات الاخرى في مناورة ثورته وحركته باتجاه الهدف.

ويقف الرضيع فيالثورة من انصارها المضحين حيث يجعله الحسين وسيلة ضغط بارعة، ورقم ادانة رهيب، فيجعله المجرمون بالمقابل اداة ارهاب، ودليل اصرار على الجرم الى منتهى العناد. وتتجسد في الثورة الحسينية حقيقة الدور الباهر للنصف الثاني من اتباع الرسالة ودعاتها وهو (المرأة)، فكانت شريكة بارعة الاداء في الصراع الطفي، واختلط دم المرأة هناك بدم الرجال فيه، فقد قاتلت زوجة جنادة السلماني بعد زوجها لولا ان ردها الامام الحسين عليه السلام، وسال دم زوجة عبد الله الكلبي الى جوار جثمانه.

وحملت المرأة مشعل الثورة ورايتها ورسالتها بعد ان انكسرت في الظاهر، وخمدت اصوات الثائرين بعد استشهادهم ـ حيث ابرز الدور الزينبي لاخت الثائر جسامة المهمة الملقاة على عاتق المرأة المسلمة في خدمة الرسالة، وحمل أمانتها، ومدى القدرة على اداء ذلك الدور بأفضل الوجوه، والتأثير فيه ابلغ الاثر.

وفي ساحة ثورة الشهيد الصدر تجسد لكل لون من الوان التشكيلة الحسينية مصداق ومثال عمّقا روح التشابه، واضفيا على التماثل جمالاً باهراً ياخذ بمجامع العقول التي تتملى في جلال التناظر بين عاشوراء القرن السابع وعاشوراء القرن العشرين، وبهاء التناسخ الرفيع عبر هذه الفاصلة الزمنية الممتدة.

لقد شارك الصدرَ في مسيرته الدامية العصيبة اصناف تلك الكوكبة الكربلائية التي وضعها الفخار تاجاً على رأسه، وتشرف الشرف الرفيع بطهرها، وقدسها، ونقاء ذيلها، وامتناعها على العيوب والمشينات.

لقد ساهم شباب الجامعات واصحاب الشهادات بالدور الاوفر في الحركة الصدرية الفذة الى جنب البسطاء من الناس والاميين، واشترك فيها الفتية الرساليون في صف الكهول والشيوخ، وساهمت المرأة مساهمة زينبية رائعة جددت للعصر تلك الوقفة الخالدة لشريكة الرجل في اسطورة الفداء الكربلائي، فساهمت، وتحركت، وصرخت، ومدت يد البأس، وحاولت، ووقفت في النهاية امام المشنقة لتنال الشهادة السعيدة. وكما كانت اخت الثائر في كربلاء وارث الراية وحامل المشعل، كانت اخت الثائر في النجف تعيد الدور، وتخرج التأسي الرائع بارفع صورة وادقها في المحاكاة، واعادة التفاصيل الغابرة الغائرة في عمق الزمن السحيق ـ حية كأنها بنت اليوم.

واستعلن في الملحمة الصدرية نداء الذين لم يعرفوا خطه الا بعد ان

التقوه مصادفة او مدفوعين، فآمنوا به وبنهجه، ووضعوا ايديهم في ايدي انصاره القدماء، ليماثلوهم في البذل والعطاء.

وكثر في المسار الصدري امثال الحر بن يزيد الرياحي من البعثيين المستغفلين، ممن انّبتهم الضمائر، واصاخوا لنداء الوجدان، وامتلكوا شجاعة التعبير عن الندم فصاحوا صيحة الرفض لتمتزج هادرة مع صيحات السابقين المقربين، ليكون المثال واحداً، مساهمة تاريخية في الموقف الكبير، وسعادة أبدية ليس لها مثيل في الكرامة وشرف الدارين.

وبرز دور الاطفال والرضّع في الثورة الصدرية حين استخدمهم الملاحدة الحاقدون وسائل ضغط وعنف ضد آبائهم وامهاتهم، ومارسوا في هذا المنحى ابشع الوان الجريمة، وافظع صور الارهاب، وقضى اولئك الصغار الى جنب ذويهم شهداء سعداء يتلون آيات الفداء على منهج الصدر من وحي الولاء.

وكما ادى أهل المقام والشرفاء من ذوي الحسب الرفيع واصحاب الجاه في الرحلة الصدرية الى رحاب المجد من ذرية الرسول وسلالة الاحساب العريقة، وعلى رأسهم صدرهم ـ دورهم السامي، كان الى جوارهم فيه بل أَمامهم احياناً في السبق الزمني المغمورون، ومن لم يكن لهم نصيب من سجية الشهرة في مكانة او جاه او مقام اجتماعي، فالكل آمنوا ان الشرف الحقيقي هو الايمان الحق، وخدمة الرسالة، واداء الامانة، واحتمال الاذى في جنب الله، وان اكرم الناس عند الله اتقاهم، واوفاهم له بما حمّلهم وأئتمنهم.

القائد وموقف الأمّة من النصرة

لقد طلب الامام الحسين عليه السلام النصرة من الامة لموقفه التغييري في حدود من استطاع ان يوصل اليهم صوته المستغيث من اجل الحق، من اهل

الكوفة والبصرة ومن صادفهم في الطريق، وكان رد السامعين متفاوتاً على عدة حالات: هناك الطاعة المطلقة، والاستعداد التام من انصاره الاوفياء للتضحية، سواءً منهم من سبق علمه به، وكان له به علاقة وثيقة من حب وولاء، ام من لم يعرفه الا في لحظة عابرة على منهل من المناهل، او في منحنى من منحنيات الطريق الى غايته، فمال اليه ينصره، بل ان فيهم كما يروي التاريخ من لم يكن على صلة بدين الحسين لانه نصراني العقيدة (وهب النصراني)، فانضوى الى دين الاسلام، ليدخل فوراً بلا مقدمات الى حلبة الصراع من اجل الخط السليم، ويقدم ـ شاهد الصدق على الايمان في معركة الحق ضد الباطل ـ نفسه الزكية، ومنهم من كان كارهاً له ولابيه، عثماني الهوى (زهير بن القين).

وحيث انطلق مع الحسين في مسيرته تلك حديثو العهد به ـ خذله بعض العارفين به، متفضلين بالنصائح، وتخلى عن نصرته بعض المدركين لحقيقته واهدافه، محذرين من العواقب، وحاد عنه الكثير من المبايعين له، ومن دعوه لامامتهم وقيادتهم في معركة الخلاص من الحكم الاموي الغاشم.. وكان هناك المتفرجون الذين لم يكونوا له ولا عليه، على الحياد بينه وبين خصومه، والى جنبهم المتربصون الذين يأملون كعبد الله بن الزبير ان تكون نتيجة الصراع انكسار الحسين، لتخلو الساحة منه رمزاً ينافسهم، ويكتسح الساحة اذا حالفه الحظ فنال من اعدائه حيث يحب.

وبقيت الطائفة العاجزة المأسورة التي تحبه وتميل اليه بقلوبها، ولكنها بوازع الخوف تحولت الى جنود مجندة ضده، شاهرة سيوفها مع مناوئيه، وهي التي عناها الفرزدق بقوله للحسين وهو يشرح له وضع الناس في الكوفة ازاءه: (**قلوب الناس معك واسيافهم عليك**).

وكان هناك الذين ارادوا النصرة لكن الظروف القاسية منعتهم من ادائها،

وحالت الحواجز بينهم وبين المثول معه في الصراع مستبسلين في الدفاع، ثم استطاعوا بعد ذلك حين واتتهم الفرصة بعد تأليبهم القاعدين والخاذلين على التوبة ان يعبّروا عن الغضب المارد على قاتليه في حركات استشهادية قد يصفها البعض بانها انتحارية، تأججت فيها نار الندم على فوات الاوان، ولوعة الخوف من التقصير، والرغبة الجامحة بالعفو الالهي، ونيل شفاعة الحسين وآله الكرام.

وقد نالت احدى تلك الحركات ما ترجو من الانتقام، وشفت بعض الغليل من الرموز المدبرة لفاجعة كربلاء.

وفي قضية النصرة التي ارادها الصدر لخطه وثورته تماثلت الاجواء، وتشابهت النفوس، وتناظرت المواقف،.. فوجد الصدر من الانصار من ذوي السابقة والبصيرة به ممن اخلصوا وضحوا، ووجد كذلك من ليس لهم به اية صلة قديمة، انما عجلان ما عرفوه فعرفوا الالتزام، وعجلان ما استشهدوا بين يديه على نهجه.

والفى الصدر في ساحة الموقف منه من خذلوه وهم يعرفونه، ومن عاملوه بتعلّات الخوالف والمعذّرين، وتبريرات عمر بن سعد التي كانت فيها داره وسيلة هروب من اداء التكليف، والفى من ظلموه واغروا به وهم يدركون حقيقته حسداً من عند انفسهم، لانهم كرهوا فكره وخطه، او لانهم احسوا فيه المنافس الذي يُخشى من وجوده على وجودهم... وعاد في مسار الصدر المتفرجون الذين تعاملوا مع جده الحسين بلا مسؤولية، ليكون لهم ذلك الموقف مع الصدر، وعاد كذلك المتربصون الذين تتمنى قلوبهم ان يكون حتف الصدر المبكر في صراعه، ونهايته العاجلة في نهضته.

وتجدد في التعامل مع الصدر العاجزون والخائفون الذين تحبه افئدتهم، وترجو له النجاح في انطلاقته ليحقق لهم الخلاص، ولكنهم لا

يحركون ساكناً في نصرة المحبوب اذا استدعت ما يعرضهم للعنت وسيف السلطة لخنوعهم وخشيتهم، ولو دعاهم الطغاة الى حمل السلاح في وجهه لحملوه، ومن غير البعيد ان يكون في الذين حاصروه في بيته او استغلتهم السلطة ضده من كان يضمر له الحب العاجز عن التجسد المأسور للخوف والضعف.

لقد ذهب وفد الصدر الى مدينة الثورة – مدينة الصدر فعلاً ـ يطلب نصرتها له ولوكلائه المعتقلين بمظاهرة تأييدية، وقد سمع القائد ان له في بغداد مليوني موال وناصر، وتلكا أحد المحسوبين عليه في تلك المدينة، وامتنع عن الاجابة وتحريض اتباعه على المنشود، ثم انعزل عن الساحة مختفياً.. ولم يخرج للمظاهرة المرجوة من مجموع الناس الا جنيد متذائب سرعان ما اتت عليه عاصفة الحنق البعثي فلم يقاوم، واضمحلت خطاه، وانهار مسعاه دون هدفه.

ومن الطريف في التماثل ان عدد مبعوثي الحسينعليه السلام لتحريك الثورة في الكوفة معقل الناصرين كان ثلاثة: (مسلم بن عقيل، عبد الله بن يقطر، قيس بن مسهر الصيداوي)، وكان هذا هو عدد الذين ارسلهم الصدر لتحريك انصاره في مدينة الثورة للقيام باول مبادرة ثورية على مستوى تظاهرة ضد النظام، فقد بعث الصدر ثلاثة من محبيه للاتصال بوكلائه وشيعته في تلك المدينة الثائرة، وإبلاغهم رسالته اليهم.

وقد وجد الصدر كذلك من المحسوبين عليه من يطلب منهم النصرة في مستوى الخروج وكلاء عنه للأمة عندما حميت وطيس نشاطه، واشتد اقبال الناس عليه، فيرفضون لحقيقة الخوف الكامن وان تذرعوا بالدرس وشؤونه، ورفضوا كل بيانات الصدر الشافية لهم عن ضرورة الخروج بحكم الشريعة، ومتطلبات الواقع، وحاجة الامة، ولم تهزهم الامثلة الي ضربها لهم

في بعض مريديه الذين استجابوا فخرجوا وأجادوا العمل.

وبقي الذين احبوا الصدر بصدق ولكن حجزتهم عن النصرة اطواق السجون، وقيود الموانع، وحوائل المهاجر، واسوار المنافي البعيدة، فوجدوا واجبهم ان يبذلوا وسعهم في الثأر فألبوا محبيه، واستنصروا للثأر اولئك الذين اعاد بهم التاريخ قضية التوابين ولقبهم، ليجسموا في جهد الانتقام ارفع مصاديق البذل والعطاء، وخير امثلة التضحية والفداء، ويذيقوا طغاة بغداد الأمرّين، ويكحلوا اعينهم بالسهاد، ويمزقوا قلوبهم بسهام التبريح الذي لم يكونوا يحسبون له اي حساب.

واذا كانت الامة في معظمها قد غابت عن الحسين فكراً وثورة بفعل جهلها، وغياب الرشد الحسيني عنها لفقدانه وسائل الاعلام التي تتحفها به، ولعوامل التضليل، وتأثير مساعي الوعاظ المأجورين لشدها بمن يسمونهم لها ولاة الامر من حكامها، وتخويفها من عواقب الخروج عليهم دنيوياً واخروياً، معتبرين كل متعرض لهم بالنقد والبأس (خارجياً)، ملاماً في الدين، مستحقاً للعقاب ـ اذا كان الامر كذلك فقد غابت الامة في معظمها عن الصدر بمثل الدواعي الآنفة، فلم تتوفر له وسائل الاعلام المطلوبة ليشرح للأمة فكره التغييري، وبرنامجه السياسي، ومشروعه لنجاة الامة، ولم يحظ رضوان الله عليه اول امره بوكلاء له ومبلغين عنه كما يرجو في اوساط الناس يشدونهم بالرمز، ويربطونهم برسالة القائد، ويصلونهم بأهدافه، وما يريده للبلاد والعباد من خلاص وسعادة في الحل الاسلامي الذي لم يزل الامل الذي لا يجد له مجالاً للمثول في الواقع نظاماً مطبقاً، وشريعة مبسوطة الظل، وحتى اولئك العلماء او الوكلاء الذين كانوا صدريي الهوى فانهم كانوا يتسترون في مواقعهم بالارتباط بغيره من المراجع خشية السلطة، فلم يكونوا بحكم ذلك يستطيعون ان يظهروا الدعوة لمرجعيته، أو يمارسوا التبليغ لافكاره وغاياته، ليدعموا

معالم خطه بالارساء، ونفوذه بالامتداد، والدعم المالي من الحقوق التي هي السند الاساس للمرجعية واقتدار المرجع المادي... نعم حين اتاحت له الظروف فيما بعد الثورة الاسلامية في ايران ان يُخرج بعض طلابه ومريديه وكلاء عنه وفي حدود ضيقة، وان يستقبل بعضاً من وكلاء غيره ليتشرفوا بالوكالة عنه بحكم ضغط الواعين والجمهور المحيط بهم، وحين احس المجرمون ان الخطر الاسلامي الحقيقي قد اوشك ان يداهمهم في الداخل مستعيناً بالدعم المعنوي من الوجود الاسلامي القائم في الجمهورية الاسلامية، ومن الصحوة العارمة التي اوجدها هذا الوجود المبارك في كل العالم الاسلامي، وفي بلاد الرافدين بالخصوص، بحكم العلاقة الدينية المتأصلة، والارتباط المذهبي، والجوار الجغرافي ـ بادروا الى القضاء على هذه الوقفة اليتيمة في مهدها، فحرموا الصدر من وسيلته المهمة (الوكلاء) للارتباط بالناس، وتوعيتهم وربطهم بالقيادة. فما اشبه الليلة بالبارحة!، وما اعجب التماثل بين جهد الحسين في اسماع الامة ولو في اوساط محدودة كلمته من خلال مسلم والصيداوي وابن بقطر، لتحس سلطة الجور بالخطر الداهم، وتبادر الى وأد هذا الجهد في ايامه الاولى التي رأى فيها الوجود، ونال شطراً من المرتجى، وحقق للقائد جزءً مهماً من الهدف، وبين جهد حفيده السعيد في هذه السبيل، وما اعترضه فيها من الحوائل والمنغصات.

ولقد كان في تجربة الصدر ما كان في تجربة جده من الافراد الذين اختلفت عندهم القلوب والعواطف عن المارسات والمواقف، فاذا كان هناك في التجربة الحسينية من كانت افئدتهم تفيض بحب الحسين، وترجو له ان يوفق في مسعاه، وان ينال من اعدائه ما يحب، دون ان يؤدي بها هذا الحب الى مصاديقه العملية التي تستلزم النصرة بالوقوف الى جانبه في ساحة الوغى او على الاقل عدم المساهمة في ايذائه، وقتله، وسبي عياله، وتنفيذ الاوامر

ضدهم بنفوس يصهرها التأثر المرير، ودموع ساخنة تهتن بها سحب اللوعة والاسى، ليحرك التبرير الساهي بعض هؤلاء المحبين من ذوي الارادة المهزومة ان يمارس الاذى بحق عيال الحسين وهو يعتبر نفسه البديل الارحم، وانه لو لم يفعل ذلك لكان غيره يفعله، وهذا ما سطره التاريخ في مفردة ذلك الكوفي الذي سلب احدى بنات الحسين قرطيها باكيا وهو يعتذر بانه لو لم يسلبها لقام غيره بسلبها، عذر غريب يعبر في الواقع عن مدى ما يكنه قلبه من العاطفة الجياشة، وعن مدى ما يكبلها باغلاله من الضعف والهوان، وعدم القدرة على الممانعة والتحدي.

اذا كان الامر كذلك في مفردات الموقف من الثورة الحسينية، وطبيعة التعامل معها من قبل من يعرفون الحقيقة بقلوبهم، ويخذلونها بسلوكهم، فان هذا الامر قد تجدد مذهلا في مفردات الموقف من الثورة الصدرية، ومن مصاديق التعاطي معها من قبل الذين ماثلوا اسلافهم من المحبين الواهنين المستسلمين لقرارات السلطة واوامرها مهما كانت النتيجة.

ولقد تحدثت الارقام شاهدة على مثل هذه المماثلة العجيبة، وذكرت بعض امثلة المشابهة ان احد مبعوثي السلطة الى الصدر للمساومة خرج منه بعد رفضه وهو يبكي، ويبدي اسفه الشديد للمصير الذي سيلقاه، وان الازلام الذين حاصروا الصدر في بيته كانوا يحترقون بنار الحزن لحال من يحاصرون، وتدمع عيونهم لمرأى عيال الاسير في محنتهم.

وتصل المماثلة في هذه القضية الى الحد الذي عادت فيه حتى عبارات التبرير، ليقول احد الازلام وهو يضايق العائلة الصدرية الكريمة بحزن ولوعة: انه لو لم ينفذ ما أُمر به من المضايقة لكان غيره من القساة يبادر الى التنفيذ.

واذا كان في الذين بايعوا الحسين وظاهروه من اهل الكوفة – من

نقضوا بيعتهم له وخذلوه، فانه قد كان في المفردتين المذكورتين آنفا: المظاهرة الهزيلة، والمحسوب المنزوي ـ تكرار واضح لهذا الفصل من فصول عاشوراء في حماسة الصدر، عمّق اواصر المشاكلة بين الثورتين.

الإيثار الفذ

إنّ القيم الشامخة في الحياة هي شموسها الساطعة الهادية للنفوس في دياجير المسيرة البشرية، وان المعاني السامية للفضائل هي كؤوسها الدهاق التي ترتوي منها الضمائر الضامئة الى شربة الاشراق في السمو الانساني، بل هي معارجها الفريدة التي تظهر عليها لتطّلع الى كبرياء الارادة التي اصطفى بها العليم الخبير هذا الانسان ففضله على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً، امتاز به من دونهم بالقدح المعلى للشرف الاسمى. وكلّما استدعى نيل المحامد الخلقية وشرفها وسام الصدق فناله من طلابها الحافدين الى ذرى المعالي بالتضحيات ومآثر البذل ـ كان ذلك ادعى الى استجلاء سرالعظمة في النوايا الرفيعة، والهمم المتعالية، المشرئبة الى الافق الاعلى دوماً.

وان لم يكن الايثار اسمى الخصال في قاموس المحاسن الآدمية فهو في الساميات منها، المتربعات على عروش الاعظام والاكبار، يهفو اليها الالهام العملاق يطوف في رحابها، غارقاً في سبحات النور والعبير والشعور.

واذا كان الايثار ان تؤثر غيرك على نفسك بالنفيس لتكون سيداً بالفضيلة الرافعة، فانك اذا آثرت سواك بنفسك فذلك ما لا تبلغ شأو علاه غاية سعي الخيال النافذ، ومنتهى اقتدارالفطنة في اكتساح اغوار الحقائق، والامتداد في مديات المُثُل الشامخة لبلوغ عليائها.

لقد آثر الحسين في ليلة الخلود قبيل ساعات من ملحمة العلا غيره من اتباعه على نفسه، ورجّح حياتهم على حياته وهو في امسّ الحاجة الى

الناصرين، والحماة، والاعوان، ومن يذب بهم عن نفسه وحرماته، حيث احتوشته عسلان الفلوات لتقطّع اوصاله، وتملأ اجوافها من لحمه.

انها ساعة لا مثيل لها في ساعات الزمن مذ انجبته الحركة والى يوم الناس هذا، ضمها اليه من لدنّ ان بزغت من فجر العجائب الحسينية، ولا يزال يشم فيها عطر الكمال والبهاء، يتأرج من ربيع النبوة التى ورث منها سبط اهل بيتها عصمة الالهام وسداد الموقف.

ما أروعها تلك الساعة التي جمع فيها الحسين اصحابه ليقول لهم على الزجل المهيب من ملائكة الدهش والاعجاب، وعلى تراتيل الخشوع من الكون المصغي برعشة الوجدان المجذوب:

(اما بعد فأني لا اعلم اصحاباً اوفى ولا خيراً من اصحابي، ولا أهل بيت ابر ولا اوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً،.... الا واني قد اذنت لكم، انطلقوا جميعاً في حِلّ ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من اهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فانهم لا يريدون غيري).

ويكرر الحسين هذا المشهد المعجز امام جون حين يقول له:

(انت في اذن مني، فانما تبعتنا للعافية، فلا تبتل بطريقتنا).

ويطلق صيحة الايثار امام بني عقيل فيقول لهم:

(حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم).

وتمر الساعات في اطواء القرون لتعلن تلك الساعة الشريفة عن ظهورها الباهر على يد الفاتح المجدد سيد شهداء العصر في مواقفه الايثارية التي كشف فيها عن طهر نيته، وسمو غايته، ورفعة شعوره، وجلال نفسه الزكية، وحسن تأسيه بجده الحسين في اروع الفصول الخالدة التي بيضت وجه التاريخ، واعطت للانسانية بعدا قيميا وضعها في درجة السمو اللائقة بها.

حين توسم الصدر الشر في مكر الجلادين عندما رفعوا الحصار عن بيته مؤقتاً ليصطادوا به اولياءه الذين يجذبهم الشوق الى زيارة زعيمهم وحبيب قلوبهم، وحيث كان هو واهب الحرية، واستاذ الجيل في درسها، يتوق اليها ليخرج هو واهل بيته من اغلال الجدران في سجن الدار - يحس هو ان في غُنم حريته غُرْم احبائه وعاشقيه، وان راحته امست احبولة الجناة يظفرون منها بانصاره، من هنا امر باغلاق باب داره عليه، ليديم على نفسه الحبس، ايثاراً فذاً لا مثيل له في المكرمات، وتضحية بهية توحدت بوسام الشرف الرفيع. وقد اصر العادون على ان يبقى الباب مفتوحاً لغايتهم الدنيئة، فأصر هو على غلقه لغايته العلية، وقطع دابر الشر الذي يحيق باصحابه.

ويشرق علينا من افق الايثار الصدري بدر من بدوره النيرة بهالة ساحرة من الشموخ ـ حين يعلن الصدر للأمام الخميني رضوان الله عليه بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران انه اي (الصدر) وهو عملاق الفكر الاسلامي، ورائد الصحوة القرآنية، وأسد الثورة الأيمانية، وزعيم التيار العامل في العراق، وصاحب الاوسمة الباهرة ـ يضع وجوده الفذ هذا في خدمة وجوده الكبير. هذا حيث نعلم انه قلما وجد عظيمان لم يعصمهما الله قد ضحى احدهما للأخر بكيانه، وقلما توفر عالمان او مرجعان اسنى الواحد منهما لصاحبه، او مدحه في حياته واشاد به، او رضي ان يعطيه سلطانه المرجعي وامتداده الجماهيري، او يتنازل له عن شيء منهما، او لا يغتاظ اذا احس بان شيئاً منهما يفوته لغيره، او ان سواه يزاحمه عليهما ولو بغيرالعمد، بل بطبيعة الامتداد العلمي، وبحكم توجهات الناس نحو الاعلم والاصلح. نعم طالما كان هذا، وشذ عنه في النوادر السنية والاستثناءات الفذة رائد الأيثار واسوة المضحين - الصدر ـ بارفع الوان التضحيات. وقد امر الصدر اتباعه ومريديه ان يذوبوا في الامام الخميني، كأنه يتنازل عن حبهم وتأييدهم

وقلوبهم التي تسبح في فلك هواه لذلك الزعيم المنتصر، رافع الراية، ومبسوط اليد.ولم يكتف بان يقول لهم (احبوه)، بل اراد منهم ما لم يرده لنفسه، ذلك هو الذوبان.

يطلع هذا الوجه الرائع للتضحية والعطاء الوتر من علياء الكمال الصدري ليسحر القلوب، ويبهر النفوس، بل يدوخ العقول، ينضاف الى روائعه التي هي نشر الربيع، وزهو ريح الصبا، وهمس الندى فى توالي الدجي، بل لذة العاشقين في السَحَر المهيب، وسكرة العابدين في نجوى الحبيب.

وتباري فرس الرهان هذه في مضمار الامجاد الصدرية افراس شموخ اخرى توشك ان تسبقها لتفوز بالجائزة السنية، فهو رضوان الله عليه بدلاً من ان يطلب من قيادته النائبة التي عينها في حياته لانه مضح يطلب الشهادة وينتظرها لحظة بعد اخرى ـ ان تبقى مكانه في ارض الوطن الملتهب، ليخرج هو الى ارض الامان يصدر البيانات، ويوجه الرعيل، ويسدد الخطى، ويبقى للمسيرة والفكر والعبقرية يهبها من عطائه ما يغنيها باشهى المراد ـ يطلب منها بدل ذلك ان ترحل هي الى الظل الآمن تتربص يوم استشهاده لتؤدي ما يلزمها قبل ذلك وبعده، لانه يرى ان القتل على طريق النصر مصيره المحتوم الذي طلبه مصراً بالمجاهدة الدائبة العنيدة، ورآه عياناً في تصميمه، والهامات القلب المتصل بفيوض الرشد والسداد.

اين من هذا الفداء والايثار المذهلين بروعة التعالي كل الوانهما في طول التاريخ وعرضه؟.

وهل كان الانصار والمؤيدون الاّ جُنّة القائد ووقاءه؟.

وهل كان القادة في الاغلب الا وراء الدرع الحصينة من المريدين تحوطهم من الشرور، وتحميهم من الغوائل، لان عليهم أو لهم على الاقل ان

يبقوا ليديموا الصراع بفكرهم وحنكتهم وتدبيرهم؟.

والمذهل في وجوه التشابه في هذه المفردة العجيبة من مفردات الشموخ الصدري الباهر انه رضوان الله كرر خطاب جده الحسين لاهل بيته بتركه وحده في ساحة المواجهة، ليكمل سعيه في مشوار التماثل في هذا المجال الى منتهى ما يبلغ جهد الساعين من الاصفياء الابرار في رحاب الكمالات الفذة التي هي قدْرهم وقدَرهم.

لقد جمع الصدر اهله في ساعة من ساعات الحصار الاليم، وقد غمّه الاشفاق عليهم يكابدون معه بلا ذنب – غتا مبرحا، وتوجه اليهم مستعطفا اياهم ان يذروه بمفرده في قبضة الظالمين الذين لا يريدون سواه، وان يتخذوا سبيلهم الى الانعتاق من ربق العناء الفادح.

لقد قال لهم: (أنتم في حلّ من امري، وان هؤلاء الجناة لا يريدون غيري، ولا شأن لهم بكم، فعلام تكابدون مرارة الحصار معي حيث يمكنكم ان لا تكابدوها، غادروا هذا المكان، واتركوني وحدي اتدبر امري في هذه المحنة).

وكان رد اهل بيته على سجية الرد الخالد الذي سلف من اهل بيت الحسين ـ هو الرفض القاطع المفعم بالعتب، والانزعاج، وعدم الراحة، لسماعهم مثل هذا الطلب الذي يجرح العواطف، ويستثير الشعور، بقدر ما يلون بالبهاء هالة الايثار والتضحية حول هذا الانسان العظيم.

عقدة النقص في دوافع الأعداء

حين تتعدد المباعث الخفية والعلنية التي تكمن وتظهر وراء قبائح الافعال وعظيم المنكرات والجرائم التي جرت في التاريخ ضد الاخيار، والمصلحين، والرموز الكبيرة، والشخصيات الرفيعة، واصحاب الكمالات

الباهرة، تكون عقدة النقص، ويكون الاحساس بالحقارة اهم العوامل المستورة الكامنة في اعماق اللاشعور، والنابتة في مخابىء النفس واغوارها البعيدة المختنقة بظلمات الشقاء المرير، المتوفزة للتفجر المدمر بصواعق الحسد المغيظ، والحنق البغيظ، والكراهية المسعورة لكل خير وجمال.

وتتبدى هذه الحقيقة في تاريخ الصراع الاموي الهاشمي، وتتجلى بافظع صورها واعلاها في الانفعال المناويء الذي باء به الرسول المصطفى من ابي سفيان. ويمتد هذا الداء الذي استطاع النبي ان يكلّس جرثومته بمادة المقاومة الضارية، ليظهر بعده في فرصة سانحة سمحت فيها لتلك الجرثومة ان تعود في بيئة الاوضاع التي تبدلت، وعاد تأثيرها من جديد، حيث تعطلت كريات الجهاد البيض عن الدفاع، واكتسحت الساحة غمرة الاوساخ الجاهلية التي ارجعها الحزب الاموي من جديد من مزبلة التاريخ، هناك حيث دفنها رائد التوحيد ومنقذ الامة من عمايتها وشقاوتها.

وتشتد ضراوة البلاء العائد في الاحقاد التي رفعت شعاراتها جاهرة تنادي بثارات بدر، وتكشر عن أنياب الغيظ على الغريم القديم الذي أذال مجدها، واهان كرامتها، ووسمها بميسم (الطلقاء)، وجعلها التابع الذليل ردحاً من الزمن.

وكانت حماقة يزيد شجاعة جريئة اذ ابدت المكنون، وأزاحت الستر عن الخبيئة، وكسرت طوق الحذر من المكاشفة، وازاحت اثقال المصانعة والتدليس والادهان مع الرسالة، فعرّت النفاق المضمر، وفجرت الضغن المكبوت، وابدت الحرب الصُراح البَواح.

وليس ينسى يزيد وأزلامه كما ابوه وجده ذلك الانكسار الاموي التاريخي امام النصر المحمدي الهاشمي الاغر، ولا يغيب عن باله العاهات النفسية والجسدية التي يكابد عصابها هو وآباؤه ومن على شاكلتهم من

لفيفهم في مقابل تلك المحاسن النفسية المشرقة، وافانين الجمال الروحي والبدني التي تمتع بها رموز الخط المناويء. ولم يكن يملك هو ازاء ازّها الذؤوب الواصب الا ان يجسد التفاعل معها، والانسياق لها بمصداق الطواعية التامة المنسابة انسياب الماء في منحدر سحيق.

وتجددت في دواعي الوقفة الطاغية لجناة العصر ضد رائد الامة في العراق (الصدر) قضية العقدة الرهيبة (عقدة النقص) في اشخاص لم يكونوا الاّ حثالة من كل زريّ ذميم من الساقطين، والمنحطين، وذوي المستويات الرديئة، الخالين من كل ما يتمتع به البشرالأسوياء من مزايا وصفات مقبولة، فانت ترى ثمة النسب المشبوه بل الذي قامت الامارات والاشارات على فساده، فصاحبه دعي، وتجد هناك السقوط الاخلاقي لكأنّ هذه الزمرة الماجنة فيها جراثيم تسبح في مستنقع اسود، وتلفي في هذا الحضيض: الجهل، والحماقة، والانحطاط في شأن العلم والثقافة والمستوى الدراسي..... فكيف تفعل مثل هذه العصابة لتنفس عما في نفسها من كراهية الحياة الفاضلة، للنقمة من كل خير وفضيله وكمال؟، وماذا يمكنها ان تصنع وهي تبصر بعين قبحها وبشاعتها الذاتية ذلك الجمال الخلاب في الشخصيات الرفيعة التي تزينت بنجوم القيم، وكواكب الاخلاق، ودراري المعاني المحلقة في سماوات الالهام الممتدة!.

وماذا تصنع وهي البغيضه الشوهاء ازاء الصدر حبيب القلوب وآسرها بكمال نفسه، وحسن خصاله، وشرف محتده، وجلالة اصله، وشموخ شخصيته بالعلم البارع، والفهم الرائع؟.

وكما عبر الناقصون المحنقون الذائبون في مصهر الحقارة من بني الشجرة الملعونة ـ عن مصيبة بواطنهم المدخولة، وقلوبهم العليلة بمنتهى القسوة على اهل الكمال ـ كذلك بادرت سليلتهم عصبة الشؤم والرذيلة بفرط

غيظها على الخير الذي لا تجد لديها شيئاً من نسيمه العابق، ولا تلفي عندها شروى نقير من وجوده الكريم، فصبت احقادها البركانية من خلال الانتقام من الاخيار الذين اكرمهم الله بكرامة الدنيا والآخرة.

وقد تحدث هؤلاء المعذبون بصغارهم وسقوطهم عن قبحهم الذاتي بلسان بعض الامور التي تفوق كنايتها صراحة المباشرة في لمس المعاني، فنمقوا ظواهرهم بالرتب المزورة والشارات المفتعلة، واعطوا انفسهم ـ ظلماً وافتراءً ـ علقة النسب الارفع بالدوحة النبوية، وزينوا اشكالهم المقيتة بالاصباغ، وسعوا قدر جهدهم لارضاء العقدة المذكورة باذلال الشرفاء، واهانة الوجهاء، واحتقار ذوي الكرامة، ومعاملتهم بكل سوء، وممارسة البطش بمن لا يعير لهم الاهتمام الذي يروي ظمأهم في رمضاء ارواحهم الحقيرة، وهاجرة قلوبهم السافلة، وكلما ازداد الاعراض عنهم زاد النكال منهم مدفوعين بتلك العقدة التي تريد ان تفرغ شحناتها من خلال واقع يرضيها ولو كان مصطنعاً، وكمالات تتبدى بها ولو بالشكل والظاهر، ومناقب تُطرى بها ولو كانت زائفة مدعاة، فالمهم لديها ان تخرج من قائمة من تقتحمهم العيون، وتزدريهم الابصار، وتترفع الشفاه حتى عن نبزهم لحقارتهم، ويعاملون بالاهمال كما سقط المتاع وتوافه الاشياء.

فن الثورة

لقد طلع الامام الحسين على الامة بشيء جديد في عالم الممارسة للمسؤولية، وحمل الامانة، والتصدي القيادي، الا هو التدبير للثورة المقدسة، والمبادرة الى قلب الاوضاع بالعنف الثوري، والاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس في المواجهة ضد الطغمة الحاكمة، وضرورة العودة الى حكم الله، واقامة النظام الحق، وقيام العالم الرباني البصير ببذل قصارى الجهد من اجل

توعية الامة، وتوجيهها، ودعوتها الى تحمل اعباء التكليف الشرعي مع اخيارها وشرفائها لتصحيح الاوضاع، واعادة الامور الى نصابها.

وحين وجد الحسين فرصة التحرك والناصرين احس بأن التكليف يملك زمامه بقوة الوجوب الاكيد، فبادر الى اغتنام الفرصة، واجابة الموالين وطلاب الخلاص بالتأييد والرضى، والتصدي معهم، والاخذ بقياد المبادرة في عملية الثورة التغييرية، فبعث رسله اليهم بعد ما كاتبوه، وجاءته رسلهم لتشرح له الاوضاع، وتبين له الاستعداد، وتعطيه صدق التوجه المفعم بروح الولاء له، والعداء لخصومه، وحب البذل تحت رايته على طريق المواجهة الحاسمة.

ومن هنا اعطى الحسين تاريخ الامة بعداً جديداً كان لا بد له منه، ما دام الانحراف الاموي المتربص بالرسالة منذ عهد النبوة قد وجد الفرصة سانحة ليعيد امجاده المذالة بيد القهر المحمدي الفاتح... واشرع الحسين الباب على مصراعيه للثوار ليدخلوا حلبة الصراع الثوري مع الطغاة بعدما ضرب بالعصا المقتدرة لفدائه وفتحه صخرة الواقع الهامد ليفجرها عيوناً من الوعي، والجرأة، والتحدي، والاسترخاص، واليقين بالنصر وبلوغ الاربة الشريفة من خلال صب زيت الدم المقدس على هيكل الانحراف، ليقدح فيه زناد الثورة، فيحول المشهد الى لهيب لا يعرف من يغشاهم سبيل النجاة من غلوائه.

وعلى منحى الامام المجدد الفاتح الباعث للتاريخ، كان سليله الذي ابى الا ان يقّر عين ابيه بعمق التأسي وصدقه، فيكون مجدداً وفاتحاً ايضاً، ويطلع على الامة بشيء جديد ينال فيه شرف الخدمة الرسالية في ادق صورها، وأبهاها، واخطرها، واكثرها عرضة للطعن والنقد، والمخاطر من: الجهل الاحمق، والعبادة الرعناء، والنسك المتهتك، والمواجهة الحامية التي يخوضها

الكفر الطاغي ضد هذا الخط المقدس الاصيل الذي يجسد عصارة الهم الرسالي، وروح التغيير المحمدية، وبسالة الصمود العلوية، وعطاء الفداء الحسيني.

لقد رأى الواقع في الصدر الملهم منذ بواكير همومه الرسالية مفاجأة التصدي السياسي، والعزم على المقاومة للانحراف بالاساليب المدروسة، وطرق المقاومة والنفوذ التي تناسب المرحلة الجديدة من استشراء الغي، وبفنون النضال والسعي الدؤوب لبلوغ الهدف وهو استلام زمام الحكم، وبسط الارادة، ومن ثمّ تنفيذ المشروع السياسي المرسوم، في افادة ذكية من الفن الحركي الذي جرّب الواقع نجاحه الباهر. فتوجه الصدر لتنظيم صفوف الامة من خلال اطار سياسي سري ينتمي اليه في البدء طليعتها وشبابها والواعون والمثقفون فيها، ويمتدون خلاله الى كل جسد هذه الأمة بثقافتهم، ومشروعهم الالهي عروقاً نابضة بدفء الوعي، والبصيرة، والتسديد، والشد الرسالي الواثق الحكيم، وانهاض الهمم الايمانية، وبعث الروح الحسينية الثائرة على درب التغيير، وانارة العقول بأضواء التاريخ الامامي الذي اشرقت فيه الفصول الخالدة من حياة ائمة الهدى انواراً على طريق الثورة، وممارسات كاشفة على المسار المطلوب من اخيار الامة سلوكه في زحمة المسارات ومتاهاتها ـ فان الصدر المسدد بعمق الوعي، المتسلح بروح الفهم الواقعي لمضمون الرسالة، المتدرع بجبال التصميم على اداء الواجب، المتربص على جناح نسر للانطلاق، والمتأهب على شفا بركان الوثبة، قد طلع على واقعه بفكرة التغيير من خلال ارقى اساليب العصر في العمل السياسي التغييري، بعد ان شرح رسالة ثورته التي تصل الدين بالحكم، والشريعة بالسياسة، والعلماء الواعين بأزمّة القيادة، بعد كفاح الممارسة الاستقطابية، وطرح تاريخ الرسالة كله على انه تاريخ ثورة تغييرية نجحت في فصلها الاول من حركتها في

الظهور المقتدر المهيمن، ثم عادت الى الفوران الثوري المتصدي للانحراف، والساعي الى قلب الاوضاع، ووضع المسيرة على سواء الصراط.

لقد أعاد الصدر الثورة الحسينية بروح العصر واساليب الزمان، على قاعدة (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال)، فلا تأتي الحكومة الاسلامية الا من حيث اتت حكومة الطاغوت، وان للعصر احكامه، وللزمان ظروفه الموضوعية، وللحياة الزامات تجددها، واستحقاقات تطورها.

وجدد الصدر فورة الدم الكربلائي، والتصميم على الفداء، والهب حماس الشهادة، وحجّم مفهوم التقية الى ابعد حد بل حذفه عند غلو الباطل، وانزواء الحق، واعطى فكرة الانتظار لوناً جديداً من التفسير الذي يجعلها مفهوم حركة دائبة في منهج الوعي، والتبصير، واعداد الامة للفتح الاكبر من خلال فتوحات اسلامية ظافرة هنا وهناك، حتى تتجلى الارضية المناسبة التي يجد فيها رائد الظهور الموعود شروطه الموضوعية المطلوبه للطلوع من افق الفرج المرتقب بالظفر الاعظم الذي تمتلىء به الارض بنور الله وعدله، بعد ما ملئت بظلمات الجاهلية الجديدة وظلمها.

الحصار

مما تنوح به ورقاء المظالم فتستثير بمشاعر الحزن اللاذع احساساً دفاقاً بالشجى في الصخر الاصم ـ كانت ظلامة رمز الاباة والثائرين الامام الحسين عليه السلام، وما فيها من تفاصيل المأساة الخالدة التي كتبت عنها الاسفار الكبرى بعد ما مشى بها ركبان الزمن، وحدت مواكبها الأسيانة المتلفعة ثوب الشجن الاسفع، المنطلقة من بحر الغم وتيارالالم، تطوف بها على عوالم الشموخ والكبرياء، لينحنيا امامها بكل اجلال واكبار. ويبرز في فصول تلك الملحمة العظمى فصل الاسى للحصار في فلاة الوحدة، والجعجعة الرهيبة

الى مكان المساومة بين عز المنحر وذل الا بد، وبين الخلود رمزاً للأباء والفخار او الارتهان بخزي اقرار العبيد، واسر العار والشنار. فقد منع عن الحسين كل مدد وعون، وضرب حوله طوق العزلة، وحاصره الحر الرياحي مانعاً اياه عن كل اختيارات الموقف، مسْلماً اياه الى ارادة الظالمين ورغبتهم.

وكان في افجع الوان تلك اللوعة بعد احتياشه محصوراً في كربلاء، وترويع عياله ـ قصة القتل الذي سجل بالبشاعة مقاسة الى عظم الشخصية وقدسية هدفها نكسة الانسانية في مصداق النزق الذي تفرد في كربلاء بالغُلْب في مضمار الاستباق، وتكون النتيجة من مقدماتها فصلاً من اقبح الفصول في تلك المأساة، حيث يكون جسد السبط الحبيب لِقىً بين ايدي الوحوش الكاسرة، تعبث فيه بمنتهى السبعية وضراوة العنف، وتحمل رأسه ورؤوس اصحابه تدور القبائل والمناهل حتى تضعها بين يدي عتاتها، تطلب سني الجائزة وشهي النوال.

ويدفن بضعة المصطفى وريحانته وحيداً بعيداً عن ايدي احبائه واوليائه، والنظرة الاخيرة منه الى آله ومريديه، ونظيرتها اليه منهم، وعبراتهم التي يخففون بها منسكبة لوعتهم، ويطفئون نار حسرتهم لو استطاعوا الى ذلك سبيلا، وانى لهم؟

لقد لقي الصدر في مأساته التي اجادت المواساة والمحاكاة، من اقسى ما لقي الحسين مثيلاً ونظيراً، لكي تعاد المشاهد الحنظلية في مذبح الفذ زين المجددين، وتسترجع الايام والاجيال من حافظة التاريخ نسخة العلقم، ليتجرع كأسها على مرأى العجب والانبهار ـ قدوة الصابرين.

لقد حاصرته زمرة الغي حصار اسوته، وجعجعت به حتى صيرته حِلْس البيت سجيناً مع عياله المروعين، ينتظر القرار الارعن، ومنعت عنه كل المسارب الى انصاره ومحبيه، وضيقت عليه بالخنق حتى عاد ومن معه من

اهله بين اطواق الجدران تكبلهم اغلال الحبس والتعتيم، وتمت كلمة التشابه صدقاً في التناظر، وعدلاً في المجاراة، حين تمثل في مقتل الصدر كما حكته الرواة، وصدّقه بعض دلائل المحسوس، وقامت عليه شواهد السجية العدوانية الفريدة، لدى جناة التاريخ في بغداد ـ صدى عمق الفاجعة الطفية التي شاء صمود الصدر وفداؤه ان يعطياها حقها من الفهم بالتذوق، وان يقدراها حق قدرها بالتجسيم الماثل.

فقد عُذّب الصدر عذاباً نكراً، امعاناً في ايجاعه وايلامه، بعد ان رفض الشروط المذلة، وداس بقدم الاستخفاق والصبر مساومة الطاغين، مفضلاً الموت بكل قسوته على ان يعطى بيده للظلم، وان يقر له بلسانه، وينيله بعض ما يشتهي من رائد الركب، وقائد الفتح، وماتح حياض الشهادة، وعنوان الفداء.

واذا كان الحسين قد رأى ملامح العدوان الذي سيحيق باهل بيته وحرمه من بعده بالاسر والسبي والتوهين في بعض مظاهر التعرض لهم عند صراعه غير المتكافيء في ساحة المقاومة، فقال للجناة: (امنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرض لحرمي ما دمت حيا).

وابصر الحسين من ذلك ومما هو كامن وراء الحجب ما ينال عياله من الوان العدوان الذي لا تحكم عرامته اصول، ولا تحد شراسته حدود: (شاء الله ان يراهن سبايا).

فقد رأى الصدر مثل ذلك بالملامح والتوقعات قبل ان يبصره بالواقع المحسوس حين تعرض اخته امامه بعد اعتقالها وتعذب للمساومة والتركيع والاذلال، ليكرر الصدر الغيور بقوله لجلاديه: (لو كنتم رجالا فجابهوني ودعوا اختي..) مقالة جده الحسين الآنفة لعتاة جيش يزيد عندما ارادوا التعرض لحرمه.

واذا كانت الجناية الاموية قد غفلت فاتاحت لزينب ان تؤدي دور الوراثة لرسالة الثورة، فان جناية العفالقة استفادت من الدرس الاموي فقطعت لسان زينب الصدر مع قتل اخيها، ومنعتها من ان تجدد المهمة التي كانت تتمنى ان تعيد فيها للوجود مرة ثانية عظمة الموقف المهيب للنبوة البيت النبوي عقيلة بني هاشم بعد شهادة أخيها العظيم، وتكرر موقفها هي (بنت الهدى) في تلك الصرخة الهادرة امام ازلام السلطة عند اعتقال اخيها في رجب، ومثيلتها امام الامة في صحن امير المؤمنين وحرمه الطاهر.

وأعاد التاريخ في فصول البغي المتكررة تكرر فصول المقاومة، وعناد المضحين الاباة ـ مسألة الدفن، حيث توارى الجثمان الطاهر لرمز الفداء ومفجر الثورة في ظروف واحوال اشبهت تلك التي احاطت بمواراة محتده واصله جسد الشموخ لسيد الشهداء. فقد دفن ذلك الجسم الشريف على ايدى جماعة مجهولة، وفي ذلك الخفاء والبعد عن الاضواء، وكتمان التفاصيل، ليبقى الهمس، والاحتمالات، والاخبار، والاحاديث التي تدور في المحافل حول دقائق الدفن، ومكانه، والدافنين، تتملك ساحة هذه القضية، لتعمق لوعة المأساة، وتزيد في نار الاسى والاشجان، وتستدر العجب من المماثلة البارعة بين الامس الغابر في القرن الهجري الاول، واليوم الموصول الراهن في القرن الرابع عشر.

واذا كان قبر ابيّ الضيم قد صار مهوى الافئدة ومنارتها لانه ضم المشعل المنير، وظل مخيفاً خصومه الجائرين لانه احتوى مع الجسد الكريم رمز الثورة الذي يشع اشعاعه الذري من خلف اعتى الحجب والستور ـ فقد تعرض للعدوان المذعور بالرقابة والتخريب، ومحاسبة الزائرين، والنكال بهم حتى بقطع ايديهم، وعلى سجيه ذلك القبر الشريف كان قبر الحفيد السعيد ولنفس الدواعي موضع حيطة الظالمين مما يهم بهم منه من روح الثورة التي

لم تخمد فيه مع البدن الزكي، لانها لا تموت، فقد وضعوا العيون عليه رغم انهم غيبوه عن الناس، حيث ان عشق القلوب الوالهة قد دل المتيمين على التراب الذي احتضن جثمان معشوقهم، فزاروه في الخفاء الآمن من عين الرقيب، وعبّروا عن بعض الصدى لسخطهم العارم بشعاراتهم التي تركوها قرب الضريح ضد الجناة المارقين.

وزاد المجرمون في طمس معالم القبر، ومحو آثار القبور المجاورة امعاناً فيالتضبيع والتمويه... وبهذا تمت المناغمة المقدرة بين السبط الشهيد وولده الصدر حتى في هذه المفردة من مفردات الظلامة.

لقد اوشك ان يتماثل الأمدان ما بين الاحاطة العسكرية الشاملة بالحسين وقطع الماء عنه في السابع من المحرم والتي تحكي عملية الاعتقال لبدء المساومات، وكذلك بين امد الاعتقال للصدر لنفس الغرض ـ وبين الاجهاز عليهما وتركمها جسدين قد مثلت بهما الاحقاد الجاهلية ابشع تمثيل.

واذا كان الحصار الحقيقي للحسين قد ابتدأ بعد هلاك معاوية في الخامس عشر من شهر رجب حيث طولب بالبيعة ليزيد على رعود الوعيد والتهديد بالقتل، فان زمن الحصار هذا يكاد يتقارب بشهوره مع زمن الحصار الذي تعرض له الصدر في السابع عشر من شهر رجب ممتداً الى ساعة عروجه الملكوتي، وتتماثل في الحصارين معاملة المحصور مع محاصريه، فالحسين اكرم الحر وجنوده المجعجعين، وسقاهم الماء في حر الهاجرة، واغاثهم، وعاملهم باللطف، وعامل خصومه في كربلاء بسلامة القلب، والحرص على خيرهم ونجاتهم، وكان الصدر كذلك مع محاصريه، وقام بنفس ما قام به جده العظيم تماماً، لتكتمل المشابهة في كل سجايا الكرامة....

واذا كان الحسينعليه السلام قد ذاق في شبوة الحصار لوعة الحرمان من الماء الذي استغل الظالمون صده عنه وسيلة للضغط والتنكيل، فان الصدر على

شاكلة ابيه ذاق تلك اللوعة حين صرف عنه الماء اياماً طويلة، عانى فيها ومن معه في المحنة مرارة الحاجة الى ضرورة من ضرورات الحياة، ولولا ما حفظه (الخزان) الصغير في البيت، فقضى به موارد الاحتياج القصوى كالشرب والوضوء ـ لكانت الفاجعة في هذا المورد من عذاب الحصار قد وصلت الى مدى الموت على الظمأ كما حلّ بالحسين الذي اضناه قطع الماء عن عياله وصغاره، ولم يتبق لديهم الا النزر اليسير في القِرَب يقضون به حاجاتهم حتى نفد مؤذناً بخطب الظمأ الحازب.

واذا كانت غُبْرة الصراع الطفي قد انجلت عن الحسين الصريع الذي لم يترك من بعده الا ثَقَلَه من النساء والصبايا وقرة عينه الأبن الوحيد الذي انجاه الله في فورة النزال بمرضه على مشهور التاريخ ـ فان غبرة الصراع المتجدد بين الصدر الوارث لظلامة ابيه وبين جناة بغداد ورثة الظلم الاموي قد انجلت عن الصدر القتيل الذي ترك من خلفه حَشَمه وحرمه المروعين، وفيهم ابنه الوحيد الذي نآى به عن بطش الظالمين صغر سنه وحداثته.

محاولة الاغتيال

كان امراً قديماً، متمادي العمر، منذ كان الحكام المستبدون يجهدون في الخلاص من خصومهم ـ ان يتم اخراج المناوئين من ساحة الصراع التي يخشاهم فيها اعداؤهم خوفاً على عروشهم ـ بالقضاء عليهم غيلةً، ليحجب ذلك حجباً ابدياً عمن خافوهم كل هاجس مرير ينغص عليهم راحة الملك، ويكدر صفو السلطان، وكان هذا الخيار اقرب الى مشاكل اهل القدرة من اي خيار سواه، وكان الاتكال عليه اشد عندما يكون منازٌعوهم هم رواد الرسالات الالهية، وقادة الاديان من الرسل والانبياء وخلفائهم المهتدين، فالخطر عليهم من الدين خطر استئصالي، لان سياسته هي محو الطاغوت، واقامة حكم الله،

وازالة الجبابرة، ووضع الهداة المصلحين مكانهم... وما اكثر ما نُحّي الهداة والعاملون الرساليون، ومن تابعهم متابعة المسؤولية بعمق الوعي والجهاد ـ عن طريق الجناة المجرمين بتلك الوسيلة الناجعة الهادئة، والتي لا تكلف السلطان غالياً، وتجعله يستتر بها حجاباً مجدياً في اخفائه عن عين الرقيب، ويحتمي بها درعاً واقية من سهام الاتهام، وتفسح له المجال حتى ان يبهت اعداءه ولو من انصار اولئك الاخيار بانهم وراء ما حصل.

وفي الاسلام كِيْد الرسول بذلك الكيد وانجاه الله منه، وان قيل انه قضى مغتالاً بالسم الذي دُس له في ذلك الزاد الذي طعمه في خيبر، وتأخر تأثيره لقلة ما سرى منه اليه بعد ان القى تلك الذراع من فمه قبل ان يبتلع منها شيئا...وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في نزعه الاخير:

(مازلت اجد أكلة خيبر، فهذا أوان قطعت أبهري).

ولكن اهل بيت النبوة (أئمة الهدى) كابدوا من ذلك البلاء مرير المكابدة، وقد تمت تصفيتهم به الا الحسين عليه السلام، حيث كتب الله له ان يكون صانع ملحمة كربلاء بتلك الفاجعة التاريخية، والقتل المروع بتلك الصورة الفريدة، بعد ان اوشك ان يكون رميّة سهم الظلماء، وصريع اليد الخفية، وضحية الاغتيال، عندما استهدفه الامويون بتلك الاحبولة وهو لا يزال في مكة، لكنه ادرك المكيدة فتدارك الموقف، وعجل الرحيل، قاطعاً شوط الحج بالعمرة، متلافياً ان يكون قتله في حرم الله اداة انتهاك لحرمته. وقد بين سلام الله عليه هذه القضية لاخية محمد بن الحنفية قائلاً:

(قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فاكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت).

وحينما سأله الفرزدق في الطريق:

يابن رسول الله! ما اعجلك عن الحج؟.

قال عليه السلام: (لو لم اعجل لأخذت).

وذكرعليهالسلام هذه القضية ايضاً لواحد من الذين التقاهم في الطريق الى كربلاء وهو ابو هرة قائلاً له:

(ويحك يا أبا هرة! ان بني امية اخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت..).

وعلى سبيل المناظرة والمحاكاة الكبرى التي كادت ان تكون مستوعبة، تعرض الصدر المتأسي الى خدعة الاغتيال فيالشارع وفي بيته، وابى الله بلطفه ذلك كما أباه للحسين، ليكون القتل الصُراح المباشر بجرم الثورة كرامتهما، وفخرهما، ولواء الاباة الثائرين على خطهما.

الغضب الإلهي للظلامة

وعد الله رسله وانبياءه وعباده المقربين من دعاته وحملة أمانته ان ينصرهم بالحجة والبرهان، وان يظاهرهم في حومة الميدان، وان يعلي كعبهم بالبينات والآيات، ويظهر فلجهم بالنكال والنقمات، وقد قدر الله غضبه لبعض اوليائه الموتورين، يصب جامه من بعدهم على من نصبوا لهم العداء فأبسلوهم دون حياض غاياتهم، وحالوا بينهم وبين أداء أماناتهم، ليعزهم منه بأوسمة الكرامة، ويذيق خصومهم حر العذاب وفرط الندامة.

وعلى منهج التأييد الالهي لخلفاء الرسل واوليائهم المقربين على طول الخط ـ يتلألأ بالطلوع الشامخ وجه اللطف الالهي بسبط المصطفى سيد الشهداء، حين كتب له غاية الفخار والسؤدد في الدنيا، ليكون بهما هامة الجوزاء وجبين العلياء، وقضى سبحانه له سخطه على قاتليه، يسقيهم صابه انفاساً يتجرعونه ولا يسيغونه، ويطعمهم ضريعه وزقومه، فيملأون منه البطون يقطّع احشاءهم، ويغتّهم في فورة الندم غتاً كأنهم منه في مذاب بركان،

ويشوي بجمره المهلي قلوبهم فكأنهم في مجمع النيران.... لقد انزل الله بهم عقوباته تترى فيما نعلم من صور اخذه الاليم الظاهرة للعيان، والمشهودة للحس، كالانتفاضات التي جعلت عرشهم مرمى الشهب اللاهبة، وجائحة الثأر التي اتت على الجناة المباشرين، والكراهية المقيتة التي نفذت في اعماق الامة لخط الجناية الاموي، فتحول الى كتل رهيبة من المواد المتوفزة للانفجار، فحرك فيها العباسيون صاعق الشعار المغري (ظلامة أهل البيت)، ودمدمت رعود الهول، وانصبت حممه المهلكة، ودارت عجلة التاريخ بحجم الهلاك المرير المحتوم، تسحق رأس الافعى الاموية، وتقلع الشجرة الملعونة في القرآن، تصيّرها رميّة اللعنة المتصلة، يظل نتنها الكريه يزكم الانوف، ويقرف الارواح.... وللصدر كما لجده كتب الله على قاتليه ومبغضيه عذابه الأليم، وسلط عليهم من الوان النقمة ما يحار العقل فيه لغرابته، والحاحه، وضراوته، حيث جعل المجرمين هباءة تتقاذفها الرياح العواتي للنكال، وغريقاً تتقطع انفاسه بين جبال الموج الهادر يلهو به لهو العابثين...

وان يكن الحسين قد تنبأ في ساحة الوغى بمصير شانئيه وقاتليه بقوله: (اني لارجو ان يكرمنى الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم).

وقوله عليه السلام: (لتقتلني الفئة الباغية، ثم ليلبسنهم الله ذلاً شاملا وسيفاً قاطعاً، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ).

فان الصدر رضوان الله عليه قد استلهم من فؤاده المبصر، وروحه النافذة، ومن سنن التاريخ والمثلات والعبر عن ما يصنعه الظالمون به، ومآل عرشهم الاثيم الذي جسم الظلم في اعلى مداه، مجموعة فيه كل فصول الغي والبغي التي مرت لياليها الدُكْن واعاصيرها الرُبّد على مسيرة الحياة، ترهقها من امرها ما لا تحتمله من العسر، وتكلفها باهظاً ثقيلاً ثمن السكوت او غلواء المنابذه.

لقد تنبأ الصدر بمصير جلاديه، وبشهادته على ايديهم، واطلقها مرارا واضحة جلية في هذين الامرين، وكان لسانه جاهرا صارما في نداءاته الثلاث التي سجلها بصوته قبيل استشهاده، حيث يقول في ندائه الاول عن المفردة الاولى: (أؤكد للمسؤولين ان هذا الكبت الذي فرض بقوة الحديد والنار لا يمكن ان يستمر....ان القوة لو كانت علاجا حاسما دائما لبقي الفراعنة والجبابرة).

ويقول في هذا النداء عن المفردة الثانية: (إنّي أعلم أنّ هذه الطلبات سوف تكلفني غاليا، وقد تكلفني حياتي..).

ويقول عن هذه المفردة في ندائه الثاني: (انا اعلن لكم يا ابنائي اني صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني...).

لقد سلط الله على طغاة بغداد عذاباً مستمراً مذ حرموا عين الحياة من كحل طلعتها البهية، يشفيها من داء العشوة، ويزينها باشراقة الحسن الفاتنة، فلم يهدأ لهم بال بعد قتلهم رائد الامة وهاديها، فقد دهمتهم الكروب من كل صوب تبرّحهم، وطلعت عليهم الخطوب كأنها رؤوس الشياطين تروعهم، وباتوا على شفا جرف هار من النهاية التي يكابدون فزعها في وصوب ملحّ مفرط في الايلام، فلا هم يذوقونها فينتهون، ولا هي تخفف عنهم فيهدأون. وكانت حربهم الحمقاء على الجمهورية الاسلامية هاجسهم المرير الذي فارقهم معه طائر الكرى، فلم يحُم فوقهم الا لِماماً على فزع رهيب يتغشاهم بالهول المارد.

لقد كانت الجهود التغييرية بما فيها الانتفاضات ومساعي الندم الصدوق التي عاد فيها المتطهرون ممن حملوا لواء التوبة، واطلقوا على انفسهم لقب (التوابين)، ليسطروا ملاحم الانتقام ـ كانت نصيب زمرة العفالقة التي تلطخت يدها بدم القائد المستعاد عبر القرون في ركب التأسي، وهي تحسب انها

ستستريح من هاجس الصدر، فتغفو في مرتع السلطة الجائرة قريرة العين بلا سهاد.

وعلى سجية الالحاح في فورة الغضب الالهي على الجناة سلط الله عليهم بأيديهم حربهم على الكويت، ليطلع عليهم منها وجه عرامات لا قبل لهم بها، وكربات لم يذوقوا طعمها، فغرقوا منها في الخضم المزبد للعناء المستشيط الثائر، ولبسوا فيها ثوب الذل منسوجاً من قطران الخزي الفوار في منتهى سعاره وابعد اطواره، يتقلبون فيها بين جمر العار في غاية شبوته وفرط لسعته، ومشى بهم غضب الله تَسِمهم فيه عقبى جنايتهم بميسم الصغار الذي امتنع عن المثيل، وتعبث ايدي امثالهم بعوراتهم على مرأى الدنيا، وتخرجهم من جحورهم ومخابئهم اذلة خاسئين، ثم تسوقهم مكبلين مقنعي رؤوسهم، ليقفوا مبلسين صاغرين في قفص الاتهام امام ضحاياهم، حيث عرّتهم المخازي من الشرف المزعوم، وسلبتهم الكرامة المدعاة، ثم سيقوا الى مهاوي جزائهم، ليشنقوا بالحبال التي ازهقوا بها ارواح النجباء والنجيبات من احرار الرسالة وحرائرها، وليسمعوا قبل اخترامهم صيحة الصدر العظيم على لسان عشاقه الاوفياء تجلجل كالقدر المحتوم، فيتكنفهم منها فزع مذهل يجوس في اعماقهم، يتمززون صابه فيجدونه امر من طعم الموت الذي انشب مخالبه فيهم.

نعم لقد سلط الله عليهم وباله ونكاله، واذاقهم اشنع الوان الهوان، وجعلهم عقابه مضرب المثل في الذل، ومرمى ابصار الساخرين، ومطمح طرائفهم وحكاياتهم.

يقول عضو القيادة القطرية في حزب البعث العراقي خضر الدوري متحدثا الى السيد حسين الصدر بعد عام ١٩٩١م: (ان اغلب الذين تولوا اعتقال وتعذيب وقتل السيد الصدر قد لاقوا حتفهم بطرق غير طبيعية).

ومما يذكر من الامثلة التي ظهر خبرها على حقيقة النقمة الالهية مقتل المجرم دحام العبد الذي تفرد او ساهم بقتل الشهيد، حيث قضى عليه بعد ايام من جريمته صبي لاحدى زوجاته يبلغ من العمر ١١ ـ ١٢سنة، وكان ذلك في شجار عائلي.

ولا يكتفي قانون العقاب الالهي بمن حاربوه وناوؤه، بل هو يمتد شمولياً ليعم حتى اولئك الذين سكتوا على الجناية، ولم ينبسوا ببنت شفة وهم ينظرون، او الذين قصروا في حقه من عارفيه.

وهؤلاء وأولئك اربع طوائف:

طائفة كانت تدين حركته بادعاء بعد الدين عن السياسة، تتحجج بروايات الحذر من رايات الضلال التي تقوم قبل الظهور، واخبار التقية. ولم تأله هذه الفئة جهدها في الذم والتسفيه الخفي والظاهر.

وطائفة ثانية كانت ترى فيه منافسها الصاعد على المرجعية، الذي يهم ان يكتسح ساحة التقليد، وهاتان الطائفتان سكتتا على الظلم الفادح الذي ناء باثقاله الشهيد المظلوم، وعلى الحصار الخانق الذي كابده هو وعياله على مرآهما ومسمعهما، ولسان حاله ينادي: (هل من مغيث؟) فلا احد يجيب. ولعلهما كانتا تتربصان ساعة الخلاص منه على ايدي جلاديه.

وطائفة ثالثة كانت تُحسب عليه، لكنها خالفته الى ما لا يشتهي حين اراد منها ما لا تحب، فأعرضت عنه اعراضاً خفياً، وناوءته مناوءة باطنة، بل ظاهرة في بعض الحالات.... وفي افراد هذه الطائفة من بنوا امجادهم به بعد شهادته، ثم اخذوا يتهاونون في ذكره، ولولا بقية من الحياء لتخلوا عنه تماماً، وجعلوه نسياً منسيا.

فأما الطائفتان: الاوليان فقد نالهما مما حاذرا من سوط السلطان وبطشه بدواع لاتؤجران عليها ولا تحمدان، وأتاهما قاعدتين ذميمتين ما اتى الصدر

في شرف جهاده وعز رسالته ونهضته من حر السيف، واغلال السجن، ولوعة الترويع.

واما الطائفة الثالثة: فقد عوقبت بعقوبات شتى: منها ان الذين خالفوا الصدر فيها عناداً فيما يرجو اهينوا بما عاندوه من اجله، فباتوا نادمين على مافرط منهم في حق رضاه، مدركين في اعماقهم انهم قد اخطأوا معه فنالوا غِبّ ما فعلوا نكالاً من الله، يؤمّلون ان يكون كفارة جرمهم، يُغسلون بها في الدنيا لينقلبوا الى الله وقد محيت من كتابهم صفحة ذلك الاثم.... وقد رأينا بأم اعيننا كيف ان الذين تجاهلوا الصدر بالنسيان للبدائل والأنا قد أُخذوا بحب الدنيا، وابواب كل شي، والوهم الخادع، والامر الفُرُط، والمنغصات التي تأخذ بمجامع القلب، والمشاغل السخيفة التي تغري بالحطام، وتلهي عن الاخرة، وتكون مباءة الآثام والاوزار.

اما الساحة في الداخل وهي الطائفة الرابعة، فقد عوقبت لصمتها على ظلامة الصدر بما لم يصب الذين ظلموا خاصة من: سنيّ يوسف، والذل الشامل، والسيف المستوعب، وصروف الموت، وزعازع الرعب الواصب، والعناء الذي ليس له مثيل. فلا تكاد تغادرها مذ ذبح الصدر بين ظهرانيها فلم تحرك ساكنا ـ كارثة موبقة الا جاءتها غيرها اشد منها.

وقد ذاقت في حرب مجرميها ضد الجمهورية الاسلامية، وفي غزوهم الكويت، وما تلا ذلك ـ ما لا عين رأت من الوبال، ولا اذن سمعت من النكال، ولبست للهوان لباسالم تلبس امة قبلها مثله، وغرقت في بحر خطوب هادر باتت فيه سفينة مهشمة تتقاذفها الامواج العاتية.

تبرئة السلطة

حين يرتكب الظالمون جرائمهم المنكرة ضد المقدسين الثائرين

فينالون اغلى مناهم بما ظنوه الراحة من شر الخطر الداهم، قد يسعون جاهدين في حملة اعلامية مضللة الى ارتكاب جرائم اخرى يريدون بها ان يغطوا على ما كان منهم، وكلا النوعين المادي والاعلامي من العدوان الفادح يجريان على النهج المرسوم لهما، وهو ضرب الخط الالهي بنبز قادته وانصاره، والأجهاز عليهم. وتحميلهم شر ما جرى لهذا الخط من الخطب الكبير، وبالتالي تشويه قدسية المنهج ونزاهته.

وبحكم المشابهة بين الثورتين الحسينية وحفيدتها الصدرية كان تعرضهما لذلك الكيد بعد الاقدام على الجناية الكبرى عليهما بقتل القائدين ـ هو من اهم معالم المماثلة وصور التناظر المؤشرة على سلامة النسب في اللاحقة، وطهارة المحتد، وعصمة التأسي، وصدق الاحتذاء.

(عصفوران بحجر واحد)، هذا هو اقبح الوان المؤامرة الكبرى على نهج الحق وانصاره، يقتلون الحسين القائد شر قتلة بعد ان يتهموه بالخروج على القانون والشريعة، وبطلب الدنيا ـ وينسبون الجرم الى مريديه، زاعمين انهم خانوه، وخذلوه، واسلموه الى المقصلة بعد ان وعدوه ومنّوه، واعطوه البيعة، فهم يتحملون مسؤولية ما جرى له، وكأنّ الظالم لم يكن مصمماً على الخلاص منه بأية حال؟، او انه لولم يخنه بعض من بايعوه او كلهم لكانت السلطة تعطيه مفاتيح القدرة راغمة مستسلمة؟، وكأن النظام الغاشم لم يبادر الى الاتيان على حركة انصاره بالقتل والاعتقال لرموزها، وتخريبها من الداخل، وتفتيتها، وحرفها عن مسارها، وتطويقها حتى لا يمتد شيء منها بالدعم لركب القائد الزاحف باتجاه الهدف... هكذا فعل الاعلام الظالم من خلال ازلامه وأبواقه ووعاظه، واشتد الصائد بأحبولته في طلب المراد حتى بلغه، فصار قتل الحسين يعني حتى لدى الكثيرين من المغفلين من محبيه ـ خيانة اهل الكوفة، وان ذبحه كان بسيوفهم، وان تخلي اولئك عنه هو السبب

الحقيقي للجناية العظمى.

واذا كان هذا الكيد يستغفل الموالين ويصيب غِرّتهم، فهو في القطاعات الاخرى الواسعة المحسوبة للسلطة ـ اكثر قدرة على نيل المطلوب، لتبقى الموالاة المخدوعة، ويبقى الاسناد المغرر به، وتوصد المنافذ في وجه اي وعي بالحقيقة قد يؤدي الى تغيير الموقف من السلطة، كما حصل من ذلك الشيخ الشامي الذي تبصّر الواقع من هدى زين العابدينعليه السلام.

القدرة الغاوية الكائدة التي سلكت ذلك الطريق في ضرب الثورة الحسينية، تأست بها لانها سلالتها ـ قدرة العفالقة في بغداد، فهي بعد ان وأدت ثورة الصدر، وجددت في موقفها منها ومن قائدها مأساة كربلاء ـ سلطت جهدها الاعلامي بفنون الخديعة، فاوعزت الى بعض جناتها ـ فاضل البراك ـ ان يلتقي الصدر ليبين له ان حساده في وسطه الحوزوي يكيدون له، وان الحوزة تسعى به بوشاياتها وتقاريرها لدى السلطة، ولانه اي (البراك) ناصح امين، فهو يتباكى من اجل احتمال ان يفوته شيء من تلك الوشايات الى من فوقه مباشرة قبل علمه، حيث لا يستطيع ان يغطي، او يتلافى، او يتخذ الموقف الوجداني الشريف منها!!!

اي كيد هذا الذي يسعى الى الايحاء الى نفس القائد بان الشر لا يأتيه من السلطة بل من حساده وشانئيه في الحوزة؟

ترى كم سعى هذا الكيد وباي لون من خدائعه ان يوحي بذلك الى ابناء الامة والى مريدي القائد وانصاره ومحبيه؟

وكم من الذين استغفلوا بهذه المكيدة حتى من كوادرنا، فسخروا السنتهم واقلامهم للتركيز على دور البيت في تصفية سيد رموزه وابنائه؟!، وكأنهم بذلك قد وقعوا على السر الاعظم الذي استعصى واعيى في زمرة المستغلقات التي تأبى ان تفتح، متجاهلين ان مكيدة النظام احتبلت اذهانهم،

وجعلتهم يركزون على ادانة انفسهم ووضعهم الداخلي قبل ادانة حكم جاء بالسيف، وعاش به، ولم يأمن بوائقه حتى انصاره ومن قام على اكتافهم، وكان شعاره البقاء بأي ثمن، وقمع الدين واهله بكل عنفوان الكفر والجحود.

ترى هل أمِن الذين قيل انهم كتبوا ضد الشهيد ووشوا به في الحوزة شر الظالمين جزاءِ وفاقاً على مافعلوا؟، وهل هذا الا دليل قاطع على ان النظام ضد الجميع: الصدر وخصومه في الحوزة، ما دام هو ضد الدين ولوازمه، وضد اي موضع يتوقع منه الخطر بأدنى احتمالاته حتى لو كان من وضعه الذاتي؟

ترى لو لم يحسد الصدرَ حاسدوه ـ وهم ظالمون ومؤاخذون طبعاً ـ هل يكف عنه النظام ما دام هو مجاهداً ثائراً يريد عودة الاسلام وتحكيمه؟

الم يكن واقع حركة الشهيد، وعين السلطة المؤرقة بجهوده، وهاجسها البركاني من خطره ـ وراء قتله والخلاص منه؟.

الم تكن للسلطة عيونها عليه ان كانت تحتاج الى ذلك، ما دام نشاطه على مرآها ومسمعها، وخطاه على طريق الثورة مكشوفة جاهرة ليس عليها حجاب؟.

هل تحتاج دروسه، وافكاره، ونداءاته، وحفاوته بأمته المبايعة، ومواقفه ضد الجناة، ومناوءته لهم في تحريم تنظيمهم ومؤازرتهم، وادانة افعالهم ومواقفهم من الدين وشعائره، وحربهم على المؤمنين والمجاهدين، وهل يحتاج كذلك اسناده الفريد للثورة الاسلامية في ايران، وولاء قائدها العظيم، وجهده ـ اي الصدر ـ ذلك الجهد الحافد الحثيث لتفجير الثورة في العراق على خطى اختها في ايران، ليغنم الاسلام بهما شعبين مسلمين متآزرين، وبلدين اسلاميين متجاورين، بينهما أواصر جمة من المشتركات والسوابق والمصالح، هل يحتاج ذلك كله الى تقارير من الحوزة، ووشايات

منها لتتحرك السلطة بسببها ضده؟

الم يكن هذا وغيره الكثير مما لا تتسع له هذه السطور كافياً لجعل الملاحدة المجرمين يصممون ـ وقد اخذ عليهم الذعر اقطار راحتهم واستقرارهم ـ على حذف الصدر من الوجود، لتخلو صدورهم من البلابل والهواجس المزعجات؟.

صحيح ان اوساطاً في الحوزة قصرت في حق الصدر بل حسدته، وفرطت في جنبه، وما مدت يدها لاسناده، وربما تكون مالأت بصمتها على مقدمات الجريمة، وسوف يؤاخذها الله بما فعلت، ولكن ذلك كله لا يشكل علة الجرم الذي اقدمت عليه السلطة، ولاجزءً من العلة، ولا أرضية ما حدث، ولا الممهد له، لان مواقف الصدر ضد النظام، واقدامه على الثورة، وتصميمه على تغيير الاوضاع هي العلة التامة لذلك، وهو ما ذكرته تلك العصابة المجرمة سبباً للمنكر الفظيع الذي اقدمت عليه.

ولو لم يكن الصدر ثائراً يتحدى، ويصمم على قلع الكفر من ارض العراق بالثورة والجهاد والشهادة، ثم اساءت اليه الحوزة او حسدته وظلمته فان ذلك لا يغري به السلطة، ولا يحركها ضده ما دام لا يهدد مصالحها باي خطر، وقد رأينا وقرأنا وسمعنا عن التحاسد في الحوزة، ولكن ذلك لم يكن يؤدي الى استغلاله من قبل القدرة الحاكمة لقتل المحسود ما لم يكن له دور في ارعاب تلك القدرة بفكرة القيام ضدها، وبواقعه المشهود بالممارسة..

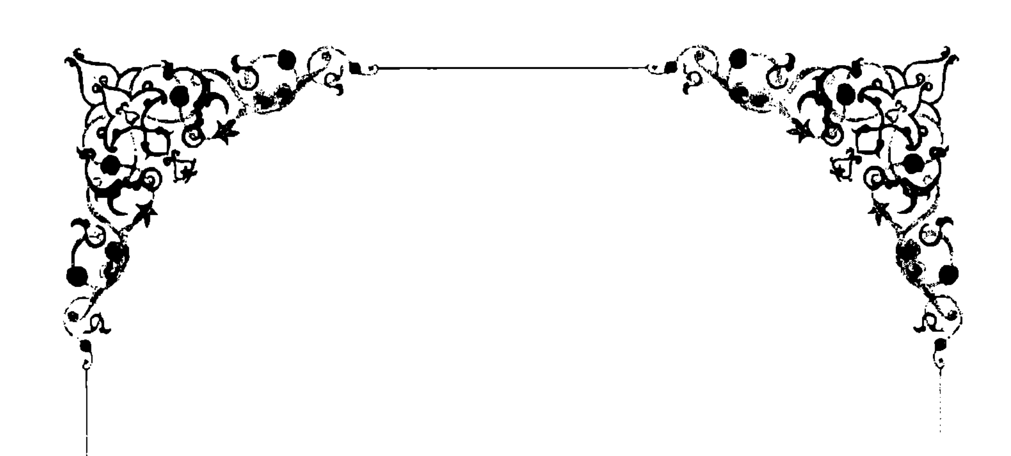
انها مكيدة كبرى من دهر الدهور، منذ ابتدأ صراع الحق والباطل، أن يقتل المجرمون رموز الحق، ثم يرموا سواهم بالجرم، لا سيما الوسط الذي تحسب عليه تلك الرموز... وقد وفرت هذه المكيدة على الظالمين الكثير من الجهود والعناء للتغطية على ما فعلوا، وقتل آثاره في مهدها، بل في رحمها قبل ان تولد.

ان نسبة الجريمة الشنعاء الى الحوزة امر خطير ذو عدة ابعاد:

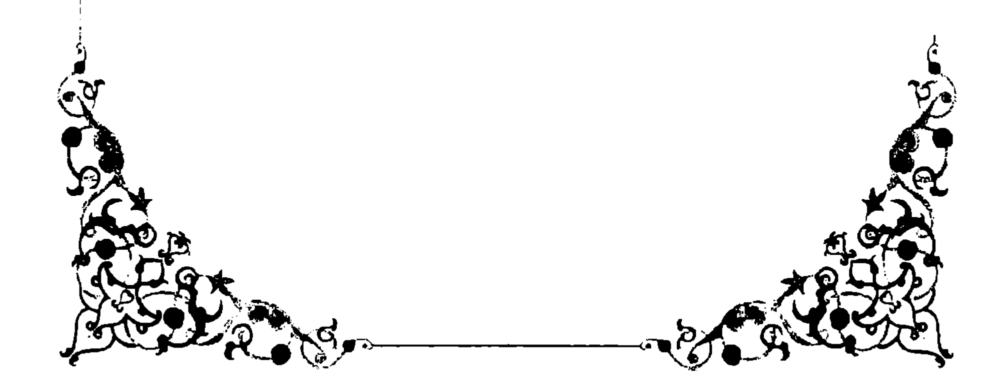
تهوين فعلة النظام وتبرئة ساحته.

تدمير شخصية الحوزة وقدسيتها.

تقليل حجم الثورة والثائر، ورميهما في مهواة الحسد بين العلماء والغيظ الشخصي، كما رُمي دم الامام الحسين عليه السلام في مهواة الخيانة من اصحابه وشيعته، ليصير قتيل محبيه لا عدوه!!!، وكما رُمي دم أبيه قبل ذلك في سفاهة امرأة موتورة اسمها قطام، قامت بقتله على يد من اشترته بمالها، او أسَرَته بجمالها، ليكون بطل التاريخ الذي تآمر جميع الباطل للخلاص منه قتيل امرأة حانقة!!!.



قصة الكرامة
والجسد المصون



حينما يريد رب العالمين ان يكرم شخصاً من أصفيائه فانه يفتح له باب الكرامة حتى من حيث لا تحتسب العقول من الاسباب والعلل، ويسخر له بعزه كل الوسائل التي لا يملكها سواه، لانه مالك كل شيئ، فهو يحفظه من عادية الردى وان كان في لهواته، ويهبه خصيصة نقل خطاه الى الهدف على اثباج المنايا، ونواهض الصعدات، وقسوة العقبات، ويعطيه من ألوية الفتح بالمعجزات او الكرامات او من الطافه الخفية ما يجعل البشر الاعتياديين يذعنون لحقيقة التميز، مستسلمين امام سطوة الغلبة والانتصار لهذا المجتبى المختار، الذي كتب الله له ان يكون شاهدا في صفحة الاصطفاء على التدخل الالهي المشهود لاحبائه واوليائه الذين صدقوا ما عاهدوه عليه من حق التقدير، وما التزموه لنبيه من صدق التوقير، فحباهم ربهم بخاصة الصنع والتدبير، يُصنعون على عينه في بحبوحة الرعاية والاحسان، وينطلقون على مسار تسديده الى حيث يريد لهم بارادتهم الصافية الطهور من الشأن في اداء تكاليفهم ازاء ربهم ورسالتهم وادوارهم.

وحين يكون الهمام الصدر من هؤلاء المقدسين المكلوئين باللطف فلا بد ان تتجلى فيه من مصاديق حنان ربه وزكاته وآياته ما يبهر الالباب التي اراد الله ان تدرك ان مشيئة الله باكرام اصفيائه غالبة ولو كره المعاندون، فهو جل شأنه قد اخذ بيده منذ نعومة الاظافر على جادة السداد الى حيث كتب له من الغاية، وغمر فؤاده الشائق الهيمان بعشقه، والشوق اليه، واللهوف الى الانقطاع الى ذاته الازلية، ورسالته الخاتمة، وخدمته الواصبة، والوله بحقيقة البذل والعطاء، وضرورة القربان، وفريضة الدم المهراق على مذبح الفداء الذي استمطر التضحيات شآبيبها من مهج الزاكين لظمأ الرافدين، وارض العتبات التي عودتها شرايين المجد العلوي ان تمن عليها بريّها المحبور من نجيعها المبرور، واسكن روح الصدر المفعمة بالخير والطهر والجمال هوية الابداع،

وانفاس التجديد، وطموح العمالقة، وبراعة الانجاز، وسجية التفرد، وكرامة النكران للذات، وروعة النسيان للانا، والمسامرة الدؤوب لالوان الاذى والشجى في محفل المرارات والهموم، حيث حُفت المكارم بالمكاره، وازدحمت الخطى بالخطوب، وتوزع القلب افلاذا في مشتجر الغموم والجراح، وندي الغصص والسهاد، ومحفل الجمر الحاشد في مديات المسار المقدس، وافضية الآمال الشريفة، وافاق المرام الحميد.

وتأبى مسيرة الكرامة المرسومة للصدر ان تنتهي الى غاية او تهدأ في مستقر، فهي لكونها من لطف الذات الازلية الودود كانت بلا حدود، ولانها من معدن الكرم المشهود الهائل كانت ملء مدّ الرجاء بلا ساحل.

وتأبى الا ان تبدع لها من عجيب صنعها حتى من الموت والجسد الدفين مفخرة الجثمان المصون الذي عجزت مكيدة الطغاة ان تحول دون مشيئة الله بحفظه واظهاره، وخاب جهد الطبيعة والسنن الكونية ان يفرض عليه سلطانه بالتحلل والدثور، فبقي ذلك الجسد الشريف وهو في مطاوي الكيد مكلوء بالحياطة، محفوفا بالرعاية، مكللا بغار الانتصار، وانكفأت عزيمة الاعداء والانواء خاسئة امام ارادة الله ان يكون للصدر حتى في جثمانه قصة من قصص الكرامة التي لا نفاد لها في موسوعة المحامد الصدرية التي خطتها يد الارادة الغالبة جزاء وفاقاً لملاحم البذل الفريد، وبدائع الورع المجيد.

يقول من سخره الله راغما او راغبا وسيلة تمهيد لظهور الكرامة وهو الدفان السيد كامل العميدي، يروي قصة المجد الصدري في فصل التحدي المعجز باذن الله لسلطة الناموس، ذلك التحدي المسنون في مسيرة الصدر لكل عوامل النسيان، والتهميش، والالغاء، والابعاد عن دائرة الضوء الباهر، وفضيلة الهيمنة والاستواء على عرش الحب والاكباروالانجذاب الى الابد.

يقول الدفان المذكور وهو يوثق هذه القصة حرفياً:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

في يوم ٩ ـ ٤ ١٩٨٠في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء دفن السيد محمد باقر الصدر في المقبرة خلف استعلامات الدفن، واشرف على دفنه رجال الامن، ومنهم الحفار عباس بلاش، وقد حضر السيد صادق الصدر والد السيد محمد محمد صادق الصدر. وبقي قبر الشهيد بدون بناء، فمضت السنين والحفار عباس كان يراقب قبره، وابلغ عددا من اصدقائه، وهم المرحوم هلال حسين، والمرحوم رويضي، والحفار رسول كواخة الموجود حاليا، والذي ذكر لنا ان المرحوم رويضي بني قبرا صغيرا للشهيد وبدون اسم، وبعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ قام النظام البائد بفتح عدة شوارع في المقبرة، ومن ضمن هذه الشوارع شارع على قبر الشهيد، واصبح في وسط الشارع.

عملية نقل الجثمان الطاهر عام ١٩٩٤وكيف بدأت؟.

بدأ السيد محمد علي العميدي بالتحرك والتحري للدلالة على قبر الشهيد، وكان الاندفاع ذاتيا، ولم يكن من احد، وبدأ السيد كامل يتقرب الى الحفار عباس بلاش، وبقي يجامله لعدة سنوات دون ان يتطرق لموضوع الشهيد، حتى اخذ عباس يطمئن اطمئنانا كاملا الى السيد كامل، حينذاك فاتحه السيد كامل عن موضوع دفن السيد الشهيد محمد باقر الصدر، فقال له عباس: نعم انا دفنته، وانا اعرف مكان قبره، ثم جاء بالسيد كامل الى قبر الشهيد وقال له: ها هنا قبر الشهيد الصدر. فبقي السيد كامل يتردد كل يوم وبدون انقطاع لزيارة قبر السيد وهو وسط الشارع. ثم بدأ السيد كامل ينسق مع الحفار كي ينقل الجثمان الشريف الى مكان آمن، فهيأ السيد كامل قطعة

ارض بعيدة عن الانظار، ومساحتها خمسين مترا في منطقة وادي السلام (المقبرة حاليا)، وكانت ملكيتها الى رجل يدعى جابر مكاوي الحلي، وبعد طرح الامر من قبل السيد كامل على اية الله العظمى السيد حسين بحر العلوم ولم يذكر اسم الشهيد نصا، ولكن ذكر بعنوان عالم مجتهد في وسط الشارع فهل يجوز نقل جثمانه؟، فامر السيد بحر العلوم بنقل الجثمان وقال: ينقل ولو كان الشهيد محمد باقر الصدر.

ثم ذهب السيد كامل وابلغ العلامة السيد رحيم الشوكي بعملية نقل الجثمان، ثم ذهب الى السيد صالح الحكيم شقيق المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم فاخبره بالامر فاوعز بنقله.

ثم بدأ السيد كامل بكافة التدابير، متوخيا الحيطة والحذر كي يتسنى له نقل الجثمان في الوقت المناسب، فهيأ سردابا لنفر واحد تحت الارض في المقبرة السابقة الذكر، وقام بنقله مع عباس بلاش، وقد تم قبل ذلك نقل الجثمان الطاهر لزيارة مرقد الامام علي بن ابي طالب، وحضر التشييع مع السيد كامل اثنان فقط من اهالي المسيب، وهما من المحبين للسيد الشهيد، وكانت عملية نقل الجثمان هذه في سنة ١٩٩٤وقد كلف بهذه العملية الجريئة الدفان زهير العميدي من قبل خاله السيد كامل العميدي، بان يراقب الطريق ومنطقة ما حول الصحن الحيدري الشريف من جلاوزة النظام البائد، بعدها وضع جثمان السيد الشهيد فوق سيارة السيد حسين بحر العلوم، وكان يقودها السيد كامل العميدي، وكانت السيارة كرونة بيضاء.

وبعد زيارة الجثمان لمرقد الامام علي امير المؤمنين ذهبوا الى المقبرة الجديدة وتم دفنه، وقد استخرجت من هذه العملية عينات من التراب الذي كان مخلوطا بدمه الطاهر، وقطع صغيرة من القطن الذي كان حول الجثمان الشريف، ثم كانت الغطوة فوق التابوت وهي هدية من الهند، ثم قام ببناء قبره

السيد كامل وابن شقيقته السيد زهير العميدي دون ان يذكر اسم الشهيد على القبر، ولكن السيد كامل سجل اسم والده السيد محمد العميدي عنوان القبر، وقد تجند السيد كامل مرة اخرى وابن شقيقته السيد زهير العميدي لشراء القطع المجاورة لمرقد السيد الشهيد، وكلف بهذا الموضوع من قبل الحاج علي عبد الله الحلي ومن امواله الخاصة، وشراء تلك القطع باضعاف قيمتها، ثم امر السيد كامل العميدي ابن شقيقته السيد زهير العميدي بمراقبة مرقد السيد الشهيد كل يوم حتى لا يعرف احد بذلك.

وفي احد الايام شاهد السيد زهير نجدة واقفة امام مرقد السيد الشهيد، وكان سائق السيارة المفوض ابو حيدر وهو محب للسيد الشهيد وليس لغرض المراقبة، ثم شاهد ثلاث اشخاص من منطقة خان المخضر وهم من الموالين كانوا يزورون قبر السيد، واخبر السيد زهير خاله السيد كامل بذلك.

وفي يوم ٧ ـ ٤ ـ ١٩٩٧جاء السيد كامل العميدي الى بيت ابن شقيقته الدفان السيد زهير العميدي وقال له: هل تتمكن يا ابن اختي من استخراج جثمان السيد الشهيد، ونقله لغرض اخفائه، حتى لا يعرفه احد من السابقين الذين حضروا عملية الدفن عام ١٩٩٤، لاننا اصبحنا في حالة الخطر، فوافق الدفان السيد زهير بذلك، وقاموا ليلا بحفر قبر بجانب قبر السيد لعام ١٩٩٤ثم جاؤوا في اليوم الثاني واحضروا كافة مستلزمات نقل الجثمان، ومعهم المصور محمد هاتوا من بغداد، والحاج عبد ابو رسول، ومعهم عامل لا يعرف من الذي سيتم نبش قبره، والعامل هو السيد علي السيد حسن العميدي، ثم بدأوا بفتح القبر لغرض نقله، ففوجئوا كل من السيد زهير العميدي وخاله السيد كامل حينما رأوا ما يشبه الغيوم المتناثرة فوق الجثمان الطاهر، ثم نزل السيد زهير الى داخل القبر ومعه خاله السيد كامل فوجدوا جثمان الشهيد جسدا متكاملا من بعد مرور ١٧عاما، وعند فتح الكفن والقطن

وجد الدفان علامات على جسد الشهيد:

ذبح من القفا.

نصف اللحية الشريفة محروق.

ثقب فوق الحاجب الايمن.

ثلاث طعنات على صدره الشريف.

ثم بدأت عملية التكفين، واخذت عينات للتمسك بها من كفنه، وقطعة من القطن الذي كان فوق جسده الطاهر، ثم بدأ الدفان السيد زهير العميدي بتفتيش الجسد، حيث طلب منه السيد كامل البحث عن مكان القيود، واستمر بالتفتيش فوجد الخاتم في خنصره الايمن، فخلع الخاتم واعطاه الى السيد كامل، ثم استمرت عملية الدفن واخفاء القبر حتى يوم ٩ ـ ٤ ـ ٢٠٠٣يوم سقوط نظام الطاغية صدام، فاوعزت العلوية ام جعفر زوجة الشهيد، واعطت مبلغا من المال الى السيد كامل لغرض بنائه واظهاره للناس).

قصة النبوءة!!

(يسلط الله عليكم بأيديكم من يجرعكم مرارة الذل والهوان، ويسقيكم صاب الهزيمة والخسران، ويذيقكم ما لم تحتسبوا من طعم العناء، ويريكم ما لم تتوجسوا من البلاء، فلا يزال بكم على هذه الحال، حتى يؤول بكم شر مآل، جموعا مثبورة في الروابي والفلوات، وفلولاً مدحورة تطلب السلامة والنجاة، حتى اذا انفضَّ عديدُكم، وفُل حديدُكم، دمدم عليكم، فدمر عروشكم، وترككم ايادي سبأ اشتاتا، بين من اكلتهم بواتره، ومن هاموا على وجوههم في الاقطار، وولوا مذعورين الى شتى الامصار، ويورث الله المستضعفين ارضكم ودياركم واموالكم، فاذا بكم قد امسيتم لعنة تتجدد على افواه الناس، وصفحة سوداء في أحشاء التاريخ).

بعد كثرة الحديث حول ما يسمى نبوءة الشهيد الصدر، وتكرار بثها عبر الاذاعات والفضائيات، ونشرها في الصحف والمجلات ووسائل الاعلام المتعددة، وبعد الحوار الذي اجراه معي حولها الاخ العلامة احمد عبد الله ابو زيد العاملي، والمنشور في كتابه (محمد باقر الصدر ـ السيرة والمسيرة) رأيت لزاماً عليَّ بيان ما عندي حول هذه القضية:

في الذكرى الرابعة لاستشهاد الامام الشهيد الصدر رضوان الله عليه، وفي ليلة من ليالي الشعور الهيمان المفعم بلذع الوجد المنساب مع الخيال السارح في مديات القيم الصدرية – تحرك قلمي الاسيان لتسطير الاحاسيس الشجية في صياغة الفصل الاخير من كتاب (الشهيد الصدر: فضائله وشمائله) الذي اردت ان يكون طليعة الجهد الثقافي المبذول من عشاق الراحل العظيم ومحبيه لبيان خصائصه، ومميزاته، ورحلة جهاده، ومناقبه.

في تلك الليلة المشبوبة بالعواطف المهتاجة، حيث كنت اعيش حالة وجدانية عارمة لا استطيع وصفها، شدتني بشعورها الفينان اعجب الشد بسيدي واسوتي صدر العراق العظيم، انطلق اليراع المعصوب بقلبي ووجداني من على ذروة التأثر والانفعال والاستحضار، ليكتب ذلك الفصل تحت عنوان (الشهادة)، حيث سعيت الى استشمام الواقع الذي ظل كما الظلامات الكبرى في حياة الاصفياء مغيبا، وقد يظل هكذا الى الابد، لتتفرد ببيانه مواقف الحساب في يوم الدينونة والجزاء عند علام الغيوب.

وكانت هناك سطور خطها ذلك القلم المشوق الواجد، وقد سعى فيها ان يمثل مشهد الحماسة والاباء الصدري امام الجلادين في اعتقاله الاخير الذي كان فيه عروجه الملائكي.

لقد انساب هذا القلم مع الخيال الجامح باللوعة، والمستثار باللقطات المتصورة للمكابدة التي قاساها رائد التضحية في ذلك الاعتقال، بين مخالب

الضواري، في غابة الوحشية المطلقة التي ليس لها مثيل في تجليات البهيمية الجامحة في كل التاريخ.

وكان من فصول الافتراض والتشوف فصل المساومة بين الصدر وجلاديه، ووقوع الحوار بينه وبينهم، هم يساومون بما لديهم من اوراق المساومة، وهو يرفض بما لديه من جذوة الرفض والاباء، وهذه القضية قطعية الحدوث، لكنها مجهولة التفاصيل، ولا تستطيع الفطنة الا ان تحلق في افضية المحسوس من بدائع الشهامة الصدرية لتبدع من مطالعها الشامخة البهية هالة الموقف المهيب المغيّب، وتصوغ من لسان حال الصدر رده على ما طرحه مخاتلوه من امور افترضها ذلك الخيال من خلال سوابقها المشهودة في واقع المكر الذي حاول به المجرمون ان يستميلوا رائد الامة الى الاستسلام، او يستدرجوه الى الركون على الاقل.

ومن هنا كانت المساجلة المستلهمة المذكورة في ذلك الفصل من الكتاب، والتي مرت بها الايام وهي لا تعدو في ذهن كاتبها واذهان القراء الكرام حينذاك الا ان تكون شعورا وجدانيا مسطورا عن مشهد بديع ليس بالامكان رؤية ما جرى فيه الا بناظرة الخيال المشبوب المستلهم، وحينما يرى القرّاء في ذلك الكتاب ان كاتبه قد ذكر في مقدمته بصريح العبارة اعتذاراً يقدمه بين يدي الصدر لنسبته كلاماً اليه في ذلك المشهد الذي لم يحط به خبرا – لم يقله لسانه الناطق، بل قاله لسان حاله الموحي الذي افرغ مضامينه العالية في رعاف القلم المستوحي ـ حين يرى القراء ذلك يستيقنون المنحى الشعوري الوصفي في تلك المساجلة المستوحاة.

وكانت الانتفاضة الشعبانية المباركة بمثابة الاعلان عن ولادة جديدة لهذا الكتاب، وثورة في عالم الوهم المثخن بجراح العشق المفتون بفورة الهيام، ووشائج التشابه المثير بين ما جاء ذكره في الافتراض في رد الصدر

على الجناة، ووعيده لهم في تلك المساومة بالمصير الاسود – وبين تفاصيل ما حدث في حرب الكويت من الكوارث التي حلت بقوات الاحتلال البعثي التي تم اخراجها بالقوة من الارض الكويتية.

وطارت تلك السطور عبر وسائل الاعلام التي تمتلكها المعارضة الاسلامية الى كل صوب على جناح التقديس الذي تغمدتها به مشاعر العاشقين – على شكل نبوءة!! منسوبة للصدر، لا يكذبها احد وهو يرى في اوجه التناظر بين مفردات سطورها ومفردات الواقع دليلا على صدقها، وشكلت هذه النبوءة!! حافزا عجيبا الى البدار في ساحة المواصلة على طريق اسقاط من توعدهم الصدر فيها بسوء العاقبة التي بدت فصولها في حرب الكويت، واتخذها مريدو الصدر وسيلة دعائية باهرة التأثير في تعميق الانشداد بالصدر وخطه، ولا زالت هذه النبوءة!! حية، فاعلة، تستعاد في المحافل والمجالس، وتُقرأ على منابر الاعلام كأنها نص مقدس في كل ذكرى متجددة من ذكريات ٩ نيسان، وقد أخذها الناس اخذ المسلّمات، وتفاعلت معها قلوبهم بمنتهى القناعة، رافضين ان يناقشهم احد حتى كاتبها في اصل صدورها، صارفين ابصارهم عن (كأني به..). التي وضعها كاتبها امامها، ما دام الواقع المشهود عندهم ينطق بصوابها في التفاصيل الموثقة بأرقام الميدان التي لا تقبل النقاش.

تُرى هل كانت هذه القضية فلتة لسان وجدت لها من يصدقها بلا دليل؟

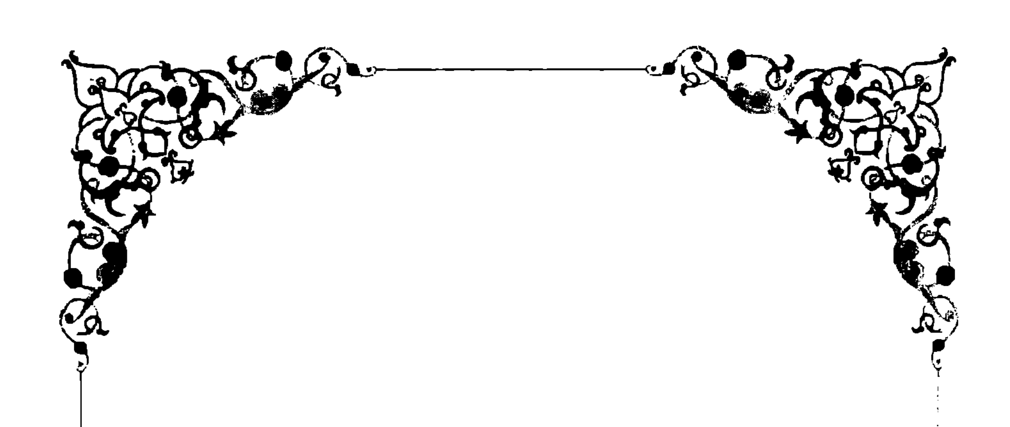
وهل كانت زلة قلم اصابت بالصدفة العاقلة سبيل السداد؟

وهل كانت انفاس خيال شاعر ابدعت كالفوضى الخلاقة ما استهدفت من خلال فوضى الكلام؟

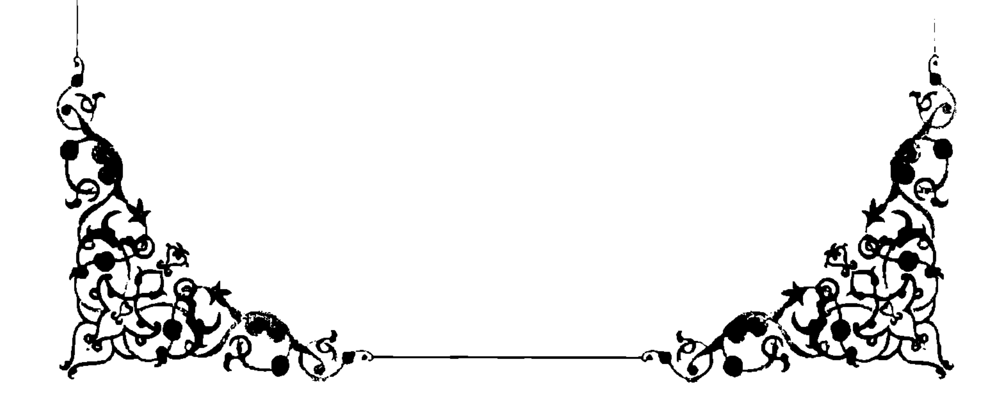
وهل كانت تلك التفاصيل المذكورة فيها بما تمتلك من المواءمة

للاحداث – تصورات فاهت بها عقيرة الحس المشبوب بالعشق والانفعال؟.

ام انها كانت شيئا آخر قد يمكن تفسيره بقدرة العقل الباطن المعجب الخلاق، واقتدار اللاشعور الواله المتشوف، واستطاعة الروح العاشقة المستلهمة من كرامة الصدر المبدعة، وحرمته المعطاء، ولسان حاله الوهاب، بل لطف الله الخفي الذي يحرك الامور لحرمة أصفيائة كيف يشاء بما يشاء الى ما يريد؟.



ثلاثة العجب



طالما سمعنا وقرأنا عن زعامات شجاعة قادت شعوبها الى اهدافها بمنتهى الجرأة والبسالة، وقد استعانت بالتفاف تلك الشعوب حولها داعما متينا لها في حركتها على مسارها الى الغاية المنشودة، وحين يكون احد تلك الزعامات على شفير النهاية التي لا يريدها لنفسه قبل ان يحقق مراده ـ فانه يلوذ بالمعاذير والتبريرات بحثا عن استراحة المحارب الى حين مواتاة الفرصة المناسبة.

ولكن ماذا صنع الصدر القائد حين كانت ظروف ثورته مواتية لخطاه العملاقة، ووثباته الجريئة، وكلماته الثائرة؟

وماذا فعل حين ادلهمت الخطوب عليه وعلى امته، وكبلتهما السلاسل والعقبات عن الحراك المطلوب؟.

العجيب انه كان واحدا على الحالين، لا بل كان في اخراهما اورى زنادا، واصلب عودا، واكثر جرأة واقداما، فقد كان وهو في زنزانة الحصار الاليم حيث سجّانه على باب داره يتربص به ساعة يؤمر بجلبه الى المقصلة في بغداد – كان ابعد ما يكون عن الخوف المضني، وعن خشية الموت التي تقعد بالجميع الا من عصم الله عن أي موقف مثير مؤد الى اوكار المنايا وشبواتها.

لقد كسر اسوار الرعب، وتحدى الممنوع، ووقف امام المهولات هازئا ببروقها ورعودها، مستمرئا لا معقول الخانعين، مستصوبا جنون الحياد عن المدّخلات المنجية ومفاوز الامان، مستعذبا كأس الحنظل الدهاق التي يراها السبب الوثيق لوصله المنشود بكوثر النعيم في روض التقى والتسليم، وخير زلفاه الى من ابتلاه بأعباء هديه الكريم.

وقرر الصدر ان يبدع وهو في اخر ايامه وساعاته ما هو شأنه من الابداع في كل فصول حياته الملهمة، فطلع على الدنيا بما يحيرها من

المواقف، مثلما طلع عليها بما حيرها من روائع الفكر والسلوك، وكان منها عجيبة النداءات التاريخية الثلاثة التي سجلها الرائد الامين بصوته، يستحث فيها خطى الموت الى وجوده المتدرع باليقين والانقياد وعشق الشهادة، بقدر ما يستحث فيها قوى العاملين والامة على المبادرة الى رفض العبودية، واعلان الثورة لاقتلاع معاقل الطاغوت، واقامة دولة العدل والانصاف، وتنسم عبق الحرية في ظلال الانعتاق، وليكن جسده الشريف جسر العبور الى المرفأ الآمن، وليكن وجوده الوتْر وتْر العطاء في ملحمة الفداء، ولتكن حياته الزكية الرضية المتوهجة بحمم الرفض مشعل المسار وفورة الغضب الهادر، ولتكن نداءاته المجددة ـ التي استعادت من ألق الشموخ نادرة المجد الطفي التي سجلها اسطورة الحرية ابو عبد الله الحسين على صفحة المكارم ـ عجيبة العجائب في فصول القصة الخالدة في مسيرة الاسلام في العراق (قصة الاباء).

لقد كان رضوان الله عليه يتلو بياناته الصاعقة كأنه يتنغم بتراتيل العشق على مذبح الفداء واعتاب الشهادة عند معراج الوصال، ليصوغ وسام العز لوجوده الفذ من لهفاته ونفثاته، ويصنع اكليل الفخار بعلاه من آهاته وحسراته، ويسطر ملحمة الرفض من افلاذ الفؤاد العارف، وشعاع الروح الشغوف، وعافية الوجدان السليم.

لقد كانت بيانات العرفان الحقيقي الذي يجسده العمل العملاق في نصرة الله والعقيدة والامة، وقول كلمة الحق على مسمع السلطان الجائر الذي ارهف سنان غيظه الساغب يطعمه لحوم الاصفياء والابرياء، ويسقيه نجيع مهجهم في محفل الدم الطهور.

ان صفوة تلك البيانات هي صفوة التوجهات الصدرية الريادية المشحونة بالعنفوان الايماني، وبالصدق الجازم في التعامل مع الله، وفروضه، وعباده، وامانة المسؤولية العظمى: مسؤولية القيادة الربانية الصادقة التي

تمحضت للحق والصبر والوفاء، معجونة بالايثار والعطاء، مستشرفة رضا ربها على اثباج المنايا، موقنة ان مقامها المكين في دورها رهينة البلايا، وان خطاها على طريق الفداء الرضي لا يسير بها الا الى المنحر الشهي، وان طلوعها المبين من محتوم فجرها لن يكون الا عبر الشفق المضمخ بجراح قلبها، لتتكور من هناك شعلة كبرى من لهيب الدماء، بازغة كالشمس من افق العلياء، تستفز دهشة العجب المجذوب، وتستثير حيرة الالباب والقلوب.

لقد تضمنت تلك النداءات الكريمة أسس المبادئ الصدرية، وطموحات قلب الامام الرائد الذي نذر نفسه لسواه نذراً ترنمت باهازيج الوفاء فيه صادحة الزمن الذاهل، مشنفة مسامع الاجيال باعذب الالحان العبقرية التي تفتقت عنها عزمة الانبهار بروائع السلوك الفذ الذي استاف منه العصر عبيره المتوحد، يبدد قرف العيش الموبوء بالعَفَن، واستنار بهلة الاشراق في مُثُله الغُرالتي بددت غواشي الدُجَن.

يلتمع في هذه النداءات بل بيانات الثورة مضامين باهرة جمة منها:

الاعتقاد بالشعب، وحرمته، وقدرته على التغيير.

٢ ـ ثقته الجازمة بمشاعر الامة ازاءه، وشكره الوافر لطلائعها الوفية في بيعتها له.

٣ ـ كونه رضوان الله عليه يمثل ارادة الامة، وان طلباته هي طلباتها المشروعة.

٤ ـ صدور حكم الجهاد وادامة النضال حتى تحقيق النصر، فرضا على جميع ابناء العراق اينما كانوا.

٥ ـ الاعلان القاطع عن التصميم على الشهادة، والاعلان عن نبوءة الاستشهاد القريب.

٦ ـ التأكيد الجازم على انه قائد الجميع، وان دوره هو الدور الريادي

الوحدوي الذي يجمع الامة بكل فصائلها تحت لواء العقيدة، باطارها الشامل في ظلال الالفة الوارفة، القادرة وحدها على مواجهة المحنة المشتركة (محنة الطغيان).

٧ ـ معاهدة الامة عهد الاوفياء على انه معها حتى النفس الاخير، وانه لن يخذلها في شدتها، ولن يتخلى عنها في مأساتها.

٨ ـ بيان هوية الحكم القائم، البعيد عن الشريعة، والقيم، والمبادئ الانسانية، وايسر حقوق البشر.

٩ ـ بيان هوية العراق المطلوب لثورته، عراق التحرر، والانعتاق، وسيادة الكرامة والعزة، في نظام يقوم على اساس الرسالة الخالدة رسالة الاسلام.

النداء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.

ايها الشعب العراقي المسلم!

اني اخاطبك – ايها الشعب الحر الابي الكريم – وانا اشد ايمانا بك وبروحك الكبيرة، وبتأريخك المجيد، واكثر اعتزازا بما طفحت به قلوب ابنائك البررة من مشاعر الحب والولاء والبنوة للمرجعية، اذ تدفقوا الى ابيهم يؤكدون ولاءهم للاسلام، بنفوس ملؤها الغيرة والحمية والتقوى، يطلبون مني ان اظل الى جانبهم، اواسيهم واعيش الامهم عن قرب لانها آلامي.

واني اود ان اؤكد لك ـ يا شعب ابائي واجدادي ـ اني معك وفي اعماقك، ولن اتخلى عنك في محنتك، وسأبذل اخر قطرة من دمي في سبيل الله ومن اجلك، واود ان اؤكد للمسؤولين:

ان هذا الكبت الذي فُرض بقوة الحديد والنار على الشعب العراقي فحرمه من ابسط حقوقه وحرياته في ممارسة شعائره الدينية، لا يمكن ان يستمر، ولا يمكن ان يعالج دائما بالقوة والقمع.

ان القوة لو كانت علاجا حاسما دائما لبقي الفراعنة والجبابرة!

اسقطوا الاذان من الاذاعة فصبرنا!

واسقطوا صلاة الجمعة من الاذاعة فصبرنا!

وطوّقوا شعائر الامام الحسين عليه السلام، ومنعوا القسم الاعظم منها فصبرنا!

وحاصروا المساجد وملأوها عيونا فصبرنا! وقاموا بحملات الاكراه على الانتماء الى حزبهم فصبرنا! وقالو: انها فترة انتقال يجب تجنيد الشعب فصبرنا! ولكن الى متى؟ الى متى تستمر فترة الانتقال؟! اذا كانت فترة عشرة سنين من الحكم لا تكفي لايجاد الجو المناسب لكي يختار الشعب العراقي طريقه، فأي فترة تنتظرون لذلك؟!!

واذا كانت فترة عشرة سنين من الحكم المطلق لم تتح لكم – ايها المسؤولون – اقناع الناس بالانتماء الى حزبكم الا عن طريق الاكراه، فماذا تأملون؟!

واذا كانت السلطة تريد ان تعرف الوجه الحقيقي للشعب العراقي فلتجمد اجهزتها القمعية اسبوعا واحدا فقط، ولتسمح للناس بأن يعبّروا خلال اسبوع عما يريدون.

اني اطالب باسمكم جميعا، باطلاق حرية الشعائر الدينية، وشعائر الامام ابي عبد الله الحسين عليه السلام.

واطالب باسمكم جميعا باعادة الاذان، وصلاة الجمعة، والشعائر الاسلامية الى الاذاعة.

واطالب باسمكم جميعا: بايقاف حملات الاكراه على الانتساب الى

حزب البعث على كل المستويات.

واطالب باسم كرامة الانسان: بالافراج عن المعتقلين بصورة تعسفية، وايقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء.

واخيرا: اطالب باسمكم جميعا، وباسم القيم التي تمثلونها بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقه في تسيير شؤون البلاد، وذلك عن طريق اجراء انتخاب حر ينبثق عنه مجلس يمثل الامة تمثيلا صادقا.

واني اعلم ان هذه الطلبات سوف تكلفني غاليا، وقد تكلفني حياتي. ولكن هذه الطلبات ليست طلب فرد ليموت بموته، وانما هذه الطلبات هي مشاعر امة وارادة امة، ولا يمكن ان تموت امة تعيش في اعماقها روح محمد وعلي، والصفوة من آل محمد واصحابه، واذا لم تستجب السلطة لهذه الطلبات فاني ادعو ابناء الشعب العراقي الابي الى المواصلة في حمل هذه الطلبات مهما كلفه ذلك من ثمن، لانه دفاع عن النفس، وعن الكرامة، وعن الاسلام رسالة الله الخالدة، والله ولي التوفيق.

٢٠ رجب ١٣٩٩

محمد باقر الصدر

النداء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.

يا شعبي العراقي العزيز!

يا جماهير العراق المسلمة التي غضبت لدينها، وكرامتها، وعزتها، ولكل ما آمنت به من قيم ومثل!

ايها الشعب العظيم!

انك تتعرض اليوم لمحنة هائلة على يد السفاكين والجزارين الذين هالهم غضب الشعب، وتململ الجماهير، بعد ان قيدوها بسلاسل من الحديد، ومن الرعب والارهاب، وخيّل للسفاكين انهم بذلك انتزعوا من الجماهير شعورها بالعزة والكرامة، وجردوها من صلتها بعقيدتها وبدينها وبمحمدها العظيم، لكي يحولوا هذه الملايين الشجاعة المؤمنة من ابناء العراق الابي الى دُمى وآلات، يحركونها كيف يشاؤون، ويزقونها ولاء (عفلق)، وامثاله من عملاء التبشير والاستعمار، بدلا عن ولاء محمد وعلي (صلوات الله عليهما).

ولكن الجماهير دائما هي اقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة، وقد تصبر ولكنها لا تستسلم، وهكذا فوجئ الطغاة بان الشعب لا يزال ينبض بالحياة، ولا تزال لديه القدرة على ان يقول كلمته، وهذا هو الذي جعلهم يبادرون الى القيام بهذه الحملات الهائلة على عشرات الالاف من المؤمنين والشرفاء من ابناء هذا البلد الكريم، حملات السجن والاعتقال والتعذيب والاعدام، وفي طليعتهم العلماء المجاهدون، الذين يبلغني انهم يستشهدون الواحد بعد الاخر تحت سياط التعذيب.

واني في الوقت الذي ادرك فيه عمق هذه المحنة التي تمر بك يا شعبي، يا شعب ابائي واجدادي – اؤمن بان استشهاد هؤلاء العلماء واستشهاد خيرة شبابك الطاهرين وابنائك الغيارى تحت سياط العفالقة لن يزيدك الا صمودا وتصميما على المضي في هذا الطريق حتى الشهادة او النصر.

وانا اعلن لكم ـ يا ابنائي اني صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني، وان ابواب الجنة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء، حتى يكتب الله لكم النصر، وما الذ الشهادة التي قال عنها رسول الله (صلى الله

عليه.اله) انها حسنة لا تضر معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كل ذنوبه مهما بلغت.

فعلى كل مسلم في العراق، وعلى كل عراقي في خارج العراق، ان يعمل كل ما بوسعه ـ ولو كلفه ذلك حياته ـ من اجل ادامة الجهاد والنضال لازالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب، وتحريره من العصابة اللا انسانية، وتوفير حكم صالح فذ شريف يقوم على اساس الاسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٠شعبان

محمد باقر الصدر

النداء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه الميامين.

يا شعبي العراقي العزيز!

ايها الشعب العظيم!

اني اخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك: بعربك واكرادك، بسنتك وشيعتك، لان المحنة لا تخص مذهبا دون اخر، ولا قومية دون اخرى، وكما ان المحنة هي محنة الشعب كل الشعب العراقي، فيجب ان يكون الموقف الجهادي، والرد البطولي، والتلاحم النضالي، هو واقع كل الشعب العراقي، واني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الامة، بذلت هذا الوجود من اجل الشيعي والسني على السواء، ومن اجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت

عن الرسالة التي توحدهم جميعا، وعن العقيدة التي تضمهم جميعا، ولم اعش بفكري وكياني الا للاسلام: طريق الخلاص، وهدف الجميع.

فانا معك يا اخي وولدي السني، بقدر ما انا معك يا اخي وولدي الشيعي، انا معكما بقدر ما انتما مع الاسلام، وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لانقاذ العراق من كابوس التسلط والذل والاضطهاد.

ان الطاغوت واولياءه يحاولون ان يوحوا الى ابنائنا البررة من السنة: ان المسألة مسالة شيعة وسنة، ليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك.

واريد ان اقولها لكم ـ يا ابناء ـ علي والحسين، وابناء ابي بكر وعمر: ان المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني.

ان الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون، والذي كان يقوم على اساس الاسلام والعدل، حمل علي السيف للدفاع عنه، جنديا في حروب الردة تحت لواء الخليفة الاول، وكلنا نحارب عن راية الاسلام، وتحت راية الاسلام، مهما كان لونها المذهبي.

ان الحكم السني الذي كان يحمل راية الاسلام قد افتى علماء الشيعة ـ قبل نصف قرن ـ بوجوب الجهاد من اجله، وخرج مئات الالاف من الشيعة، وبذلوا دمهم رخيصا من اجل الحفاظ على راية الاسلام، ومن اجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على اساس الاسلام.

ان الحكم الواقع اليوم ليس حكما سنيا، وان كانت الفئة المتسلطة تنتسب تاريخيا الى التسنن.

ان الحكم السني لا يعني حكم شخص ولد من ابوين سنيين، بل يعني حكم ابي بكر وعمر، الذي تحداه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم، فهم ينتهكون حرمة الاسلام وحرمة علي وعمر معا في كل يوم،

وفي كل خطوة من خطواتهم الاجرامية.

الا ترون ـ يا اولادي واخواني ـ انهم اسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها علي وعمر معا؟!.

الا ترون انهم ملأوا البلاد بالخمور، وحقول الخنازير، وكل وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معا؟!

الا ترون انهم يمارسون اشد الوان الظلم والطغيان تجاه كل فئات الشعب؟! ويزدادون يوما بعد يوم حقدا على الشعب، وتفننا في امتهان كرامته والانفصال عنه، والاعتصام ضده في مقاصيرهم المحاطة بقوى الامن والمخابرات، بينما كان علي وعمر يعيشان مع الناس، وفي وسط الناس، ومع الامهم وامالهم.

الا ترون الى احتكار هؤلاء للسلطة احتكارا عشائريا، يسبغون عليه طابع الحزب زورا وبهتانا؟! وسد هؤلاء ابواب التقدم امام كل جماهيرالشعب سوى اولئك الذين رضوا لانفسهم بالذل والخنوع، وباعوا كرامتهم، وتحولوا الى عبيد اذلاء.

ان هؤلاء المتسلطين قد امتهنوا حتى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث عملوا من اجل تحويله من حزب عقائدي الى عصابة تطلب الانضمام اليها والانتساب لها بالقوة والاكراه، والا فأي حزب حقيقي يحترم نفسه – في العالم – يفرض الانتساب اليه بالقوة.

انهم احسوا بالخوف حتى من الحزب العربي الاشتراكي نفسه الذي يدّعون تمثيله.

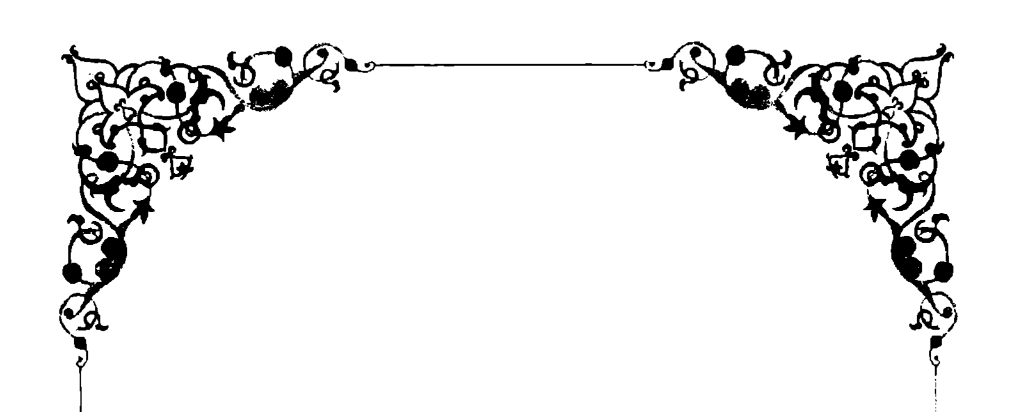
احسوا بالخوف منه اذا بقي حزبا حقيقيا له قواعده التي تبنيه، ولهذا ارادوا ان يهدموا قواعده لتحويله الى تجمع يقوم على اساس الاكراه والتعذيب ليفقد اي مضمون حقيقي له.

يا اخواني وابنائي من ابناء الموصل والبصرة... من ابناء بغداد... وكربلاء والنجف... من ابناء سامراء والكاظمية... من ابناء العمارة والكوت والسليمانية... من ابناء العراق في كل مكان، اني اعاهدكم باني لكم جميعا، ومن اجلكم جميعا، وانكم جميعا هدفي في الحاضر والمستقبل:

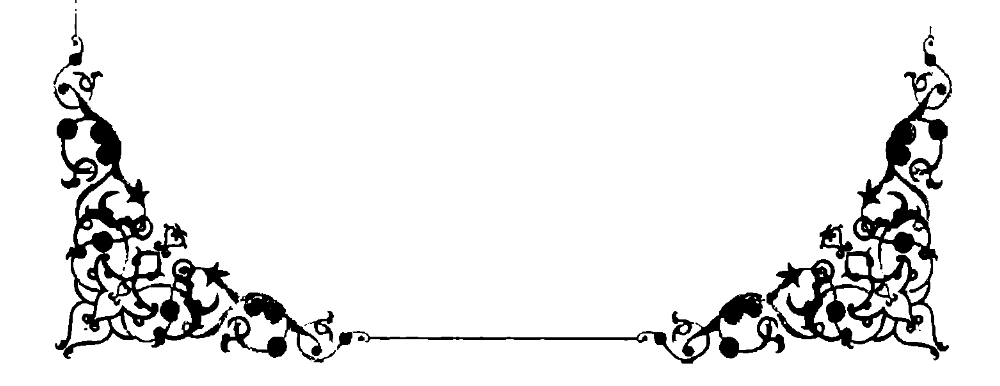
فلتتوحد كلمتكم، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الاسلام، ومن اجل انقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة، وبناء عراق حر كريم، تغمره عدالة الاسلام، وتسوده كرامة الانسان، ويشعر فيه المواطنون جميعا ـ على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم ـ بانهم اخوة يساهمون جميعا في قيادة بلدهم، وبناء وطنهم، وتحقيق مُثلهم الاسلامية العليا من رسالتنا الاسلامية وفجر تاريخنا العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الاشرف

محمد باقر الصدر



الطريق إلى التغيير المنشود



اذا اردت ان تعرف الصدر في ذرى حسه الريادي، وفهمه السياسي، وهمومه القيادية، وتوجهاته التغييرية، وابتكاراته المثيرة في استنطاق التاريخ الرسالي، واستلهام الواقع المعاش، والظروف المحيطة، لابداع المشروع الاستراتيجي للتغيير المتمثل بالتجديد في اخلاقية المسار الى الهدف، ما دامت القرون الغابرة قد انطوت على المأساة الكبرى (انحسار الاسلام)، واستمرت تواليها على خطى غوابرها بكل اثقالها والامها، حيث كابدت الرسالة افَظع الوان العزل والتهميش، وذاقت الامة بذلك مرارة الويلات والنكسات.

واذا تشوفتَ الى ان تدري ما الذي استفز ضمير الصدر فجعله مؤرّقا، واصب اليقظة المروعة على عويل الكارثة التي نام على صراخها الاخرون؟، وما الذي الهب روحه الشاعرة باحاسيس اللوعة للهزيمة الشاملة التي غفا عنها غيره وراء حجاب الاحتساب والتبرير؟، وما الذي صيره وثبة للفاعلية المستدامة المستشيطة للموقف الاصعب، متحديا اهوال الحظر التي شكلت لدى سواه حجة العزلة وموضوع حكم الانكفاء؟، وما الذي استجاش مشاعره كلها ازاء الواقع فعادت مشاعر مسكونة بالعصاب والقلق والهياج على دوامة الانفعال المقدس لشريعة مضامة، واتباع مستهدفين، وتكليف رسالي مضيع، حيث خلت الساحة او كادت من ذلك الانفعال المنشود فريضة يتطلبها حق المعبود؟.

انه الروح الجديدة من نزعة التجديد لدى ذلك الفذ الذي دعاه تميز الفهم، والاستحضار، والاستلهام، والالتزام، الى قراره التاريخي ان يكون مشروع الثورة بكل ما يستلزمه ذلك من التبعات والتضحيات.

واذا اردت ان تعرف روعة المجد في شخصية ذلك القائد الاستثنائي الذي لم يكن سوى فلتة من فلتات المسار الامامي، واسطورة من اساطير

عصر الغيبة ـ فما عليك الا ان تقف وقفة المتأمل الفاحص الدقيق المعبأ بعزمة الاستكناه لحقيقة التوجة الصدري في صياغة الواقع، وتشخيص اسباب النكسة وسر الخلاص ـ على روعة شامخة من روائع التثقيف السياسي تفتقت عنها عبقرية الحس المسؤول لدى ذلك الرائد الهمام المبدع، الذي جعله الله رجل المرحلة بما كتب على يديه من فرائد التجديد في كل اصعدته اللازمة: (الفكر ـ الممارسة ـ الثورة ـ الفداء).

انها محاضرة باهرة القاها الصدر امام تلامذته في ٢٧ صفر عام ١٣٨٩، وقد استجمع فيها قوى نفسه المأزومة بمأساة الراهن المرير، ونثر فيها افلاذ قلبه المفعم بشوقه العارم الى فعل المراد على طريق الانقاذ.

فهلمّ نستمع اليها بكل صراحتها، وشفافيتها، وصدقها، وابداعها، مع كل ما فيها من عذوبة عفويتها، واسترسالها، وانطلاقها على سجيتها:

(هناك مظاهر اساسية للاخلاقية التي كنا نعيشها، وهذه المظاهر هي ابعد ما تكون عن اخلاقية الانسان العامل الذي يريد ان يحمل رسالة الله، والذي يريد ان يمثل الانبياء على الارض، هذه الاخلاقية لا بد لنا ان نطورها من نفوسنا، لابد لنا ان نغيّر هذه الاخلاقية، ونفتح بالتدريج اخلاقية الانسان العامل، لكي نهيئ الارضية النفسية التي يقام على اساسها العمل الصحيح.

روح التضحية والايثار الاخلاقية التي كنا نعيشها ـ كان ـ من نقاطها الرئيسية الارتباط بالمصلحة الشخصية بدلا عن الاستعداد للتضحية، نحن بحاجة الى ان نكون على اهبة لايثار المصلحة العامة للكيان على المصلحة الخاصة لهذا الفرد او لهذا الفرد، نحن لابد لنا من اخلاقية التضحية بالمصالح الخاصة في سبيل المصالح العامة، اما ما كان موجودا فهو على الغالب ايثار للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

كنا نعيش لمصالحنا، وكنا نعيش للمصلحة العامة حينما تتعارض مع

مصالحنا الخاصة.

وهذه النزعة الاخلاقية (النزعة الاخلاقية التي تتجه نحو المصلحة الخاصة لا نحو المصلحة العامة).

تجعل القدر الاكبر من طاقاتنا وامكانياتنا خصوصا في جو من قبيل جو الحوزة، (في جو غير منظم، في جو لا بد لكل انسان ان يبني نفسه فيه بنفسه)، في مثل هذا الجو، اذا عاش الناس دائما عقلية المصلحة الخاصة، ولم يكن عندهم اخلاقية التضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة.. فسوف يصرف القدر الاكبر من الطاقات والامكانيات والقابليات في سبيل تدعيم المصالح الخاصة، او في سبيل الدفاع عنها.

حينما تتوجه الاتجاهات من المصلحة العامة الى المصلحة الخاصة سوف يضطر كل انسان منهم الى التفكير في نفسه، والى الدفاع عن نفسه، والى تثبيت نفسه، وبذلك نصرف ثمانين بالمائة من قوانا وطاقاتنا بالمعارك داخل الاطار، بينما هذه الثمانين بالمائة من القوى والطاقات التي تصرف في معارك داخل الاطار كان بالامكان ـ لو اننا نتحلى باخلاقية الانسان العامل اعني اخلاقية التضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل المصلحة الامة ـ ان نحول هذه الثمانين بالمائة في سبيل الله بتدعيم الاطار ككل، وترسيخه، وتكديسه، وتوسيعه، وبذلك لو كنا نعقل ـ لكنا نستفيد ايضا حتى بحساب المقاييس العاجلة اكثر مما نستفيد ونحن نتنازع ونختلف داخل اطار معرّض لخطر التمزق، داخل اطار مهدد بالفناء.

الى متى نحن نعيش المعركة داخل اطار يحكم عليه بالفناء يوما بعد يوم، او يواجه الفناء يوما بعد يوم، ولا نفكر في نفس الاطار، ولا نفكر في ان نتناسى مصالحنا الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة؟!!.

اخلاقية الانسان العامل اول شروطها هو ان يكون عند الانسان شعور

واستعداد للتضحية بالمصلحة الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة، وهذا ما لا بد لنا من ترويض انفسنا عليه.

ب – نزعة التجديد في اساليب العمل

المظهر الثاني من مظاهر اخلاقية الانسان العامل هو الاتجاه الى التجديد في اساليب العمل.

نحن عندنا (نظرية) وعندنا (عمل)، النظرية هي الاسلام، ولا شك ولا ريب ان ديننا ثابت لا يتغير ولا يتجدد، ولا يمكن في يوم من الايام ان يفترض كون هذا الدين بحاجة الى تغيير او تحوير او تطوير، لان هذا الدين هو اشرف رسالات السماء وخاتم تلك الاديان، الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى للانسان في كل مكان وفي كل زمان، ولهذا فالصيغة النظرية للرسالة صيغة ثابتة لا تتغير، ولا يمكن ان نؤمن فيها بالتجدد.

من الخطأ الف مرة ان نقول أن الاسلام يتكيف وفق الزمان، الاسلام فوق الزمان والمكان، لانه من وضع الواضع الذي خلق الزمان والمكان، فقد قدّر لهذه الرسالة القدرة على الامتداد مهما امتد المكان والزمان.

الصيغة النظرية للاسلام صيغة ثابتة فوق التجدد وفوق التغير، لا بد لها ان تحكم كل عوامل التغيّر وكل عوامل التجدد، لا ان عوامل التجدد والتغير تحكم الرسالة وتحكم الاسلام، بل الاسلام يحكم كل عوامل التجدد، هذا واضح على مستوى النظرية، ولا بد ان يكون واضحا عندنا جميعا.

واما العمل في سبيل هذاه النظرية، ففي اساليب العمل الخارجي كانت لدينا حالة انا استطيع ان اسميها (حالة النزعة الاستصحابية)، الاستصحاب الذي قرأناه في علم الاصول طبقناه على اساليب العمل، وطبقناه على حياتنا، فكنا نتجه دائما الى ما كان، ولا نفكر ابدا في انه هل بالامكان ان يكون افضل مما كان؟

وهذه النزعة الاستصحابية الى ما كان والحفاظ على ما كان تجعلنا غير صالحين لمواصلة مسؤوليتنا، وذلك لان اساليب العمل ترتبط بالعالم، ترتبط بمنطقة العمل، ترتبط بالبستان الذي تريد ان تزرع فيه، وهذا البستان وهو الامة التي تريد ان تزرع فيها بذور الخير والتقوى والورع والايمان..، ليست لها حالة واحدة، الامة تتغير، نعم اسلامك لا يتغير، لكن الامة تتغير، الامة اليوم غير الامة بالامس في مستواها الفكري، في مستواها الاخلاقي، في علائقها الاجتماعية، في اوضاعها الاقتصادية، في كل ظروفها، الامة اليوم غير الامة بالامس، وحيث ان الامة اليوم غير الامة بالامس لا يجوز لك ان تتعامل مع الامة اليوم كما تتعامل مع الامة بالامس، انت اليوم حينما تريد ان تتصل بانسان من ابناء الامة في بلد اخر لا تمشي على رجليك، ولا تركب حيوانا، وانما تركب سيارة لكي تصل الى هناك، يعني انك تغيرت اساليب عملك مع ابناء الامة، لماذا؟، لان الامة تغيرت، فحيث ان منطقة العمل هي الامة، حيث انك تريد ان تزرع بذورك (بذور التقوى والورع والايمان) في الامة.. لهذا يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الظروف والتغيّرات والتصورات التي توجد في الامة، هذه التصورات والتغيرات التي توجد في الامة تحدد لنا اساليب العمل، وليس بالامكان ان يكون هناك اسلوب واحد يصدق على الامة اليوم، وعلى الامة، بالامس وعلى الامة غدا.

لابد لنا ان نتحرر من النزعة الاستصحابية، من نزعة التمسك بما كان حرفيا بالنسبة الى كل اساليب العمل، هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا، حتى ان كتابا دراسيا مثلا ـ امثل بابسط الامثلة ـ اذا اريد تغييره الى كتاب دراسي اخر افضل منه، حينئذ تقف هذه النزعة الاستصحابية في مقابل ذلك. اذا اريد تغيير كتاب بكتاب اخر في مجال التدريس – وهذا اضأل مظاهر التغيير – حينئذ يقال: لا ليس الامر هكذا، لا بد من الوقوف، لا بد من الثبات

والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الانصاري رضوان الله عليه، او المحقق القمي رضوان الله عليه، هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائما نعيش مع امة قد مضى وقتها، مع امة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها، لاننا نعيش باساليب كانت منسجمة مع امة لم يبق منها احد، وقد انتهت وحدثت امة اخرى ذات افكار اخرى، ذات اتجاهات اخرى، ذات ظروف وملابسات اخرى، فحينئذ من الطبيعي ان لا نوفق في العمل لاننا نتعامل مع امة ماتت، والامة الحية لا نتعامل معها، فمهما يكن لنا من تأثير سوف يكون هذا التأثير سلبيا، لان موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميت، وما هو الموجود في الخارج لا نتعامل معه.

يجب ان يكون واضحا عندنا اننا يجب ان نتعامل مع هذا الانسان الحي الموجود في الخارج المكون من اللحم والدم، وهذا الانسان يتغير ويتطور وتختلف ظروفه وملابساته، نحن لا بد لنا ان نتعامل مع هذا الانسان، وحيث اننا لا بد وان نتعامل مع هذا الانسان فلا بد ان نفكر دائما في الاساليب التي تنسجم مع هذا الانسان.

الشهيد الاول ﷺ قبل قرون وقرون – كما قلنا بالامس فكر في تنظيم شؤون الدين والمرجعية بشكل من الاشكال كما قلنا، لكن اليس بالامكان ان يفكر مئات العلماء الذين جاؤوا بعد الشهيد الاول الى الان، ومئات العلماء الموجودون فعلا، ومئات العلماء الذين سوف يخلفون هؤلاء المئات من العلماء في تطوير اساليب الشهيد الاول، وفي تحسينها، وفي تنقيتها؟

اليس بالامكان هذا؟

فكر الشهيد الاول في ان يضع قواعد لهذه المرجعية، لكن هذه القواعد هي هي؟، لا بد وان تبقى بحدودها التي كانت في ايام المماليك؟!!، تلك الحدود التي كانت في ايام المماليك في سوريا تصدق على ما هو اليوم في

العالم مع تغير العالم، وليس العالم اليوم عالم المماليك؟!!

فاذا كنا نؤمن بان الاساليب تتغير، وان كانت النظرية ثابتة، اذان فلا بد لنا ان نفتح بابا للتفكير في هذه الاساليب، كما نفكر في النظريات الفقهية والنظريات الاصولية، كما نفكر في (الترتب) وفي بحث (اجتماع الامر والنهي)، كما نفكر في ان العصير العنبي هل هو محكوم بالحرمة والنجاسة او غير محكوم عليه بالحرمة والنجاسة؟.

كذلك لا بد ان نفكر الى جانب ذلك باساليب العمل.

هذا جزء من وظيفتنا، لاننا ندرس العلم للعمل، ولا ندرس العلم لكي نجمده في رؤوسنا، نحن ورثة الانبياء بحسب زعمنا، والانبياء عاملون قبل ان يكونوا علماء، هم علماء لكي يكونوا عاملين، وليسوا عالمين من دون عمل، فاذا كنا نحن ورثة الانبياء فيجب ان نفكر في اننا عالمون لكي نعمل، لا اننا عالمون لكي نعلم، فاذا كنا عالمين لكي نعمل فلا بد ان نجعل جزء من وظيفتنا ان نطرح على اساتذتنا، ان نطرح على زملائنا، وان نطرح في كل مكان هذه الاسئلة:

ما هو العمل؟ كيف نعمل؟ ماهي اساليب العمل؟ كيف يمكن تجديد اساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الامة اليوم؟

نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عالم عصر المماليك؟

هذه اسئلة قد يكون جوابها صعبا في بداية الامر، لانه ليس هناك مطالعات وترويض فكري على الجواب عليها، قد تجد ان الجواب على مسألة اصولية سهل، لان هذا الانسان الذي تسأله قد درس الاصول عشرين سنة، واما مثل هذه الاسئلة فحيث انها بنفسها ايضا اسئلة دقيقة ومرتبطة بمدى خبرة الانسان وتجاربه واطلاعه على ظروف العالم: لهذا قد يجد الصعوبة في الجواب على هذه الاسئلة، لكن هذه الصعوبة لابد من تذليلها

بالبحث والتفكير، ومواصلة البحث والتفكير.

اذن لا بد ان نجعل جزء من وظيفتنا ان نفكر دائما في انه كيف نغير اساليب العمل، كيف ننسجم مع وضعنا وبيئتنا؟.

لماذا تعيش الحوزة العلمية في هذا البلد مئات السنين، ثم بعد هذا يظهر افلاسها في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه؟!!، واذا بابناء هذا البلد او ببعض ابناء هذا البلد يظهرون بمظهر الاعداء والحاقدين والحاسدين والمتربصين بهذ الحوزة!!!

الا تفكرون في ان هذه هي جريمتنا قبل ان تكون جريمتهم؟، في ان هذه مسؤوليتنا قبل ان تكون مسؤوليتهم؟. لاننا لم نتعامل معهم،! نحن تعاملنا مع اجدادهم ولم نتعامل معهم، فهذه الاجيال التي تحقد علينا، وتتربص بنا، تشعر باننا نتعامل مع الموتى، لا نتعامل مع الاحياء، ولهذا يحقدون علينا، ولهذا يتربصون بنا، لاننا لم نقدم لهم شيئا، لاننا لم نتفاعل معهم.

انا منذ سنة، منذ اكثر من سنة اتحدث مع الاخوان، ومع الاعزاء في ان كل واحد من اهل العلم – كل واحد يكون له قدرة – لو كان يكوّن له مجلسا تبليغيا في النجف الاشرف يضم خمسة فقط لا اكثر من خمسة، يضم هذا البقال الذي يشتري منه اللبن، وهذا العطار الذي يشتري منه السكر، هذا الجار الذي يسلم عليه عندما يخرج من بيته. يضم خمسة من هؤلاء، لو كان كل واحد من اهل العلم عنده مجلس تبليغي في يوم الجمعة بدلا عن ان يذهب الى الكوفة ويسبح من الصبح الى العصر، بدلا عن ان يبذر الوقت بالمطاردة في الشعر، بدلا عن ان يبذر الوقت في الف لهو ولهو، بدلا عن كل ذلك لو انه يستثمر جزء من هذا الوقت الذي يهدره لا في غرض معقول، لويستثمر جزءً من هذا الوقت في تكوين مجلس تبليغي لخمسة من ابناء النجف، لو ان الف شخص من الطلبة كل واحد منهم يكوّن مجلسا تبليغيا

لخمسة، لكان لدينا قاعدة شعبية مكونة من خمسة الاف، ولاحَسّ الناس من ابناء البلد باننا نتعامل معهم، أننا نفكر فيهم، اننا نعطيهم، ان وجودنا مرتبط بوجودهم، ان حياتنا مصدر خير لهم، مصدر عطاء لهم، لكننا لم نتعامل معهم، ومن الطبيعي ان لا يتعاملوا معنا اذا كنا لا نتعامل معهم.

اذان لا بد لنا ان نفكر في تغيير اساليب العمل، ولا بد لنا دائما ان نفكر فيما هي الاساليب الافضل والاصح.

ج ـ العقلية الرياضية والعقلية الاجتماعية

بقيت هناك نقطة اخرى متممة لهذه النقطة لا بد لي من اثارتها –، اقولها على نحو الاختصار – وهي: اننا حينما نفكر في اساليب العمل يجب ان لا نفكر في ذلك بعقلية الاصول والفقه، بعقلية (الترتب) و(استحالة اجتماع الامر والنهي)، اي بالعقلية الرياضية.

هناك عقلية رياضية، وهناك عقلية اجتماعية، توجد عقليتان، يوجد نوعان من التفكير، تفكير رياضي، وتفكير اجتماعي.

التفكير الرياضي: هو التفكير الذي لا يقبل حقيقة من الحقائق الا اذا كانت كل نقاط الضعف فيها قد ازيلت بالبرهان القوي الواضح الذي لا يقبل الشك والجدال، فاذا كانت النتيجة الرياضية واضحة بعد التحليل على مستوى ان اثنين زائد اثنين يساوي اربعة حينئذ تُقبل، واما اذا لم يكن البرهان الواضح القاطع على صحتها لا تقبل.

هذا هو التفكير الرياضي، وهو التفكير الذي نعيشه في علم الاصول، لان كثيرا من قواعد علم الاصول يبنى على اساس البرهنة، ولكن هذا التفكير يختلف عن التفكير الاجتماعي، التفكير الاجتماعي لا يمكن ان نطلب فيه البرهان.

لنرجع مرة اخرى الى ذاك المثال الساذج البسيط، حينما نريد ان نغيّر

كتابا دراسيا بكتاب دراسي اخر لا يمكن ان نتطلب في مقام الامتناع برهانا رياضيا بحيث اني ابرهن لك على انه لو لم يدرس هذا الكتاب لوقع اجتماع النقيضين، واما لو درس هذا الكتاب فلا يقع اجتماع النقيضين، مثل هذا البرهان الرياضي لا يمكن ان يكون في العمل الاجتماعي.

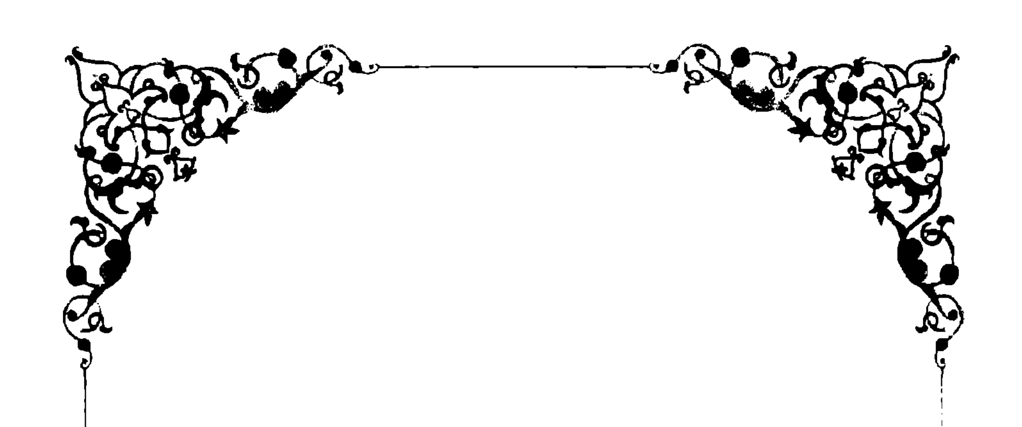
العمل الاجتماعي: يقوم على اساس الحدس الاجتماعي، والحدس الاجتماعي يتكون من الخبرة، والتجربة، ومن الاطلاع على ظروف العالم، وملابسات العالم.

اذن فيجب ان نفتح اعيننا على العالم. اذن يجب ان نعيش الخبرة والتجربة في العالم. اذن يجب ان نفكر في اساليب العمل لا بالطريقة التي نفكر في علم الاصول، نغمض اعيننا، ونجلس في الغرفة ونفكر في ان الترتب مستحيل او ممكن. نعم هذه هي الطريقة المفضلة في التفكير، لانها مسألة نظرية تنبع من واقع الامر، ولا تنبع من الخارج.

واما العمل الاجتماعي فهو بحاجة الى حدس اجتماعي، والحدس الاجتماعي يتكون من خلال التفاعل مع الناس. من خلال الاطلاع على ظروف العالم. من خلال الاطلاع على الملابسات. من خلال الاطلاع على التجارب التي قام بها الاخرون. من خلال المقارنة بين احوالنا واحوال الاخرين. من خلال كل ذلك يتكون هذا الحدس الاجتماعي.

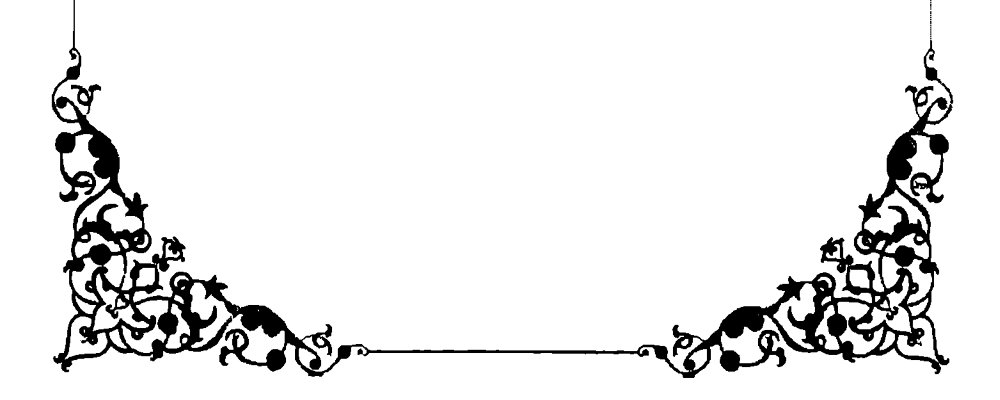
اذن فلكي نكون متجهين اتجاها صحيحا في تفكيرنا، في اساليب العمل، يجب ان نغير طريقة تفكيرنا، يعني ان لا نصطنع نفس الطريقة الاصولية حينما نفكر في اساليب العمل، وانما نعتمد على الحدس الاجتماعي، ونفتش عن كيفية تكوين هذا الحدس في اذهاننا عن طريق تعميق خبراتنا وتجاربنا. وفقنا الله واياكم، وغفر الله لنا ولكم.

(كتاب المحنة: ٧٠)



خط الصدر..

معالم المسار



١ ـ مسار الصدر هو في الواقع وثبة تلك الروح الرسالية التي انطلقت من بين حنايا أبي جعفر، ذلك العملاق الريادي الشامخ الذي تعبأ بصدق العقيدة في ذراه، وبوعي المسؤولية في قصاراه، وبذمام الاعتصام وعروة الالتزام، ليؤدي فرض الله عليه ازاء شريعته التي فهمها اروع الفهم، فاعتنقها اصدق الاعتناق، وصمم على ان يكون وريدها النازف، ولسانها الناطق، وسعيها الجاهد، وانسها المنساب مع نسيم القيم الرافعة، والمثل السامقة، وجلالها المشهود في فكرها الخلاق، ومفاهيمها البهية، واحكامها الباهرة، وتعاليمها الزاهرة.

٢ ـ مسار الصدر هو انفاس ذلك الملاك الهابط من علياء اللطف والتحنان، بقيمة الحق وحرمة الانسان، ينشر شريعة الهدى والسداد والسلام، بمنتهى الرفق والحب والوئام، في عالم تموج فيه الاباطيل والاضاليل، مكلوءة بسَورة الاهاويل والعقابيل.

٣ ـ هو عبقات ذلك القلب الشاعر الفينان الذي تضوعت فيه ازاهير المثل الزاهية، والمبادئ السامية، والنوايا الشريفة، والهموم الزكية، والسهاد المقدس، واللهفات الرضية، التي سطع اريجها واصبا في مديات المسار بلا فتور ولا قرار.

٤ ـ مسار الصدر هو اسم الصدر الاستاذ الذي ربى صفوته ورجاله على وعيه وعزمه ورؤاه، وغذاهم بفكره واقتداره ونُهاه، وبثهم اشجانه وهمومه، ودلهم اوجاعه وكلومه، وعرّفهم طريقه الصعب المستصعب (طريق التغيير)، وحركهم فيه اقلاما سوية، وألسنة منيرة، وطاقات مبدعة، وبركات غامرة، وهمماً نشيطة، وعيوناً ساهرة، ومشاعر نبيلة، وطموحات خالصة، يمور فيها الطهر والطيب والصفاء، ويرفدها الوفاء والولاء بفورة الدماء، تستعيد للامة من تاريخها البديع صفحة المجد التالد الاثيل، جاهدة ان تجعل حاضرها نفحة

ذلك النسيم العابق البليل.

٥ ـ مسار الصدر هو قَدَر الامة اجمع بعائدة الوعي المتين، ورشد العقول، وبصيرة القلوب، ويقظة العزائم، وانتفاضة الهمم، وصحوة الجيل، وهو كذلك قدر العراق المستهدف بكل شراسة الظلم والظلام – ان يكون مصدر الاشعاع، وروح الوثبة، ومحط الانظار، ومهوى الاستلهام، وموئل التأسي، وعنفوان التحدي، وبركان الثورة.

٦ ـ هو كذلك قدر الحوزة العلمية الكريمة، حيث طلعت به من افق الهدى والرشاد: شمساً ساطعة تنير، وتجديداً فذاً يحيي، وحكمة بالغة تسدد، وريادة واعية تقود، وصوتا زاهرا يوقظ، وراية جامعة توحد، والفة حامية ترأب، وحبا دافقا يغمر، وسماحة وارفة تظلل.

٧ ـ انه مسار الصدر الخالد الذي جسدت خطاه خطى الملة في منتهى اصالتها، وعمقها، وسدادها، واقتدارها، واستعادت نفحاته المباركة الصدوق نفحات الحقيقة الكبرى، حقيقة الرسالة التي حباها الله بسيد الفاتحين المجددين في غمرة خطبها الفادح، حيث تكالبت عليها كل عوادي المين، والشين، والخيانة، والتفريط، والجهل المركب، فكادت ان تصير ذكرى حزينة في التراث الدفين، ودمعة لا ترقأ في محفل البكاء والرثاء، ولوعة جامحة في فورة الندم، وحُلُما قصياً سكن الشجى في ذروة السهى، مطلوباً عصيا كبّلته اغلال الامتناع، وقصة خيالية لفّعها المدى والعدى سجية الاساطير. وحين انتفض لها ذلك المجدد الفذ المتفرد باعجاز العقل والروح والتصميم، وهبها من فكره الوتر انطلاقتها من تحت دثار القرون: فلسفة، واقتصادا، واسسا منطقية، وفتاوى واضحة.

وحباها من عزمه الوثاب ورشده المتين حركة واعية، وشكيمة وارية، ونظْما مسددا، واساليب رصينة بارعة الصياغة والمضمون والاداء، ومرجعية

صالحة تلم شمل الامة تحت لوائها المجيد على طريق الفتوحات الباهرة في الرفض، والتحدي، والمقاومة، والفداء.

واعطاها خير ما يعطي الباذلون الصادقون من العطاء: روحه المبرورة، وراحته المنذورة، وعمره المنيف، ودمه الشريف، تاركا فيها صوته الجاهر بخير النداء، وخطه المفعم بالصدق والوفاء، وركبه الشامخ المشحون بثورة الحب والولاء.

سجايا المسار

لقد تميز هذا المسار الفذ بسجايا باهرة جعلته الرقم الاصعب في معادلة العمل الرسالي الاسلامي في الامة قاطبة وفي العراق بالخصوص، وقد كانت هذه السجايا في الحقيقة هي خصال الفاتح المكين، مؤسس هذا الخط، بكل موائز التفرد في مجالات الوعي، والاصالة، والعمق، والتجديد، والعمل الفارد النزيه، والاستعداد لكل احتمالات الموقف المطلوب فريضة مقدسة لا محيد عن ادائها مهما كانت الاثمان والتبعات.

وكانت شمائل هذا المسار العابقة بطيب ذلك الرائد الكبير ثورة على المسلكية الموروثة في التعامل مع الواقع، وقفزة عملاقة في عالم التعاطي في هذا الواقع باستحقاقات الزمان، ولسان تجدده، ووسائل رقيّه على كل الاصعدة، دون اي حيف على المبادئ، والقيم، والاصول، والثوابت على الاطلاق، فازدهى المبدأ الحق بقدسية فريدة اضفاها الخطاب الجديد، والفهم المعاصر، والاسلوب الامثل، والانجذاب الخاشع الذي ملأ ما بين الجوانح لدى كوادر الامة، وكفاءاتها، وطاقاتها العلمية والثقافية، وانتشر عَبقه الساحر في اوساط الجامعات، والمعاهد العلمية، وساحات المحافل الشبابية المثقفة، وبين العقول المتنورة، والجيل الصاعد المبهور بقضية الانسجام البديع بين

الدين والعلم، وبحقيقة المواءمة المذهلة بين الشريعة والحياة الصاعدة.

لقد كانت خصيصة الوعي من ابهي خصائص هذا المسار الفريد، وقد تعددت الوان الوعي واطيافه الباهرة فيه بين وعي المنهج، ووعي الواقع، ووعي الخطب الداهم اللازم، ووعي المسؤولية والامانة، ووعي الآليات والاساليب في الدفاع والتغيير، ووعي المستلزمات والنتائج والتوقعات.

كانت خصيصة التجديد بكل مناحيه وعلى مختلف صُعُده، في عالم الشريعة في بدائع الفهم الاصولي والفقهي، وروائع الفكر الايديولوجي، وفي منحى الممارسة لوظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي محاور نظم الامور، ومباشرة الجهد السياسي، وطرائق التبليغ المدروسة، والاعتقاد الجازم بقاعدة: ينتشر الهدى من حيث انتشر الضلال، والتي تنفتح على كل امر مشروع في العمل الرسالي، يقدم العون الوافي للهدف المنشود في مسارب الخدمة الفكرية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، والانسانية.

وكانت سجايا الرفض، والاباء، والتحدي، واعلان الثورة على الواقع الفاسد، والممارسة النضالية التي تقتحم بالمسعى الجهادي ساحة الوغى، على طريق التغيير بالقوة، حيث يعجز الفكر امام الحماقة، ويضعف اللسان امام الصمم المطبق، ويفشل الدفع بالحسنى ازاء عهر الطاغوت وعرامة الاستبداد – تلك كانت كلها من افنان تلك الشجرة المباركة (شجرة التجديد الصدري)، ومن افانين تجلياتها وبركات عطائها، فحيث امتلكت هذه الثورة كل مقوماتها الاساسية من: منهج كامل، وقائد حكيم، وبصيرة نيرة، واساليب ذكية، وخطاب رصين، ودراية سياسية، وقاعدة مؤمنة واعية، وتوجهات صادقة للتضحية والفداء ـ كانت بحق ثورة المشروع الاسلامي بكل نياشين الفخر والجلالة والمهابة، بل اعجاز التجديد الذى قهر المعتاد والمألوف في واقع الموقف من المسؤولية، ولون الاداء للتكليف القيادي، وحجم الانجاز،

وطرائقه، وطبيعته، وسعته، وابعاده. وبمقدار ذلك الانجاز الهائل كان الاذى بكل اشكاله المعنوية والمادية من أُولى عوائده وتبعاته، وكانت الحرب النفسية من حمقى الداخل واجواء السلطة قائمة على اشدها، ولم تضع اوزارها قط حتى بعد رحيل القائد المستهدف، وحيث كان التحدي على صعيديه: للمسلكية الموروثة وللحكم الجائر ـ ابداعا هائلا لم يعترف بتبريرات المدلجين في مسارب التقية، ولا تسويغات المعذّرين من اعراب السلامة المفروضة بقانون البعد عن مواضع التهلكة – من هنا كان رد فعل الطغاة السادر في الغي عنيدا مغيظا بلا هوادة، وكان رد الفعل المقدس الموصول بذرائع الشريعة من المتنسكين في محاريب الحماقة رد فعل هائلا ايضا، احتوشا بفرط الغلظة والجفاء والعنت هذا المسار ورمزه، ووضعاه في اضيق نقطة للاستهداف الواصب المُلحّ بلا انقطاع، وعرّضاه لاشد انواع البطش العصبي المتمثل بالتفسيق، والتسقيط، وتحريك السفهاء للايذاء، وممارسة الحصار الروحي المقيت الذي واجهه الصدر بالاسى والاستغفار لظالميه بغاشية الجهل المضاعف، وحباهم بالحكم عليهم بالبراءة، لانهم ينطلقون من اعتقادهم الخاطئ بصوابهم، ولا يرضى بالمساس بهم باي لون من القدح، لانهم معذورون عند الله بسلامة نيتهم.

وكم هو مبرّح للمرء المضطهد ان يكون له خصوم من هذا القبيل، يؤذونه بعقيدتهم الخاطئة، ولا يجيز هو لنفسه او مريديه ايذاءهم لالزامات ضميره المعتصم، ووازع عقيدته الصائبة!!.

اما التصميم القاطع على التضحية انطلاقا من الاعتقاد الراسخ أن روضة الاسلام لا غَناء بها عن الارتواء بنجيع المهج الطهور، وأن ايسر حقوقها على المؤمنين ان يفتدوها بارواحهم التي اشتراها الله منهم بقربه ورضوانه – فهي من أبهى محاسن هذا المسار الذي حفلت اوساطه الكريمة بالنفوس الطاهرة

العامرة باليقين، والتسليم، والانقياد الامثل لرائدها الى حد الافتداء، ولمطلوب شريعتها بالمحاماة الى مستوى تقطيع الاوصال، ومعانقة الاسنّة والنصال. وقد ضرب هذا المسار بضحاياه التي قدمها قرابين للاسلام اروع الامثلة في تاريخ الجهاد بكمّ البذل، وكيفه، ومشاهده، وقصصه الاسطورية التي يتغنى بها ثغر الامجاد للاجيال ما اعتقب الجديدان في محفل الزمان.

ومن يتأمل قانون (اعدام الدعاة) الذي ارتُكبت به افظع المجازر في صفوف الرساليين على شتى مشاربهم، وبابشع الاساليب والممارسات – يدرك حجم الغيظ العارم الذي تفجر في قلوب الطغاة من اداء هذا المسارالشريف، ومقدار الخوف الذي تملّكهم من ان يصل بجهوده وتضحياته الى هدفه المنشود، كما وصل مماثلوه من جيرانه في ايران بثورتهم الى غايتهم الكبرى، وهي ارساء دعائم الجمهورية الاسلامية التي حررت البلاد والعباد في ارض فارس من اسر الطغيان والتبعية والحرمان.

كان ولاء هذا المسار لثورة الحق هذه، ومظاهر الحفاوة التي بدت منه لها عند طلوعها مؤشر الخطر الرهيب لدى اولئك العتاة المجرمين من ان يعيد التيارالتجربة الاسلامية في ايران على ارض الرافدين، ويكون الصدر الثائر خميني العراق، ويكتسح الاسلام معقلا آخر من معاقل الضلال والدكتاتورية، فاقدموا برعبهم ومحاذرتهم واغراء اسيادهم المذعورين من الصدر وجنوده على الخلاص من هذا المسار ورمزه بشتى الوسائل والسبل، وبافظع صور الابادة، والتنكيل، والحذف من الوجود، ومصادرة ايسر الحقوق والحريات الانسانية. وقد سكتت على بشاعة ذلك المنظمات الدولية، وابواق المخادعين من دعاة الديمقراطية وحقوق الانسان التي اخرستها متطلبات البقاء لمصالح الكبار الاستراتيجية التي صارت مهددة باعتى المخاطر التي يتزعمها زحف الرساليين الصادقين على طريق التحرر من براثن الذل والاستعباد والاستغلال.

خصائص الاتباع

تلونت خصائص الاتباع في هذا المسار في اطاره العام تلون قطاعات الامة المسلمة وفصائلها، ما دام هو في واقع الهوية كل الوجود الاسلامي في المعمورة على مختلف اتجاهاته، وقومياته، ولغاته، المؤمنة بالعقيدة وبالتشكل في اطارها وبذوقها وصياغتها لايجاد المشروع الانساني المطلوب للرسالة وهو: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

في ذروة الاعتصام بوحدة الهدف والمسار: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

على قاعدة رصينة متينة من الاخاء المفروض: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحسب امتداد الامة امتد المسار في ارض الله، وبتعدد مشارب الامة ومذاهبها تعددت شرائح المسار واطيافه، وقد تميزت الطليعة من العناصر الكفوءة والفاعلة والمضحية في هذا الخط على ارض الرافدين بكونها نبتة الولاء والاستضعاف، وعطية الحرمان من مراتع الطبقات الشعبية المسحوقة، يستعيد بهم الناظر في امرهم حقيقة الوصف الذي اطلقه اعداء الحق على اتباعه كما في نص القرآن:

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧].

وقد تجلت في هذه الكفاءات الايمانية الزاهرة خصال الاعتقاد الحق، والايمان الراسخ رسوخ الجبال، والالتزام الديني الصارم، والتقيد الحرفي بتوجيهات القائد وارشاداته على مختلف المناحي، الامر الذي ابدع من هذه الكفاءات طاقات ايمانية نموذجية صارت مضرب الامثال في تدينها، وقدوة الاخرين الباحثين عن مصداق المؤمن العامل الذي يدعو الى ربه وعقيدته

بسلوكه وعمله قبل لسانه وموعظته، وحيث تمضي في طول الساحة وعرضها تجد هذه العناصر في قمة الفضائل والقيم السامية، تحفها روائع المديح والاطراء والثناء، وتزينها بدائع التقدير والاجلال والذكر الحسن.

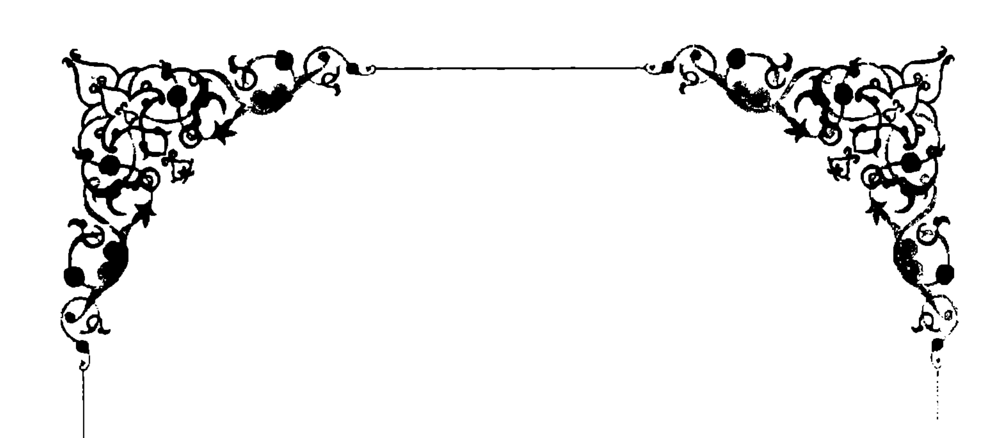
وقد تجلت في هذه العناصر الخيرة شمائل الوعي المتين والثقافة الاصيلة، متألقة بهالات باهرة من خصائص الخلاقية والابداع والعطاءات المتميزة على مختلف مجالات الخدمة العلمية والاجتماعية، ويشهد لها تاريخ المكارم والمحامد باروع القيم الانسانية الرفيعة كالرفض، والاباء، والجرأة، والبحث الدؤوب عن الحقيقة، والتزامها عند وجدانها اصدق الالتزام واعمقه، وبذل كل شيئ لاعزازها ونصرتها، وجعل افتدائها بالنفس والنفيس فريضة يلزم بها الاعتقاد الحق امانة الله في اعناق امنائه المستخلفين في معمورته.

وقد سجلت مناقب الفداء وملاحم التضحيات لأولئك الابرار السائرين على خط الصدر في تياره انهم كانوا صفوة هذه الامة، ووسام عزها وكرامتها، وانهم حلقة وصلها بماضيها المجيد، وانهم محفل الرسالة الذي ابصرت فيه بالتجسيم واقع الصورالذهنية التي رسمتها مخائلها وفطنها المبدعة لمقروئها في قصة الرسالة الخالدة، وفصول المجد التي سطرتها مواقف الفاتحين الذين قادهم نبي العظمة على درب المفاخر والمآثر والصنع البديع لاروع انجاز وهو (الامة الشاهدة).

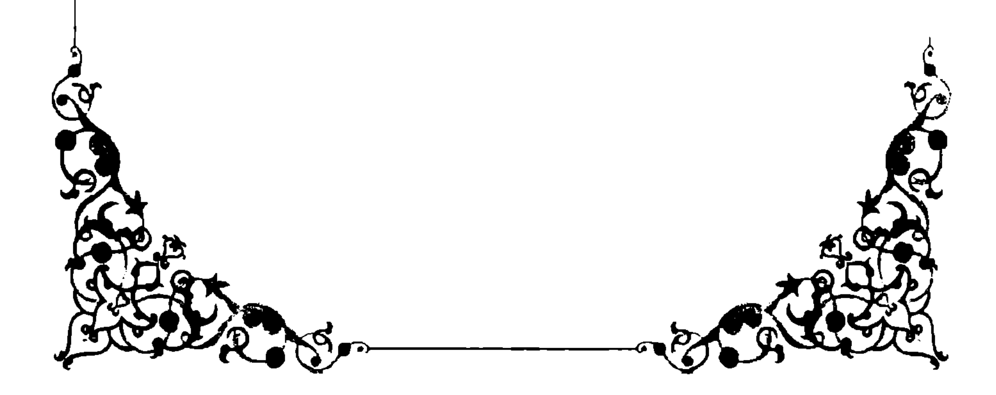
لقد عاد بهم اولئك الافذاذ الشامخون الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه في معاهد الحب والعشق والفداء، وعاد بهم اولئك الابطال الذين داسوا على الجمر اللافح في طريق ذات الشوكة، لكي يبدعوا اسطورة الالتزام والاداء وحق الجهاد في ميادين الاقتحام الفذ الى مشارق النور في كرامة الاصطفاء.

لقد استحضر ابو جعفر بنماذج تياره العتيدة تليد المكرمات الرسالية، ليملأ بها عين الواقع المعاصر التي اريد لها ان تحرم رؤية البهاء والشموخ

ببدائل الديجور والوضاعة، وليغمر بها قلبه الذي عرّجت به قيم الارض الهابطة عن قيم السماء العلية، ويفتح بها عقله على الرصانة والمتانة والعمق بعد ان جعلته السفاهات الجاهلية الجديدة شحّاذا على طريق السخافة الخرقاء، يستجدي بلادة التافهين من عبدة الالهة الحقيرة العائدة من اوحال الزيف ووهاد الحماقة.



الصدر العارف



١ ـ العرفان في منهج الصدر هو مدرسة القرآن وأمنائه الصادقين في ملحمة السلوك، وابداع الواقع العملي الذي تصوغه الارادة المنسجمة مع المشيئة التشريعية لرب العباد الذي اختص مصطفاه الانسان بكرامة الخلافة له في ارضه، ليقيم فيها دور العبادة العارفة التي تستهدي بعصمة الوحي، وتحلق في افضية العقل الذاكر باستغراق الفكرة الخاشعة في عظمة المهيمن، وتستنير بوثبة الضمير الشاعر الحساس في ميدان اللهوف الى الاعتصام بذمام الحق والحقيقة.

٢ ـ العرفان الصدري هو حقيقة المعرفة لحق الله وشريعته، وحقيقة الاداء للواجب المقدور في لوح الفريضة بعزمات القلب المجذوب، والنفس اللوامة المستقصية في مديات (حق الطاعة) الذي ابدعه لها شعورها المرهف كشفرة السيف في حماسة الورع.

٣ ـ العرفان الصدري هو روعة الاختيار الابهى من بين المشتهيات المعروضة امام الفؤاد المسكون بثورة الحب الاشد المنصوص تكليفا على الصادقين في مسار اليقين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهو حين تتعدد الالوان في طيف المرغوب بالفطرة والتزيين في:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤].

يكون لون الصفاء والنقاء هو المشتهى لذائقة الحس الصدري المترعة بالعشق والشوق في منتهى فلسفة النزوع الى معرفة الحقيقة الكبرى: (منه، واليه، وعلى هداه، الى منتهى رضاه.)

٤ ـ العرفان الصدري هو عرفان العزمات والوثبات والخطى العملاق على درب الانقطاع للذات الازلية، والفراغ المكين من هموم الزبد الذاهب والزيف الخادع، في تمحض مشبوب متين بالخدمة النزيهة للخالق في صرامة الحب والانقياد، وللمخلوق في عقيدة الزلفى الى المعبود بغبطة العباد.

٥ ـ العرفان الصدري هو عرفان الجراح الراعفة في ميادين حق الجهاد، والعيون الذارفة في محاريب الخشوع، وهو عرفان الأرق الشريف في حوائج المربوبين، والسهاد المقدس في مناجاة رب العالمين، هو عرفان الثورة الجاهرة على ركام الواقع الاليم، كما هو عرفان السكون المتأمل في تجليات المبدع العظيم، وهو عرفان الصحوة الرشيدة التي يبدعها العقل الخلاق، والقلب المستهام بالعطاء الوتر، والمواقف الكبرى في الترشيد والتسديد، والتضحيات الجسام للتغيير في مساحات الفريضة الاسمى (الامر بالمعرف والنهي عن المنكر).

٦ ـ العرفان الصدري هو صرخة الجهاد الاعظم في: (كلمة حق عند سلطان جائر)، كما هو تمتمات الذكر الخاشع في خلوة القلب المجذوب الشاعر.

٧ ـ العرفان الصدري هو الركوع لله في فرض السماء، تفوقها ركعة الشموخ في صلاة الاباء، وهو السجدة المستغرقة في منتهى لذة السجود، لا تداني حرمة الرفض للارغام امام ما سوى المعبود.

٨ ـ العرفان الصدري هو تلك القروح الدامية في طريق ذات الشوكة، والدموع السجوم لاشجان الأمة، والنصب المشحون بالآلام في مسيرة العطاء والفداء، والتركاض الدؤوب الجاهد في رد عادية الضلال والمضلين، والسهاد المقدس في فكرة الاقتحام البارع للاهوال الرابية في مشروع الخلاص.

٩ ـ العرفان الصدري هو العزوف الفذ عن التراتيل الخاوية في زوايا المحاريب المهزومة، والرفض القاطع للاصطلاحات الضاوية في معمعة الالفاظ الحاشدة في ترف الفكر الخانع المأنوس بالكلمات المنمقة حول فذلكة السلوك، وتقسيمات النفس، وشرح الحال في اعذب مقال، وتحشيد العبارات المدلسات حتى بتأويل داعر للآيات والروايات.

١٠ ـ العرفان الصدري هو الكفر الحاسم بخداع النفس الامارة في تسويلات الاماني الغاوية والاوهام الساهية في روضة الدعة والامان من فتنة الشيطان في مخاضات الواقع ومقاومة السلطان.

١١ ـ العرفان الصدري هو الوصال الابهي برب الارباب من معارج الافلاذ المرشوشة على ساحة النضال الاقدس في ريادة الركب على منابت الجمر اللافح، ولسع الافاعي، وسهام التهمة الباغية، وأهوال الوعيد المأزوم بالغيظ الفاقر، ومناهل الحنظل المترعة بفرط المرارة، والقروح اليقظى المشبوبة بملح الاثارة الغضوب، وفظاعة الرعب المبثوث حول الهمة في مرأى الاغلال والسياط والمقاصل.

١٢ ـ العرفان الصدري هو عمق المراد في وحي الله للعارفين:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

حيث أوسمة الرضا ومقاعد الرضوان في سبحات المتابعة والمشايعة على مدى الليل والنهار بلا فتور ولا قرار، تدمى فيها الخطى، وترعف القلوب، وتأرق العيون، وتكون سهرات الشجى في نديّ التهمام والآلام لذة السالكين الموقنين بأنهم صفوة الله الذين حباهم بلوعة المسؤولية المصون، ومكابدة الواجب المقدس، والعيش النازه للاخرين، والخلو من هاجس الذات، وتجرع العلقم المرهون بالاصطبار في مقاومة النزعات، والرغبات، والخروج من ظلمة الانا الى لجة النور في افق الايثار حتى مع الخصاصة.

١٣ ـ العرفان الصدري هو وثبة الروح الصدرية منذ بواكير انطلاقتها في حومة الهيام المغروس في العمق الطاهر المجبول على السلامة والنزاهة، يوم كانت في صبا الصدر الوادع البريئ مضرب الامثال في الرصانة، والمتانة، والشغف المشهود بالكمال، والذكر الدائب للحق، والممارسة البرعمية الفاردة في رحاب الذود عن حياض الحقيقة بالمستطاع من طاقة الدفاع التي بهرت

عقول الكبار العاملين، فانطقت السنتهم بالثناء على الصدر اليافع الامين.

١٤ ـ العرفان الصدري هو ثورة الولع بخدمة الله وشريعته قبل اي شيئ من افانين المخدوم في حياة الاسوياء وغيرهم، فحيث (تكون للضرورات الطبيعية الانسانية احكامها اللازمة والقاهرة احيانا، فمتطلبات الحياة والتزاماتها هي من السنن العامة التي لا يفلت منها الا النادر، ولا يحدّ من غلوائها وسلطانها الا القلة الذين اقتحموا اسوار قهرها وغلبتها بما لديهم من المبادئ والقيم والاصول التي يرونها هي قيمة الانسان الحقيقية التي يجب ان ينذر حياته لها محررة خالصة، وان ما سواها من شؤون الحياة انما هي جسور ووسائل لاداء رسالة تلك القيم العلية، وابراز تلك الفضائل الشامخة، وتجسيد تلك المبادئ الكريمة التي لولاها لعادت الدنيا بيداء قاحلة من معاني الخلوص والصفاء والتحرر من اغلال الانا، وتقديم القيمة العليا على المطالب الهابطة.

كان شهيدنا العظيم السيد محمد باقر الصدر قد جعل همه خدمة الله وشريعته، واداء الرسالة المفروضة ببذل المستطاع من اجل هذا المحور الاساس الذي يرى ان حياة المؤمن السوي يجب ان تدور حوله بمنتهى الصدق والحرص والانقطاع والمثابرة، ما دام ذلك هو التجلي الحقيقي لمبدأ الخلافة التي زين الله بوسامها صدر الانسان المستخلف بوظيفة العبادة العاملة التي تعمر الارض بهدى الله، وتغمرها بانوار رسالته، وتسددها برشاد وحيه.

لقد نسي او تناسى ذاته وغرائزها، او اعرض عنها بصرامة، مؤجلا الاصغاء الى نداءاتها التي دعت غيره فاجابوا، واقاموا كياناتهم المطلوبة من زواج، واسرة، وتشكيل وجود تفرضه الغريزة ودواعي الفطرة، اما هو فقد رأى في تلك الضرورات مشاغل او مثبطات او مصادر ارباك لانطلاقة التوجه الصادق لاداء حق الهدف المقدس، معتبرا ان وسيلة الرضوان المثلى هي

الخدمة الرسالية التي تلح عليه ان يذر جانبا هموم دنياه الاخروية ومسؤوليته ازاء فرض الله على امثاله من الشامخين الذين اصطنعهم الله لنفسه، اولئك الذين وصل بهم الامر كما وصل بالصدر الى حد ان يعتبروا السعي في خدمة الله والعباد الى قمة التضحية والفداء هو غاية الواجب، ولا يكون اداؤها الا بغاية البذل المفروض على امثالهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة: ١١١].

وان يروا ان البدائل لمصاديق هذا المسار هي البدائل المستقبحة في منطق القرآن:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وحين يحس هؤلاء بانهم باعوا انفسهم لربهم، وصدقوا ما عاهدوه عليه، وانهم حققوا دلائل الايمان الصادق في القيام بالتكليف المطلوب، سمحوا لانفسهم بعد ذلك ان تنال نصيبها من الحياة الدنيا، ولم يمكنوها طبعا من ان تستهلك في ذلك النصيب، او تستغرق في مطالبه واهتماماته واستحقاقاته التي ربما كانت لغيرهم دروبا من الانشغال مع الاذى والمعاناة الدنيوية، والمكابدة على طريق النتائج التي افرزتها دواعي الاهتمام بذلك النصيب.

لقد ادى الصدر قبل ان يستجيب لنداء النفس المطالبة بحقوقها غاية المستطاع من مراد الشريعة ووظيفة المسؤولية الكبرى التي انشغل بها وبهمومها ايما انشغال، فمشى مع مشروعه الفكري في بديعتيه (فلسفتنا

واقتصادنا) لينصر ايديولوجية الاسلام بابهى فتح فكري شامخ، اظهرها على حقيقتها اعجوبة الاعاجيب في الرصانة والمتانة والشموخ، وابدى ما سواها على واقع الزيف والتفاهة والخداع، ثم مشى في منحاه السياسي الرائد وعلى قاعدة (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال) فاسس العمل التنظيمي الذي كان ضرورة العصر، واستحقاق المرحلة، وفن المواجهة، فكان حزب الدعوة الذي اراد له ان يكون فرس الرهان السياسي القادر على اللحاق في مضمار السباق الذي نشطت به التنظيمات الغاوية التي استغلت لاهدافها السود جهل الامة، وانخداعها، وظروف هزيمتها، واستعمارها، وتمزقها.

وانطلق على صعيد الحوزة التي يرى فيها حاضنة العمل الرسالي، ومرشده، ومرجعيته، وسنده الفكري والفقهي، فتحرك بفاعلية ذكية بواسطة خاله الشيخ مرتضى آل ياسين في تأسيس جماعة العلماء، واصدار مجلتها رسالة الاسلام، وابدع في الكتابة فيها ايما ابداع.

وبعد ان احس الصدر انه قد ادى بعض واجبه في هذه الخطوات العملاقة اباح لنفسه ان تتوجه الى حقها الفطري في شأن الزواج عن عمر يناهز العقد الثالث. والغريب الذي بهر زوجته عقيلة آل الصدر (ام جعفر) انه حتى فيما يسميه الناس شهر العسل كان مشغولا بكتابة المبادئ الرئيسية لفريدته، فريدة الفكر الديني الاسلامي (الاسس المنطقية للاستقراء) وحين تسأله هي من دهشتها او اعجابها بهذا الموقف عن سر انشغاله بهذا الامر الذي يستدعي طبعا قمة الفكر والوعي والانقطاع الذهني – يقول لها: (انني لا استطيع ان اتخلى عن مسؤولية القلم على اية حال، في اوقاتي السعيدة او الحزينة).

انه منطق فريد من التعامل مع النفس ومتطلباتها من نموذج انساني فريد في واقعه يصل به الامر الى ان تسمع منه زوجته ما يذهلها حين يقول

لها: (ان هذه الصلاة التي اصليها، وهذه السجدة التي اجد فيها غاية لذتي وبهجتي هي كسب شخصي، واذا نظرت اليها انها مصداق عبادتي متناسيا ما هو اهم منها من حق امتي وقضيتي، كنت انانيا لا ارى الا ذاتي ومصلحتي). " الرياحين ـ ١٤ ـ مذكرات أسرة الشهيد الصدر"

١٤ ـ عرفان الصدر هو شبوات همومه لله ورسالته وامته في عنفوان الحضور، والحاح المكابدة، وهونزف خطاه على سبيل المواصلة الشامخة في اتون الخطوب، وصاب كأسه الدهاق من الصبر العجاب تمززها ولم يسغها، واثقاله الباهظة من جبال الرفض والمقاومة، ونبذ المساومة على شفير المنية عند المنحر الرهيب، مخيرا بين السلة والذلة، ليسمع من فم التأسي المجيد ترنيمة الخلود:

(لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل، ولا اقر لكم اقرار العبيد...)

ويبصر في محفل الامجاد والمكرمات الطائفة بوقفة العز في كربلاء – مشهد السبط الصريع تحف به ملائكة الاكبار والاجلال، تهزج بانشودته الساحرة تشنف سمع الدهور والاجيال:

(لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين الا برما.....)

ويستاف الصدر من روضة الطف شميم الكبرياء وعبق الاباء، فتتسامى به آصرة الدين والدم، وقداسة المسؤولية الى افق الاحساس المهيب بفرض التجديد، والاعادة، وصياغة الاعجاز في التناظر العجيب بين يوم كربلاء في القرن السابع ويوم النجف في القرن العشرين.

١٥ ـ اذا كان العرفان الصدري الذي اذاب مثاله الفريد في حب الله كما يذوب العبير في الاثير، وجمع قلب المدلّه المستهام بالتوحيد الخالص في وحدة عجيبة، تمحض فيها شعور الصدر للعشق والصدق، وملأ روحه بهاجس الرعب من حب الدنيا، ومن مظنة الخلاف بل وهم الانحراف في

اغوار المسار، ومنعرجاته، واعطافه، وابتلاءاته، فالزم نفسه صرامة تقواها كما اراد من سوّاها، وحذر نفوس غيره معرة المزالق الدنيوية المخاتلة، ومداحض الهوى المترصدة، ومصائد الزخرف الفاتنة المتربصة على الطريق، تنتظر بالحبائل الخادعة من أمنوها بحسن الظن بانفسهم، وبالغفلة عن عللها الكامنة في اعماق لاشعورهم، محفوفة بصواعق العقد النفسية، والصدمات الدفينة، والازمات المكبوتة ـ اذا كان هذا العرفان محتاجا الى الشاهد الحي من كلمات الصدر وبياناته الشافية فحسبه شاهدا تلك المحاضرة الاعجوبة التي كانت فلتة الوعظ المعاصر، جادت بها قريحة الصدر من معدن حبه وعقله وضميره، فبقيت مشاعل وقادة من كبد الحقيقة لا تخبو، ودروسا نفّاحة من علم اليقين بلا نفاد، ووصية وهّابة كأنها فيض الندى، منداحة العطاء على كل المدى.

فهلمّ نستمع بقلوب متدبرة الى هذه المحاضرة التي انطلقت مسترسلة على سجيتها من معدن الطهر والخشوع والصفاء، معبأة بروح الحرص الشفيق، والصراحة الودود، والعفوية البريئة، والانسياب الشفيف، وبساطة الخطاب:

(....ننصرف الآن من منطقة الفكر الى منطقة القلب، من منطقة العقل الى منطقة الوجدان. خاصة ان هذا اليوم هو اليوم الاخير، سوف اودعكم فيه..... اريد ان نعيش معا لحظات بقلوبنا لا بعقولنا فقط، بوجداننا، بقلوبنا، نريد ان نعرض هذه القلوب على القرآن الكريم..... في هذه اللحظات الاخيرة، لحظات الوداع معكم، نعرض قلوبنا على القرآن الكريم، لمن ولاء هذه القلوب؟ ما هو ذلك الحب الذي يسودها ويمحورها ويستقطبها؟.

ان الله سبحانه وتعالى لا يجمع في قلب واحد ولاءين، لا يجمع حبين مستقطبين، إما حب الله، وإما حب الدنيا، أما حب الله وحب الدنيا معا فلا

يجتمعا ن في قلب واحد، فلنرجع الى قلوبنا لنمتحنها، هل تعيش حب الله سبحانه وتعالى؟، او تعيش حب الدنيا؟ فان كانت تعيش حب الله زدنا ذلك تعميقا وترسيخا، وان كانت – نعوذ بالله ـ تعيش حب الدنيا حاولنا ان نتخلص من هذا الداء الوبيل، من هذا المرض المهلك.

ان كل حب يستقطب قلب الانسان يتخذ احدى صيغتين واحدى درجتين:

الدرجة الاولى: ان يشكل هذا الحب محورا وقاعدة لمشاعر وعواطف وآمال وطموحات هذا الانسان، قد ينصرف عنه في قضاء حاجة في حدود خاصة،ولكن يعود، سرعان ما يعود الى القاعدة لانها هي المركز، وهي المحور، قد ينشغل بحديث، قد ينشغل بكلام، قد ينشغل بعمل، بطعام، بشراب بمواجهة، بعلاقات ثانوية، بصداقات، لكن يبقى، ذاك الحب هو المحور، هذه هي الدرجة الاولى.

والدرجة الثانية من الحب المحور، ان يستقطب هذا الحب كل وجدان الانسان بحيث لا يشغله شيئ عنه على الاطلاق، ومعنى انه لا يشغله شيئ عنه: انه سوف يراه، سوف يرى محبوبه قبلته، وكعبته، اينما توجه، اينما توجه سوف يرى ذلك المحبوب، هذه هي الدرجة الثانية من الحب المحور.

هذا التقسيم الثنائي ينطبق على حب الله، وينطبق على حب الدنيا، حب الله سبحانه وتعالى، الحب الشريف لله المحور يتخذ هاتين الدرجتين:

الدرجة الاولى يتخذها في نفوس المؤمنين الصالحين الطاهرين الذين نظفوا نفوسهم من اوساخ هذه الدنيا الدنية، هؤلاء يجعلون من حب الله محورا لكل عواطفهم، ومشاعرهم، وطموحاتهم، وامالهم. قد ينشغلون بوجبة طعام، بمتعة من المتع، بلقاء مع صديق، بتنزه في شارع، ولكن يبقى هذا هو المحور الذي يرجعون اليه بمجرد ان ينتهي هذا الاشتغال الطارئ.

واما الدرجة الثانية فهي الدرجة التي يصل اليها أولياء الله من الانبياء والائمة عليهم افضل الصلاة والسلام. علي بن ابي طالب الذي نحظى بشرف مجاورة قبره، هذا الرجل العظيم كلكم تعرفون ماذا قال، هو الذي قال:

ما رأيت شيئا الا ورأيت الله معه، وقبله، وبعده، وفيه، لان حب الله في هذا القلب العظيم استقطب وجدانه الى الدرجة التي منعته من ان يرى شيئا غير الله، حتى حينما كان يرى الناس، كان يرى فيهم عبيد الله، حتى حينما كان يرى النعمة الموفورة كان يرى فيها نعمة الله سبحانه وتعالى، دائما هذا المعنى الحرفي، هذا الربط بالله دائما وابدا يتجسد امام عينيه، لان محبوبه الاوحد ومعشوقه وقبلة اماله وطموحاته لم يسمح له بشريك في النظر، فلم يكن يرى الا الله سبحانه وتعالى. هذه هي الدرجة الثانية.

نفس التقسيم الثنائي يأتي في حب الدنيا، الذي هو رأس كل خطيئة على حد تعبير رسول الله ﷺ، حب الدنيا يتخذ درجتين:

الدرجة الاولى: ان يكون حب الدنيا محورا للانسان، قاعدة للانسان في تصرفاته وسلوكه. يتحرك حينما تكون المصلحة الشخصية في ان يتحرك، ويسكن حينما تكون المصلحة الشخصية في ان يسكن، يتعبد حينما تكون المصلحة الشخصية ان يتعبد، وهكذا الدنيا تكون هي القاعدة، لكن احيانا ايضا يمكن ان يفلت من الدنيا، يشتغل اشغالا اخرى نظيفة طاهرة، قد يصلي لله سبحانه وتعالى، ويصوم لله سبحانه وتعالى، لكن سرعان ما يرجع مرة اخرى الى ذلك المحور وينشد اليه، فلتات يخرج بها من اطار ذلك الشيطان، ثم يرجع الى الشيطان مرة اخرى، هذه درجة اخرى من هذا المرض الوبيل مرض حب الدنيا، درجة اولى من هذا المرض الوبيل، مرض حب الدنيا.

واما الدرجة الثانية: من هذا المرض الوبيل فهي الدرجة المهلكة، حينما يعمي حب الدنيا هذا الانسان، يسد عليه كل منافذ الرؤية، يكون بالنسبة الى

الدنيا كما كان سيد الموحدين وامير المؤمنين بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى: لم يكن يرى شيئا الا وكان يرى الله معه وقبله وبعده. حب الدنيا في الدرجة الثانية يصل الى مستوى بحيث ان الانسان لا يرى شيئا الا ويرى الدنيا فيه، وقبله، وبعده، ومعه، حتى الاعمال الصالحة تتحول عنده وبمنظاره الى دنيا، تتحول عنده الى متعة، الى مصلحة شخصية، حتى الصلاة، حتى الصيام، حتى البحث، حتى الدرس، هذه الالوان كلها تتحول الى متعة، الى دنيا، لا يمكن ان يرى شيئا الا من خلال الدنيا، الا من خلال مقدار ما يمكن لهذا العمل ان يعطيه من حفنة مال او كومة جاه، لا يمكن ان يستمر معه الا بضعة ايام معدودة.هذه هي الدرجة الثانية

وكل من الدرجتين مهلكة، والدرجة الثانية اشد هلاكا من الدرجة الاولى، ولهذا قال رسول الله: (حب الدنيا رأس كل خطيئة). قال الامام الصادق عليه الصلاة والسلام: (مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.)

كلما شرب اكثر فاكثر من ماء البحر اصبح اكثر عطشا، لا تقل: خذ هذه الحفنة من الدنيا ثم انصرف عنها، فلْأحصل على هذه المرتبة من جاه الدنيا ثم انصرف الى الله، ليس الامر كذلك، فان اي مقدار تحصل عليه من مال الدنيا، من جاه الدنيا، من مقامات هذه الدنيا الزائلة سوف يزداد بك العطش والنهم الى المرتبة الاخرى، الدنيا كماء البحر (الدنيا رأس كل خطيئة).

رسول الله يقول: (من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيئ.) هذا الكلام يعني قطع الصلة مع الله، يعني ان ولائين لا يجتمعان في قلب واحد، من كان ولاؤه للدنيا من اصبح وهمه الدنيا فليس له من الله شيئ، ليس له صلة مع الله سبحانه وتعالى، لان ولاءين لا يجتمعان في قلب واحد.

(حب الدنيا رأس كل خطيئة) لان حب الدنيا هو الذي يفرّغ الصلاة من

معناها، يفرغ الصيام من معناه، يفرغ كل عبادة من معناها، ماذا يبقى من معنى لهذه العبادات اذا استولى حب الدنيا على قلب الانسان؟

حب الدنيا رأس كل خطيئة وحب الله سبحانه وتعالى اساس كل كمال، حب الله هو الذي يعطي للانسان الكمال، العزة، الشرف، الاستقامة، النظافة، القدرة على مغالبة الضعف في كل الحالات. حب اله سبحانه هو الذي جعل اولئك السحرة يتحولون الى رواد على الطريق، فقالوا لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

كيف قالوا هكذا؟، لا ن حب الله اشتعل في قلوبهم.

حب الله هو الذي جعل عليا عليه الصلاة والسلام دائما يقف موقف الشجاعة، مواقف البطولة، هذه الشجاعة، شجاعة علي ليست شجاعة السباع، ليست شجاعة الاسود، وانما شجاعة الايمان وحب الله، لماذ؟ لان هذه الشجاعة لم تكن فقط شجاعة البراز في ميدان الحرب، بل كانت احيانا شجاعة الرفض، احيانا شجاعة الصبر.

علي بن ابي طالب ضرب المثل الاعلى في شجاعة المبارزة في ميدان الحرب، شد حزامه وهو ناهز الستين من عمره الشريف، وهجم على الخوارج وحده، فقاتل اربعة الاف انسان، هذه هي قمة الشجاعة في ميدان المبارزة، لان حب الله اسكره فلم يجعله يلتفت الى ان هؤلاء اربعة الاف وهو واحد.

وضرب قمة الشجاعة في الصبر، في السكوت عن حقه حينما فرض عليه الاسلام ان يصبر عن حقه وهو في قمة شبابه، لم يكن في شيخوخته كان في قمة شبابه، كانت حرارة الشباب ملء وجدانه، ولكن الاسلام قال له: اسكت، اسكت، اصبر عن حقك حفاظا على بيضة الدين، ما دام هؤلاء يتحملون حفظ الشعائر الظاهرية للاسلام وللدين، وكان هذا قمة الشجاعة في

الصبر ايضا، هذه ليست شجاعة الاسود، هذه شجاعة المؤمن الذي اسكره حب الله.

ان ذلك الاحتراق لم يكن من اجل ذاته، وانما كان من اجل الله سبحانه وتعالى.

اذن هذه الشجاعة شجاعة البراز في يوم البراز، وشجاعة الصبر في يوم الصبر، وشجاعة الرفض في يوم الرفض، هذه الشجاعة خلقها في قلب علي حبه لله، لا اعتقاده بوجود الله، هذا الاعتقاد الذي يشاركه فيه فلاسفة الاغريق ايضا، ارسطو ايضا يعتقد بوجود الله، افلاطون ايضا يعتقد بوجود الله، الفارابي ايضا يعتقد بوجود الله، ماذا صنع هؤلاء للبشرية؟ وماذا صنعوا للدين او للدنيا؟ ليس الاعتقاد، وانما حب الله اضافة الى الاعتقاد.

هذا هو الذي صنع هذه المواقف، ونحن اولى الناس بان نطلّق الدنيا، اذا كان حب الدنيا خطيئة فهو منا نحن الطلبة من اشد الخطايا، هذا الشيئ الذي هو خطيئة من غيرنا هو اكثر خطيئة منا، نحن اولى من غيرنا بان نكون على حذر من هذه الناحية اولا: لاننا نصبنا انفسنا ادلاء على طريق الاخرة. ما هي مهمتنا في الدنيا؟، ماهي وظيفتنا في الدنيا؟، اذا سألك انسان: ماذا تعمل؟، ما هو مبرر وجودك؟، ماذا تقول؟ تقول اني اريد ان اشد الناس الى الاخرة، الى عالم الغيب، الى الله سبحانه وتعالى. اذن كيف تقطع دنياك عن الاخرة اذا كانت دنياك مقطوعة عن الاخرة؟!، فستشد دنيا الناس الى دنياك لا الى اخرة ربك، سوف نتحول الى قطاع طريق، ولكن اي طريق؟ الطريق الى الله لا طريق ما بين بلد وبلد، هذا الطريق الى الله نحن رواده، نحن القائمون على الدلالة اليه، على الاخذ بيد الناس فيه، فلو اننا اغلقنا باب هذا الطريق، لو اننا تحولنا عن هذا الطريق الى طريق اخر، اذن سوف نكون حاجبا عن الله، حاجبا عن اليوم الاخر.

كل انسان يستولي حب الدنيا على قلبه يهلك هو، اما الطلبة اما نحن اذا استولى حب الدنيا على قلوبنا سوف نهلك ونُهلك الاخرين، لاننا وضعنا انفسنا في موضع المسؤولية، في موضع ربط الناس بالله سبحانه وتعالى، والله لا يعيش في قلوبنا. اذن سوف لن نتمكن من ان نربط الناس بالله.

نحن اولى الناس واحق الناس باجتناب هذه المهلكة، لاننا ندعي اننا ورثة الانبياء والاولياء، اننا السائرون على طريق محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام.

السنا نحاول ان نعيش شرف هذه النسبة؟ هذه النسبة تجعل موقفنا ادق من مواقف الاخرين، لاننا نحن حملة اقوال هؤلاء وافعال هؤلاء، اعرف الناس باقوالهم واعرف الناس بافعالهم، الم يقل رسول الله: انّا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا عقارا، انما نورث العلم والحكمة؟، الم يقل علي ابن ابي طالب عليه السلام: ان امارتكم هذه — او بتعبير اخر يساوي هذا التعبير ـ ان امارتكم هذه او خلافتكم هذه لا تساوي عندي شيئا الا ان اقيم حقا او ادحض باطلا؟ الم يقل علي بن ابي طالب ذلك؟ الم يجسد هذا في كل حياته؟.

علي بن ابي طالب كان يعمل لله سبحانه وتعالى، لم يكن يعمل لدنياه، لو كان علي يعمل لدنياه لكان اشقى الناس، واتعس الناس، لان عليا حمل دمه على يده منذ طفولته، منذ صباه، يذب عن وجه رسول الله، وعن دين الله، وعن رسالة الله، لم يتردد لحظة في ان يقدم، لم يكن يحسب للموت حسابا، لم يكن يحسب للحياة حسابا، كان دمه دائما على يده، كان اطوع الناس لرسول الله في حياة رسول الله بعد رسول الله، كان اكثر عملا في سبيل الدين، ومعاناة من اجل الاسلام.

ماذا حصل عليه علي بن ابي طالب؟ لو جئنا الى مقاييس الدنيا، ماذا حصل عليه هذا الرجل العظيم؟ الم يُقْص هذا الرجل العظيم؟ الم يكن

جليس بيته فترة طويلة من الزمن؟ الم يُسب هذا الرجل العظيم الف شهر على منابر المسلمين التي اقيمت اعوادها بجهاده، بدمه، بتضحياته؟....اذن لم يحصل على شيئ من الدنيا، لا على حطام، ولا على مال،ولا على منصب، ولا على ثناء، ولا على تقدير، ولكنه على الرغم من ذلك حينما ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه ماذا قال هذا الامام العظيم؟ قال: (فزت ورب الكعبة.)

لو كان علي يعمل لدنياه لقال: والله اني اتعس انسان لاني لم احصل على شيئ في مقابل عمر كله جهاد، كله تضحية، كله حب لله، لكنه لم يقل ذلك، قال: (فزت ورب الكعبة.) انها والله الشهادة، لانه لم يكن يعمل لدنياه، كان يعمل لربه، والان لحظة اللقاء مع الله، هذه اللحظة هي اللحظة التي سوف يلتقي بها علي مع الله سبحانه وتعالى فيوفيه حسابه، ويعطيه اجره، يعوضه عما تحمل من شدائد، عما قاسى من مصائب.

اليس هذا الامام هو مَثلنا الاعلى؟، اليست حياة هذا الامام هي السنة؟، اليست مصادر التشريع عندنا الكتاب والسنة؟، هي قول المعصوم وفعله وتقريره؟.

نحن اولى الناس بان نحذر من حب الدنيا لانه لا دنيا عندنا لكي نحبها، ماذا نحب؟ نحب الدنيا؟، نحن الطلبة ما هي هذه الدنيا التي نحبها، ونريد ان نغرق انفسنا فيها، ونترك رضوانا من الله اكبر؟ نترك ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا اعترض على خيال بشر، ما هي هذه الدنيا؟

هذه الدنيا هي مجموعة من الاوهام، كل دنيا وهم، دنيانا اكثر وهما من دنيا الاخرين، مجموعة من الاوهام. ماذا نحصل من الدنيا الا على قدر محدود جدا؟ لسنا نحن اولائك الذين نهبوا اموال الدنيا، وتحدثنا عنهم قبل ايام، لسنا نحن اولئك الذين تركع الدنيا بين ايدينا لكي نؤثر الدنيا على

الاخرة.

دنيا هارون الرشيد كانت عظيمة..... نقيس انفسنا بهارون الرشيد، هارون الرشيد نسبه ليلا ونهارا، لانه غرق في حب الدنيا، لكن تعلمون اي دنيا غرق فيها هارون الرشيد؟، اي قصور مرتفعة عاش فيها هارون الرشيد؟، اي بذخ وترف كان يحصل عليه هارون الرشيد؟، اي زعامة وخلافة وسلطان امتد مع ارجاء الدنيا حصل عليه هارون الرشيد؟. هذه دنيا هارون الرشيد.

نحن نقول باننا افضل من هارون الرشيد، اورع من هارون الرشيد، اتقى من هارون الرشيد، عجبا!، نحن عُرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها حتى نكون اورع من هارون الرشيد؟

اولادي، يا اخواني، يا اعزائي، يا ابناء علي، هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد؟

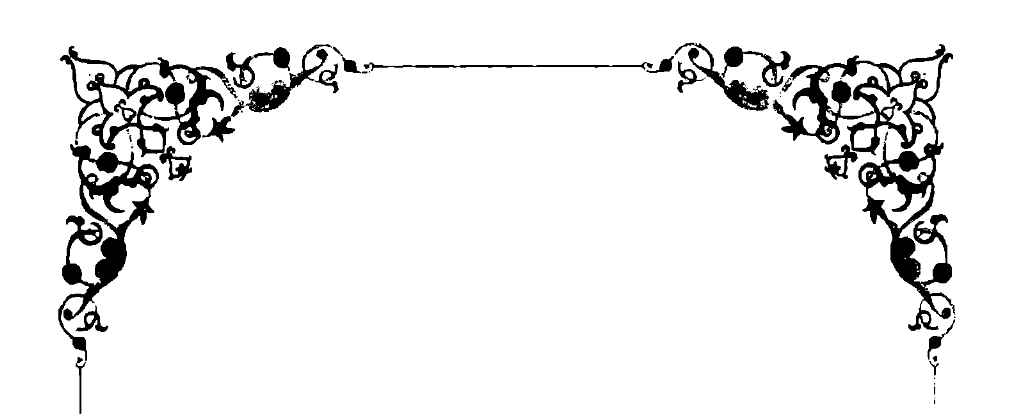
لا، عُرض علينا دنيا هزيلة ضئيلة، دنيا ما اسرع ما تتفتت!، ما اسرع ما تزول!، دنيا لا يستطيع الانسان ان يتمدد فيها كما كان يتمدد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت الى السحابة يقول لها: اينما تمطرين ياتيني خراجك، في سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر، هل جربنا ان هذه الدنيا تأتي بيدنا ثم لا نسجن موسى بن جعفر؟ جربنا انفسنا؟... طرحنا هذا السؤال على انفسنا؟.

كل واحد منا يطرح هذا السؤال على نفسه بينه وبين الله.

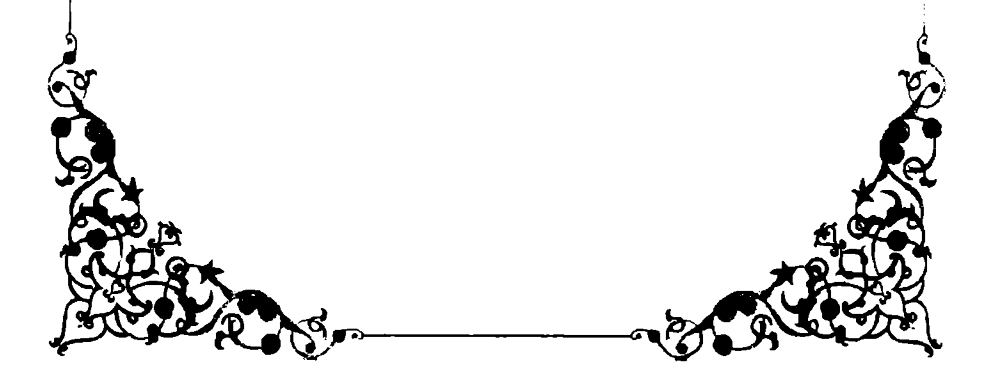
ان هذه الدنيا دنيا هارون الرشيد كلفته ان يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا امامنا لكي نفكر في اننا اتقى من هارون الرشيد؟

ما هي دنيانا؟ هي مسخ من الدنيا، هي اوهام من الدنيا، ليس فيها حقيقة الا حقيقة رضا الله سبحانه وتعالى.... كل طلبة حاله حال علي بن ابي طالب، اذا كان يعمل للدنيا فهو اتعس الناس، لان ابواب الدنيا مفتوحة،

خاصة اذا كان الطلبة له قابلية، له امكانية، له ذكاء، له قابليات، هذه ابواب الدنيا مفتوحة له، اذا كان يعمل للدنيا فهو اتعس الناس، لانه سوف يخسر الدنيا والاخرة...(فليكن همنا ان نعمل للاخرة، ان يعيش في قلوبنا حب الله سبحانه وتعالى بدلا عن حب الدنيا.) ”



الشهيد الصدر والإمام الخميني



ان هذين العَلَمين الشامخين هما في الواقع مفخرة الدين الحق، ومعجزة الوعي الرسالي المعاصر الذي استنطق اصالة الاسلام حقيقة المراد، فالهمته منهج الثورة، وروح التغيير في حقيقة المطلوب من وظيفة العالم الرسالي المؤتمن على دور الريادة الشاهدة، القائمة على واجب الاداء الرشيد لمسؤولية الربانيين الذين استحفظوا زمام الامور في عصر الغيبة، خلفاء لحجة الله التي كتب لها كرامة الخلاص الشامل على يدها في اليوم الموعود.

وقد وشجت بين العملاقين وشائج القربى في الدم، والعلم، والنهج، والمهمة، وظهرت بينهما جلية مشتركات الصُلب الموروث، والفكر الاصيل، والمسار الجديد، والممارسة القيادية على طريق الهدف المقدس (اقامة الدولة الاسلامية)، وقد عُجنت روحاهما الطاهرتان بهذا التشاكل السامي في مخاض الفهم السديد، والتعاطي الصادق مع هذا الفهم الملزم بلوازم الانقياد والمتابعة الى ذروة المنشود في التكليف والخروج من العهدة.

وحين نستخبر الواقع الصدري مواقف الصدر ازاء الراحل الكبير الامام الخميني ـ قدس سره ـ وثورته المباركة، وفريدتها الكريمة (الجمهورية الاسلامية) نجد البدائع والروائع التي توحدت في محافل الفخار باوسمة النبل والصدق، حين انبثقت لدى الصدر من معدن الطهر، والخلوص، والايثار، والفداء، وتحكيم امر الله ومبتغاه على نوازع النفس، ومشتهيات الذات، ومسلكية التعامل القائم، وطبع السياقات المعهودة في مسارات الهجر والجفاء والتحاسد.

لقد وقف الصدر الملتزم المعتصم بذمام الحق اعجب المواقف وانبلها ازاء ملحمة الامام الثائر التي انطلقت من دينه ووجدانه ومسؤوليته، ليلدها اللطف الالهي بديعة القرن العشرين في تواليه الجذلى التي بشرت طلائع

القرن الجديد بهذا الوليد الفريد الذي طبقت حادثة ظهوره الوتر مديات الخافقين بالذهول الصاعق، واخذ انجازها بمجامع العقول التي احتشدت عند يوم الزينة الفرعوني لتشهد ـ فيتو ـ الكفرالصارم على عودة الاسلام وهو يداس بقدم الارادة القاهرة التي تجلت في جهود الوارث الامين ابي احمد الذي راح يوقد قلبه السليم مشاعل لامته على طريق الخلاص، ويكحل عينه بالسهاد الشريف حرصا واشفاقا، ويجتهد في سعيه على درب التضحيات، جاعلا من وجوده الوقورالصبورهدفا للنوائب، وغرضا للملمات، ومرمى للمزعجات.

ان قضية الصدر مع ثورة الامام الخميني قضية فاردة، تميزت بالصدق مع الله والضمير والامانة، فبدت محيرة للالباب كما هو شأن نبعها السلسال (قيم الصدر المثلى)، وكما هو شأن محورها وموضع تكليفها (ثورة الامام).

وقد تجسدت كرامة من كرامات الانقياد للواجب عند الصدر المتمحض للطاعة المستغرقة، على سجية الاحرام الواصب الذي استحوذ على عمره الشريف بسلطة الوصال الدائم في ذروة العرفان العملي المتين.

لقد كان من ابرز مظاهر المعاضدة الباهرة التي جسد بها الصدر فريضة الاسناد لثورة الاسلام وقائدها:

اولاً: الاندفاع الشغوف الى اظهار الحماية للثورة وقائدها وامته منذ الخطوة الاولى التي خطاها على طريق التحرير، فحين تم اعتقاله ونفيه الى تركيا، حيث جاء مختارا الى عرين العلم في النجف الاشرف ـ هب الصدرعلى شوقه العارم الى ان يضع يد المساندة الصدوق في يد القائد المضطهد، وكان في طليعة المستقبلين للامام الخميني القادم من منفاه الى مهجره الكريم الذي رجا ان يجد فيه عائدة الايواء، والعون، وامكان المواصلة.

وظل الصدر بعد الاستقبال يصل قلبه بقلب المهاجر العظيم، ويشد مشاعره بمشاعره، ويربط الخيوط بمسيرته بشتى الوسائل والسبل التي استخفى اكثرها، ولم يظهر منها الا النادر القليل الذي اهمه حضور بعض تلامذة الصدر درس الامام الخميني الذي عرفته الحوزة بانه درس الثورة وولاية الفقية والتغييرالاسلامي، ولذلك تحسس منه الكثير من اوساطها التى كانت تناهض فكرة العمل السياسي، واساليب التغيير الثوري، وشرعية القيام المؤدي الى بذل الدماء، وتقديم الضحايا والقرابين، لانها كانت معبأة بمنهجية الانتظار التي تعتمد على اركانها الثلاثة:

وجوب التقية الصارم بلا حدود ولا استثناء.

حرمة القاء النفس في التهلكة.

رفض اية راية هادية تقوم قبل راية الامام المنتظر.

ثانياً: كلمات التمجيد والاطراء الشامخة التي انطلقت من لسان الصدر المعصوب بضميره، وقد كانت اوفى الكلمات ثناء على الثائر وثورته، وفاقت حتى كلمات الانصار والاولياء من حوارييه ورجاله، ومن يستمع اليها يجد فيها حرارة الحب، وبراعة الاكبار، وبديعة الايثار، وروح التواضع. ويعجب المتأمل فيها لظاهرة الانسلاخ الذي مارسه الصدر من ذاته، ووجوده، وجنوده، واوسمته، ليضعها كلها في خدمة الفاتح الظافر الذي رفع اللواء الطريح، وحقق النصر المؤزر، وابدع الانجاز الذي انتظرته الآمال والطموحات عبر العصور.

انه رضوان الله عليه يقول لتلاميذه ومريديه في رسالة جامعة معبرة اروع تعبير عن مضمون ولائه للثورة الاسلامية، ودعمه لقائدها العظيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

اولادي واعزائي حفظكم الله بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

اكتب اليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حقق فيها الاسلام نصرا حاسما وفريدا في تاريخنا الحديث على يد الشعب الايراني المسلم، وقيادة الامام الخميني دام ظله، وتعاضد سائر القوى الخيرة من العلماء الاعلام، فاذا بالحلم يصبح حقيقة، واذا بالامل العظيم يتحقق، واذا بالافكار تنطلق بركانا على الظالمين لتتجسد، وتقيم دولة الحق والاسلام على الارض، واذا بالاسلام الذي حبسه الظالمون والمستعمرون في قمقم يكسر القمقم بسواعد ايرانية فتية لا تهاب الموت، ولم يثن عزيمتها ارهاب الطواغيت، ثم ينطلق من القمقم يزلزل الارض تحت اقدام كل الظالمين، ويبعث في نفوس المسلمين جميعا في مشارق الارض ومغاربها روحا جديدة واملا جديدا.

ان الواجب على كل واحد منكم وعلى كل فرد قدر له حظه السعيد ان يعيش في كنف هذه التجربة الاسلامية الرائدة – ان يبذل كل طاقاته وكل ما لديه من امكانات وخدمات، ويضع ذلك كله في خدمة التجربة، فلا توقف في البذل والبناء يشاد من اجل الاسلام، ولا حد للبذل والقضية ترتفع رايتها بقوة الاسلام، وعملية البناء الجديد بحاجة الى طاقات كل فرد مهما كانت ضئيلة.

ويجب ان يكون واضحا ايضا ان مرجعية السيد الخميني التي جسدت آمال الاسلام في ايران اليوم لا بد من الالتفاف حولها، والاخلاص لها، وحماية مصالحها، والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم.

وليست المرجعية الصالحة شخصا، وانما هي هدف وطريق، وكل مرجعية حققت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعية الصالحة التي يجب العمل لها بكل اخلاص، والميدان المرجعي او الساحة المرجعية في ايران

يجب الابتعاد بها عن اي شيئ من شأنه ان يضعف او لا يساهم في الحفاظ على المرجعية الرشيدة القائدة.

اخذ الله بيدكم، واقر عيونكم بفرحة النصر، وحفظم سندا وذخرا، والسلام عليكم يا احبتي ورحمة الله وبركاته.

ابوكم

يقول ﷺ في بحثه الذي كتبه للدولة الاسلامية الفتية تحت عنوان"صورة مختصرة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي": (لم يكن الامام الخميني في طرحه لشعار الجمهورية الا استمرارا لدعوة الانبياء، وامتداداً لدور محمد وعلي عليهما السلام في اقامة حكم الله في الارض، وتعبيرا صادقا عن اعماق ضمير هذه الامة التي لم تعرف لها مجدا الا بالاسلام...)

ويقول رضوان الله عليه في برقية هاتفية لقائد الثورة: (....لا يسعني الا ان اسأل المولى سبحانه وتعالى ان يديم ظلكم منارا للاسلام، ويحفظ الدين الحنيف بمرجعيتكم القائدة، كما اسأله تعالى ان يقبل منا العناء في سبيله، ويوفقنا للحفاظ على عقيدة الامة ومثلها العظيمة، فليست حياة اي انسان الا بقدر ما يعطي لامته من وجوده وحياته وفكره، وقد اعطيتم للمسلمين من وجودكم وحياتكم وفكركم ما سيظل على مر التاريخ مثلا عظيما لكل المجاهدين .....)

ثالثاً: الانجازات البديعة التي مشى بها الصدر خطوات عملية كبيرة على طريق الدعم والاسناد للثورة الحالمة في مسارها البرعمي الذي تترصد لها فيه كل المنغصات والموانع والعراقيل، من العداء البَواح والمضمر، والغيظ الدفين والجاهر، والمكائد الداخلية المحمومة، وعنفوان الخارج ودسائسه، ونأي الخبرة، وجِدّة التجربة.

امور شتى، شكلت مخاضا عسيرا لا تشهد فيه الثورة مولد استقرارها

وسؤددها الا بحبل من لطف الله، وحبل من حماية الناصرين الاوفياء بطاقاتهم وجهودهم وتضحياتهم. وكانت طاقة الصدر الكبرى هي الاولى على طريق المفاداة والنصرة، وقد تجلت مساعيه المبرورة بمواقف عديدة اهمها انه عبأ تلاميذه واعوانه والشعب العراقي المحب له اوفى تعبئة لنصرة هذه الثورة وحمايتها، وطلب منهم ابراز المظاهر الاحتفالية الساندة، وقد ابتدأت بمظاهرة تأييدية انطلقت ـ بعد انتصار الثورة مباشرة ـ من مسجد الخضراء في النجف، وهي تهتف ـ عشت، عشت يا خميني ـ وقد واجهتها سلطة الغي البعثي بالقمع والاعتقال والتنكيل. ومع كون الصدر قد رأى بالدليل الجلي رفض النظام المستبد في العراق لاي منحى من مناحي الولاء والتأييد للثورة وقائدها، الا انه ابى الا ان يكون مع دواعي دينه ووجدانه، فارسل برقية التأييد، واستقبل الجواب، وتم تبادل الحوار بينه وبين القائد المنتصرعن شائعة اعتزامه الرحيل عن العراق، حيث أرسل اليه اجابة مكتوبة ـ مَنَع النظام دائرة اتصالاته من استلامها وايصالها ـ فتحدى الصدر حنق السلطة المستفزة ببركان الثورة الاسلامية، وابى الا ان يصل جوابه الى مبتغاه، حيث انطلقت كلماته المفعمة بالثناء والتقدير والتصميم الى مسامع الامة عبر الاثير من اذاعة طهران:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة اية الله العظمى الامام المجاهد السيد روح الله الخميني دام ظله.

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت ابوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الاشرف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة، واني استمد من تو جيهكم الشريف نفحة روحية، كما اشعر بعمق المسؤولية بالحفاظ على الكيان العلمي للنجف الاشرف. واود ان اعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز، الذين وجدوا

في نور الاسلام الذي اشرق من جديد على يدكم ضوء هاديا للعالم كله، وطاقة روحية لضرب المستعمر الكافر، والاستعمار الامريكي خاصة، ولتحرير العالم من كل اشكاله الاجرامية، وفي مقدمتها جريمة اغتصاب ارضنا المقدسة فلسطين.نسأل المولى سبحانه وتعالى ان يمتعنا بدوام وجودكم الغالي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخامس من رجب ١٣٩٩

محمد باقر الصدر ـ النجف الاشرف

واصل الصدر مشوار الحماية، فحرك قلمه المبدع ليكتب للثورة من صفوة افكاره عن امور مفصلية في كيانها كدستورها واقتصادها، وقد شكلت هذه المفردات الداعمة محركا قويا لفورة الغضب الحرّان عند السلطة على الصدر، ولوضع علامة الصواب على هاجسها من ظاهرة الصدر التي وجدت في جوارها الجغرافي قوة اسلامية هائلة يمكنها ان تستعين بها على تحقيق آمالها وطموحاتها.

ومن هنا انطلقت الفاجعة التي المّت بالامة في ازالة الصدر من ميدان المواجهة، وقد شهد لذلك رأس النظام بعد اعدامه رمز المسيرة، مؤكدا حقيقة دور النصرة الصدرية للثورة الاسلامية ورائدها الفذ في التعجيل عليه، والخلاص من محنته.

وبهذا كان كيان الصدر بكل تألقه، ونياشينه، وامتيازاته، وفتوحاته، مجندا للحماية المكتوبة لدى الصدر في عقيدته وضميره، والتي دفع لها وجوده المقدس، وكلفته حياته الغالية التي لا تعوّض على اية حال.

وعلى رغم رحيله الاليم فان نصرته للثورة قد بقيت مستمرة من كل صوب، من خلال تلاميذ الصدر وجنوده وصفوة امته التي ابت الا ان

تستجيب لنداءاته بفريضة الحماية، والزاماته بواجب النصرة، وتأكيده على الرفض لأي مظهر من مظاهر الخذلان لها، او التعرض لوجودها الميمون بأي سوء.

اما موقف الامام بحبه الغامر، وحفاوته السابغة، واعجابه المكين بهذا النبل والايثار، واكباره الباهر التزامَ الصدر دورَه المسؤول وموقفه الشرعي ازاء ثورة الاسلام وزعيمها ـ فقد تجسد في امور عديدة منها:

اولا: اعتبار الامام رضوان الله عليه الشهيد الصدر هو قائد العراق، وزعيم الامة، ورائد الحوزة، وصاحب مشروع التغيير الاسلامي في بلاد الرافدين، ومن هنا الزم الامام نفسه بان يقوم باسناده ودعمه وحمايته، وابراز ذلك له على صفحة المجاهرة بلا خوف من احد، وكانت البداية الصارخة من الامام هي في تلك البرقية التي ارسلها اليه عبر وسائل الاعلام يرجوه فيها تبديد هواجسه في موضوع اعتزامه الرحيل عن العراق، وان يكن قد اكتنف برقية الاما م بعض الغموض فان جوابها الذي قرأناه آنفا من قبل من كانت محورة وهو الصدر الذي بلغ الامام انه يعتزم الخروج من عرينه في العراق (النجف) ـ يرفع ذلك الابهام، ويفرض حقيقة الحوار المتبادل بين الزعيمين في هذه المفردة. وهذه القضية تعبر بما لا لبس فيه عن حقيقة باهرة تفيد ان قائد الثورة الاسلامية كان يرى في الصدر الامين ساعده الايمن في عملية التغيير الاسلامي التي تعيد مجد الاسلام ودولته الشامخة.

ثانيا: تحرك اجهزة الثورة الاسلامية الفتية بامكاناتها اليسيرة في ايام انتصارها الاولى، وفي ذلك الوقت العصيب المثخن بجراح الهموم والصعاب الهائلة – للدفاع المستميت عن الصدر القائد المحتجز.، وقيام الامام الراحل بالايعاز الى قنواته الدبلوماسية لمتابعة هذا الامر الحساس خشية ان يتعرض الزعيم المحاصر الى الشر من محاصريه المرعوبين، واكد على السعي لنجاته

باية وسيلة، بعد ان تأكد لديه ان السلطة العفلقية عازمة على التخلص منه بجرم مناهضته اياها ومظاهرته خصومها في ايران.

وقد قام السيد دعائي سفير الجمهورية الاسلامية الايرانية في العراق في هذا الاطار بمحاولة اللقاء بالشهيد الصدر، للاطمئنان على وضعه، ولكن السلطة الغاشمة حالت دون ذلك. وقد بادرت وزارة الخارجية في الدولة الاسلامية الى المساعي الجادة في تخليص الصدر من براثن الخطر المحدق، فعمدت الى اعداد جواز سفر ايراني له ليغادر به ارض المحنة، ولكنها عدلت عن ذلك الى اعداد جواز سفر سوري يكون اقدر على تأمين المطلوب بلا تبعات، وحين اكتمل هذا الاجراء وصار على عتبة التنفيذ وقع الصدر في غل الارتهان والحصار، فاحبط هذا المسعى النبيل، وفشلت محاولة الانقاذ الكريمة.

ثالثا: اعلان الامام القائد غضبه وغيظه على زمرة الاجرام في بغداد لقيامها باعدام رائد الثورة في العراق، وقد ابّنه من خلال ذلك تأبينا رائعا، مشيدا فيه بدوره ودور اخته الكريمة بنت الهدى، وقد فرض الحداد على البلاد لمدة ثلاثة ايام، لتلبس امة الثورة وكل من تعاطف معها في كل ارض الله ثوب الحزن والاسى لهذا المصاب الاليم.

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون!

تبين ـ ببالغ الاسف ـ من خلال تقرير السيد وزير الشؤون الخارجية، والذي تم التوصل اليه عن طريق مصادر متعددة وجهات مختصة في الدول الاسلامية، وحسب ما ذكرته التقارير الواردة من مصادر اخرى: ان المرحوم اية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشقيقته المكرمة المظلومة والتي كانت من اساتذة العلم والاخلاق ومفاخر العلم والادب ـ قد نالا درجة

الشهادة الرفيعة على يد النظام البعثي المنحط وبصورة مفجعة.

ان الشهادة تراث ناله امثال هذه الشخصيات العظيمة من اوليائهم، وان الجريمة والظلم هما تراث ناله امثال هؤلاء ـ جناة التاريخ ـ من اسلافهم الظلمة.

لا عجب لشهادة هؤلاء العظماء الذين امضوا عمرا من الجهاد في سبيل الاهداف الاسلامية – على ايدي اشخاص جناة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء وبالظلم، وانما العجب هو ان يموت مجاهدو طريق الحق في الفراش دون ان يلطخ الجناة ايديهم الخبيثة بدمائهم!

ولا عجب ان ينال الشهادة المرحوم الصدر وشقيقته المظلومة، وانما العجب ان تمر الشعوب الاسلامية وخاصة الشعب العراقي النبيل وعشائر دجلة والفرات وشباب الجامعات الغيارى وغيرهم من الشبان الاعزاء في العراق على هذه المصيبة الكبرى التي تحل يالاسلام واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون ان تأبه لذلك، وتفسح المجال لحزب البعث اللئيم كي يقتل مفاخرها ظلما واحدا بعد اخر.

والاعجب من ذلك هو ان يكون الجيش العراقي وسائر القوى النظامية آلة بيد هؤلاء المجرمين يساعدونهم على هدم الاسلام والقرآن الكريم......

وها انا اعلن الحداد العام لمدة ثلاثة ايام، اعتبارا من يوم الاربعاء الثالث من شهر (ارديبهشت) الثالث والعشرين من نيسان، كما اعلن يوم الخميس عطلة عامة تكريما لهذه الشخصية العلمية، ولهذا المجاهد الذي كان من مفاخر الحوزات العلمية، ومن مراجع الدين ومفكري المسلمين.

وارجو الخالق تعالى ان يعوضنا عن هذه الخسارة الكبرى والفادحة على الاسلام والمسلمين...).

رابعا: تأكيد الامام الراحل على جعل الخط الفكري والثقافي لشهيد

الامة في العراق هو دليل العقول والقلوب على مسار السداد العلمي، والتحصن الفكري الرشيد امام الغزو الثقافي الذي يمارسه اعداء الاسلام ضد امته، بفصلها عن رحابه، وجرها الى مهاوي الشيطان.

يقول الامام الخميني في هذا الصدد: (السيد محمد باقر الصدر كان عقلا اسلاميا مفكرا، وكان مرجوا ان ينتفع منه الاسلام بشكل اوسع، وانا ارجو ان يُقبل المسلمون على مطالعة كتب هذا الرجل العظيم...).

خامسا: جعل الامام الخميني دم الشهيد الصدر في رأس قائمة الثأر الذي يجب ان تأخذه الامة في العراق من جلاديها الذين حرموها من رمزها وزعيمها، ويجب على امة الثورة في ايران ان تجعله نصب عينها وهي تخوض الدفاع عن حياض ثورتها وارضها امام هجوم الجناة العفالقة الذين لم يكتفوا باعدام قائد الامة في بلاد الرافدين، بل اضافوا الى ذلك جرمهم الكبير دعما من اسيادهم بالهجوم على معقل الثورة الاسلامية للاجهاز على هذه الثورة التي ساندت رائد التغيير الاسلامي في العراق.

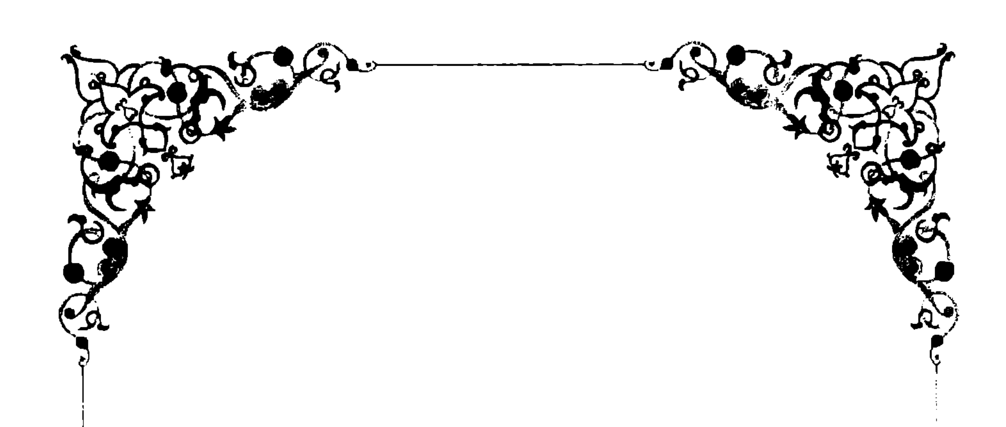
سادسا: قام الامام رضوان الله عليه بدعوة انصار الصدر وتلامذته وابناء خطه الى الانضواء تحت مشروع سياسي واحد يمثل خلافة ذلك الراحل العظيم لادامة الجهاد حتى اسقاط زمرة الغي والبغي في بلاد العتبات المقدسة، وحين ائتلفت كلمة هؤلاء الانصار في اطار المجلس الاعلى منحه الامام مباركته واسناده بمنتهى الانفتاح والحماية وبلا حدود او تحفظ، ما دام يمثل الادامة الواعية لخط الشهيد المظلوم، والاطار الشامل الذي يجمع كافة الطاقات الاسلامية العراقية بلا استثناء او تحيز على مسار الثورة ضد المجرمين والجلادين.

سابعا: قيام اركان الثورة واجهزتها بالاشادة بالشهيد الصدر بغاية الاجلال والاكبار، وفسح المجال لفكر هذا القائد المفكر واسمه ان يأخذا

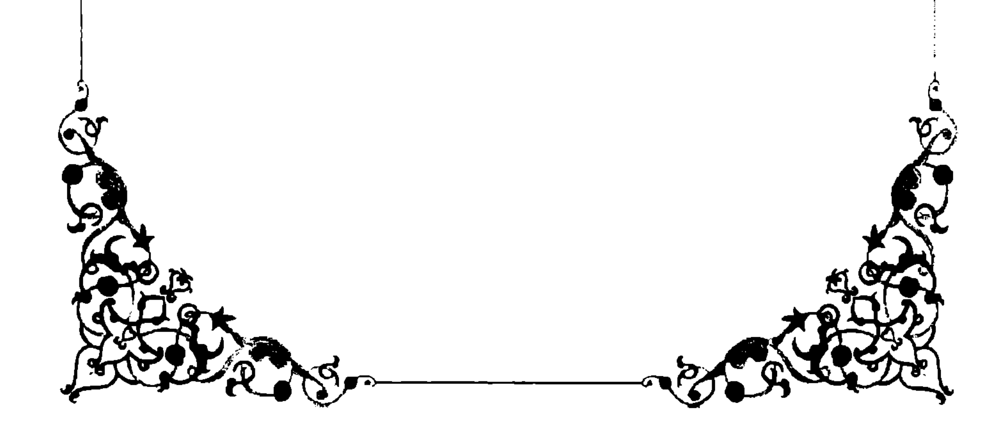
مداهما في الساحة الاسلامية في ايران من خلال ترجمة كتبه، ونشر ثقافته، والافادة من افكاره التي طرحها لدعم كيان الجمهورية الاسلامية في بداية قيامها، وجعل اسم الشهيد واخته من الاسماء الكريمة التي تداولها الشعب ومسؤولوه على كل الاصعدة، تخليدا واكراما لهذين الرمزين الشامخين.

ولا يعدم المتجول في اجواء ايران مشاهدة الاسمين الكريمين لهاتين الشخصيتين وصورهما على واجهات المؤسسات والمراكز العلمية والثقافية، وفي الشوارع والازقة.

وقد تم تسخير وسائل الاعلام في الثورة لابراز هوية الشموخ لهذين الرمزين، وتعريف الامة بحقيقتهما ودورهما. وكان اخر الجهد الكريم في هذا المسار مؤتمر الشهيد الصدر الذي اقامه خليفة الامام على خطى استاذه ورائده في تكريم شهيد الامة.



محفل الظلامة



في وجود الصدر على سجية من حباهم رب العباد بخصيصة القرب والرضا، التمعت قضية الظلامة التي احسبها ابهى واشجى ما تزينت به سيرالمقربين الذين تغمدهم بارئهم بعائدة السداد، والتوفيق، والرعاية، والمن بأوسمة الفخار والشموخ والاستواء على عروش المحبة والاعظام في قلوب المؤمنين، ليكونوا اقداء لهم في حياتهم، يتلمسون في منارات سلوكهم مصادر هداية، وترشيد، وشد للهمم والعزائم، وتسلية للخواطر، وجبر للقلوب، وعزاء في الشدائد والنكبات، وتسكين في المحن والصعاب، وتثبيت على مسار الهدى المحفوف بالمكاره، ما دام الاخيار قد اختاروه على سواه، واحتملوا فيه الاذى والآلام صابرين، راضين، مستمرين في عطائهم وثباتهم بلا نكول ولا انقطاع.

وكان الصدر الرمز والاسوة في حياة الامة عموما والعاملين خصوصا وهم يكابدون افظع المرارات ـ سلوة القلوب المكروبة، وعزاء النفوس المشحونة بالاسى، بما كان هو عليه من المسار المحتوم، مسار الهموم، والكلوم، ونزف الفؤاد، وغصة الروح، وسعار الشجى، لتكتمل له كل معالم الكرامة الالهية التي تجسد بها اماما ورائدا وقدوة.

لقد تعددت مسارب الظلامة الى وجود الصدر لتلسع قلبه، وتؤرق ليله، وتملأ ساعات ايامه بالاحزان، وتوصد امامه الطريق حيث يلوي دون منافذ الراحة او الاستراحة على الاقل. وقد برز في تلك المسارب اهمها وهو:

اولا: جور السلطة التي رأت فيه عدوها اللدود، فجعلته رأس قائمتها السوداء، ووضعته تحت الرقابة المشددة، وحاصرته واتباعه اشد الحصار على المستوى النفسي والمادي، وحركت ضدهم افواه عملائها ومأجوريها، ونكلت بهم اشد التنكيل، وجعلتهم طعمة المقاصل، واحلاس المطامير. وقد حالف الصدر على طول الموقف العدائي من الطغاة ضده كل صنوف الاذى

على كل صعيد، ولم يتخل عنه هذا الحليف حتى بعد موته، فقد لاحقه مع جثمانه الشريف وقبره الذي حوصر ايضا، واستهدف بعوادي الظلم الفظيع الذي تجددت به سورة الغيظ الغشوم الذي كابده جثمان جده ابي الاحرار الامام الحسينعليه السلام وقبره على ايدي جناة التاريخ، وقد رأى القارئ الكريم في اوجه الشبه بين الظلامتين في بحث (فرضية التناظر) الوانا من الفظاعة التي ذاق الصدر طعمها الحنظلي من احفاد اولئك المجرمين الذين روعوا آباءه الهداة الميامين، واذاقوهم امر الويلات والنقمات.

ثانيا: ظلم المتحجرين واهل القداسة الزائفة من الحمقى الذين امتطوا لأذى الصدر مطية جهلهم بحقيقة الاسلام، وفهم الصدر بشريعته الغراء المستوعبة لكل مفاصل الحياة بما فيها المفصل السياسي، وجهده المبدع الخلاق في الدفاع عن حياض عقيدته بلغة العصر واساليبه، وعلى رأسها الاسلوب التنظيمي، سعيا الى الاخذ بزمام السلطة التي هي اقدر الوسائل على بسط نفوذ الرسالة في واقع الامة، ومقاومة المكائد التي تحاك لها بمنتهى فنون المكر لانها اخطر ما يواجه الكائدين في مشروعهم الاغوائي مقدمة للهيمنة على مقدرات الامة التي ان تحصنت بشريعتها اصبحت معقلا منيعا يصعب اقتحامه وتحطيم كيانه.

وقد واجه الصدر اخطر الوان العنت والايذاء على هذا الصعيد، حيث حربة الاتهام المهول بالخروج على الشريعة، واقحامها فيما لا يعنيها من شؤون السياسة، وتدنيس ساحتها المقدسة برجس الحديث عن علاقة الدين والدولة، والسعي في زمن التقية المكثفة الى مناهضة الباطل، وعدم الاعتراف بروايات الضلال التي تحظر القيام للتغيير قبل يوم الظهور، حيث الفتح الاعظم الموعود على يد المهدى المنتظرعليه السلام.

وقد كابد الصدر من هذا المنحى الايذائي الاخطر اقسى الوان المكابدة،

حيث الشبهة الشرعية، وألسنة المتشرعين من داخل الكيان الحوزوي، وحيث اتخاذ السلطة الغاشمة سهام هذه المقاول الرهيبة سلاحها النفسي الاقسى في مواجهة مشروع الصدر بالعامل الداخلي، وسحب البساط الشرعي والشعبي من تحته، تمهيدا للاجهاز عليه مذؤوما، مشيعا بنظرات السوء، واقاويل التسقيط التي اصمت فؤاده بسهام الحرب النفسية الضروس، وجعلته واتباعه امام جبهة داخلية كانت هي الانكى امام خطاهم على الطريق الى الهدف المقدس (التغيير الاسلامي)، فاضطرتهم الى تقية الداخل ومداراته.

ولا يستطيع القلم في هذه العجالة ان يسطر المواقف الصدرية ببدائع الصبر وطرائف الاساليب التي سلكها الرائد المظلوم في مواجهته عادية التحجر، والسطحية المقيتة، والجهل المركب. ولعل اشد ما كابده منها انه لم يكن يقدر على مواجهتها بالمستطاع من وسائل دفاعه، لانه لم يكن يريد لفتنة الداخل ضده الا ان تنتهي او تهدأ على الاقل، ليفرغ جهوده وهمومه لمشروعه الاثير، وهو كذلك لم يكن يجد مبررا شرعيا للمواجهة الداخلية التي قد يصيب فيها بعض المكاسب لو خاضها ولو على مستوى تخطئة المهاجمين، وتسفيه آرائهم، وذكر معائبهم، لانه كان مقيدا بموازينه الصارمة التي لا يجد فيها مجالا لحرب مناوئيه الذين عثر لهم على محمل الصحة، واعتبرهم قاصرين غير مقصرين، قد تلبدت نظراتهم اليه بسحب الجهل فساءت، وبدا فيها باغيا على حرمة الشريعة، فوجدوا وظيفتهم ان يقاوموه زلفى مخدوعة الى ربهم، وذودا مغفّلا عن دينهم.

وهكذا قطع التكليف الشرعي لسان الصدر، وكسر قلمه عنهم، وسمّر يده على قلبه الواجف، فلم تمتد نحوهم بالأذى، وبقيت بيضاء خالية من اسباب المحاجزة ورد المساءة التي جعلت فؤاده الطهور مرمى نبالها الناصلة.

واود هنا ان اكتفي بمفردة واحدة من مئات المفردات التي شكلت

معالم الحرب العوان على مسار الصدر، وموجز البيان لتلك المفردة هو ان القسوة المشروعة لجهل مرتكبيها قد حاصرت الصدر ومريديه حتى طلاب المقدمات والسطوح الى حد تشخيصهم بشاخص الحب والولاء للصدر، وجعل ذلك معابة ملفعة بثوب الانحراف والخطيئة، وقد ادى هذا التشخيص الى محاصرتهم وعزلهم وحرمانهم من مظاهر الرأفة بهم، والاشفاق عليهم من اي سوء، وقام التيار القشري المتذرع بحماية الدين وتنزيهه من الادناس باغلاق مؤسسة تعليمية واعدة، اراد الصدر ان يجسد من خلالها بعض ملامح جهده التجديدي في الحوزة. وكان حب الصدر من قبل التلاميذ والمدرسين في تلك المؤسسة مدعاة ذلك الاغلاق الذي ادى بالصدر ان يجمع هذه الكوكبة من عاشقيه في حلقات دروس في باحة مسجد الطوسي، الى جوار درسه المبارك، عوّض بها الصفوف الدراسية المنظمة التي كان اولئك التلاميذ يفيدون من علمها ونظمها.

وقد عرفت السلطة الجائرة ظاهرة العزل وسببها، وشخصت المعزولين الصدريين في هذه الحلقات الدراسية، ولم تمض مدة طويلة حتى كانت الاغلال، والمعتقلات، ومشاهد التعذيب، والاحكام الغليظة، نصيب هؤلاء الذين اريد لهم ان يدفعوا ضريبة حبهم وولائهم للصدر، وكانت مواقف المتحجرين منهم من اوفى اغطية الذريعة التي افادت السلطة في حملتها الهوجاء عليهم.

وقد عاش الصدر وانصاره في الحوزة اسوء الظروف واقساها بسبب الحرب النفسية المعبأة بتهمة الانحراف والضلال، وكان هو ومريدوه يكابدون الاوضاع المعيشية البائسة، حيث منعت عنهم اسباب الدعم، وذاقوا الويلات من الجوع، وسيف السلطة، ومن المحاذرة التي كلفتهم الكثير من اوقاتهم المخصصة للدراسة، وهم يبحثون عن ملاذات آمنة ينجون فيها من فتكة

البطش والتنكيل على ايدي الجناة والجلادين الذين اتخذوا شبهة السطحيين بحرمة ادخال الدين في السياسة وسيلة ناجحة من وسائل العمل على ايقاف مشروع الصدر في الحوزة خصوصا، وفي الساحة عموما.

وقد حجزت هذه القضية المرجعية الصالحة الرشيدة الهادفة عن ان تبسط وجودها على المديات التي كانت مرتعا آمنا وموفور العطاء لغيرها، وظلت مساحة تقليدها شبه محصورة في العراق في مجاميع الوعاة، والدعاة، والمثقفين الرساليين، والكفاءات العلمية المتدينة، والشباب الجامعي الملتزم، واوساط شعبية محدودة اقنعتها تلك الكوادر الخيرة باعلمية الصدر ولزوم تقليده.

ومن الغريب حقا ان يصل الاتهام لمحاصرة مرجعية الصدر الى حد وصمه بعدم الاجتهاد، وانه لم يبلغ مستوى المرجعية، وهذا ما سمعته باذني في احد المواقع الحوزوية الكبيرة، واعتبرته اسوء ما اسمعه من الاتهام لعملاق الفكر الاسلامي، ومجدد الشريعة، وحامي حمى الرسالة بعلمه، وفهمه، وتجديده، وجهاده.

ومما استثار الشجى في قلبي ان يصل الامر في محاصرة الصدر الى ان يكبل قلمه الشريف في مجلة الاضواء التي كان رائد فكرتها، كما كان رائد فكرة التأسيس لجماعة العلماء التي كانت الاضواء صفحة اقلامها، فلم يستطع ان يكتب لها كلماتها الافتتاحية الا لخمس حلقات فقط، حيث فرض هول المتحجرين نفسه حتى على وجود المجلة الواعية، فطلب من الصدر ان يكف عن الكتابة، كما طلب من اخته (بنت الهدى) بعد ممانعات عديدة ان لا تكتب فيها باسمها الصريح، لان القشريين لا يستسيغون ذلك، او يحرمونه، ولكن الصدر المفعم بالوعي والفاعلية ظل يرفد المجلة من وراء الستر وفي الخفاء، ويلهم كتّابها وبالخصوص في الافتتاحيات افكاره السديدة واراءه

البديعة.

ثالثا: ظلم المواقف الحاقدة في داخل الكيان، والتي وصلت الى حد الكيد والسعاية بالصدرعند النظام، والوشاية به لديه، وتحريضه على الخلاص منه، وقد ذكرت بعض الاقلام القريبة من سيرة الصدر ارقاما مفزعة تشهد لهذه الحقيقة، لسنا الان في صدد اعادة ذكرها.

رابعا: ظلم التوجهات الطامعة لدى المحسوبين على الانصار والمريدين، والتي تعاملت مع قضية الصدر تعاملا تجاريا لا يهمه سوى الربح والمكسب السياسي والمادي، وقد أثْرتْ في هذين المجالين ثراء كبيرا، حتى اذا استغنت طغت فتنكرت لحرمة الصدر تنكرا مريعا، فأخذت تتخلى عن مساره باحثة عن البدائل، وتهادن في القدح فيه، وتسكت على ظالميه، لاسيما الالتقاطيين اللئام الذين ارتدوا على اعقابهم في فهم الحقيقة، فنبزوا انفسهم بالقول انهم كانوا خاطئين في كل مسيرتهم التي بنوها في تيار الصدر بالوعي بخطه والارتباط به، فلما استمرأوا حماقة التطفل البليد، وصاروا يأخذون فهمهم للدين والمذهب من غباوة التحجر والتسطيح، وسفاهة القشرية المليئة بالخرافة والبدعة والانحراف ـ جرتهم اقبح اشكال الالتقاطية هذه الى ان يسبوا منهج الصدر: منهج الاصالة، والعمق، والوعي الرشيد، والشموخ العقيدي، والموضوعية السديدة النزيهة، ويعلنوا براءتهم منه انحيازا الى الهوى الفتان، وجنوحا الى المصلحة الدنيوية التي وجدوها في مسار البلاهة الخرقاء، فركعوا فيه ساهمين، تتخبطهم التخمة من مس البلادة بين النثيل والمعتلف.

لقد استعرضت احدى مذكرات اسرة الشهيد الصدر في مجلة الرياحين نقاطا موجزة في بحث بعنوان (مدرسة الصبر) مباعث الظلامة الصدرية التي الزمت الصدر المظلوم بفريضة الاصطبار والاحتساب، فأداها خير الاداء على

خطى آبائه النجباء.

تقول المذكرة: (ان رحلة الامام الشهيد السعيد السيد الصدر رضوان الله عليه في رحاب الصبر والاحتساب والاحتمال هي تجربة فذة من تجارب الرجال الشامخين الذين امتن الله بهم على مسيرة الانسانية: هداة، ومعلمين، واقداء تنير السبيل، وتصنع العبرة، وتشحذ العزيمة، وتجبر الخواطر، وتسلّي النفوس، وتجود بالالهام المربي على طريق المسؤولية الملقاة على عواتق الجميع في ميدان الاستخلاف، وهي مسؤولية الاستباق في الخيرات، والمسارعة الى مغفرة الله ورضوانه.

ان تجربة الحنظل التي قاساها الشهيد العظيم على طريق ريادته هي وسام الصبر المعاصر الذي جسد حقيقة المطلوب من القادة الرساليين، من فريضة المقاومة والاحتمال، واعاد بكل جدارة تاريخ المجد الباهر بخصيصة الاصطبار التي تحلى بها جده المصطفى واهل بيته الكرام على خط الاداء لمهمة البلاغ، والتصدي، وقيادة الامة على مسار الرسالة الخالدة.

لقد كانت فنون الصاب والعلقم التي تمزز الصدر الصابر فيها منتهى فظاعة الالم باصطباره تتمثل في مصاديق عديدة منها:

مرارة على لوعة اليتم في نعومة الاظافر، ومقاساة ضراوة الفقر والحرمان.

مرارة الصبر على الهم الرسالي المبكر الذي كابده ازاء هول الانحراف الذي يتهدد معاقل الشريعة وحصونها.

مرارة الصبر على غربته في طريق الخدمة الرسالية، حيث كان وحيدا في الوسط الذي انطلق فيه لريادة خط المقاومة، والتحدي، ومواجهة الغزو المعادي، والاعتقاد الجازم بمسؤولية التغيير.

مرارة الصبر على الحصار النفسي الذي مارسه القطبان الرئيسيان في

مواجهة مشروع الصدر التغييري: وهما قسوة التحجر، وطغيان السلطة.

مرارة الصبر على الشبهات، والافتراءات، والاكاذيب، والتهم التي بلغت اقسى ذروة الاضطهاد حينما لبست مسوح الشريعة، وتزيت بزي الحرص على الاسلام، وكانت اشد اعوان الطاغوت المترصد على الصدر المظلوم.

مرارة الصبر على القيود والاغلال التي كانت تتربص به على طريق الخدمة، وتنشب مخالبها في معصميه الكريمتين بين فترة واخرى، وتسوقه الى المعتقلات على زمجرة الرعود، وازيز الوعيد والتهديد.

مرارة الصبر على اثقال الوظائف العلمية والقيادية، واحتمال المواصلة بها حتى النفس الاخير بلا كلل او ملل، وبابهي صور الاداء الامين الملتزم الذي لا يحيد عن جادة الحق والعدل والانصاف قيد انملة.

مرارة الصبر على نزوات المحسوبين على خط النصرة، عندما تطيش بهم التصورات البليدة الي مواقف العناد، والملاددة، والايذاء، والخصومة، وممارسة التهمة والحصار النفسي ولكن بشكل اخر غير الحصار الذي يمارسه الحمقى والمتحجرون والخصوم.

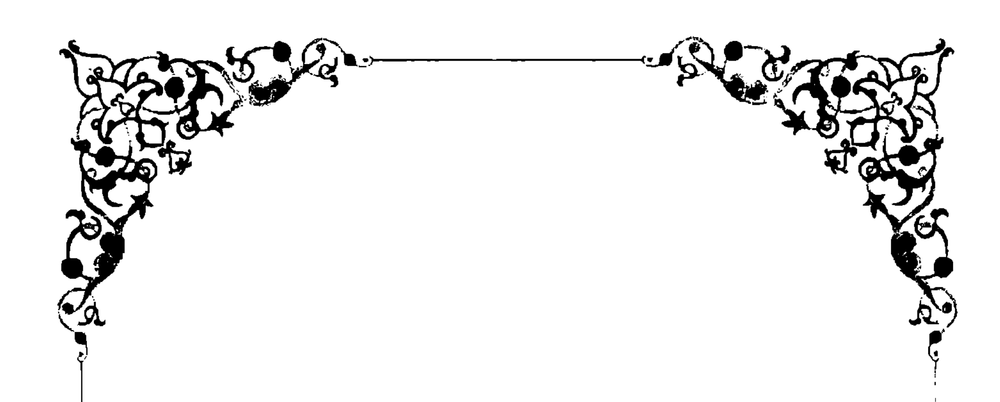
مرارة الصبرعلى الحدود والسدود التي وضعتها قوى الكيد، والخط المأزوم بالغباء والحماقة والجهل المركب – امام مشروع المرجعية الرشيدة التي يرى فيها مبدعها استعادة باهرة لخط الامام الصادق، واحياء مهيبا لرسالة الامامة التي انجز في عمرها المجيد اروع فصول الخدمة بالتجديد، والامتداد، والشمولية، والعطاء الوافر، ويكفي شاهدا على ظلامة الصدر في هذا الصدد ان نعرف ان مرجعيته الفذة التي ازدانت بازهى نياشين التميز والتفرد والابداع قد حوصرت ابشع الحصار في حدود ارض الرافدين، وفي اوساط الطليعة الرسالية الواعية فحسب، ولم يسمح لها الطاغوت المقدس وارهاب الشبهة ان تتجاوز حدود العراق وكتائب الوعي فيه، لتفقد بذلك جماهيرية الشارع

المسلم في بلاد العتبات، وفي بلاد الاسلام، وبين الجاليات المسلمة في المهاجر والمنافي، وتفقد كذلك دعم المصادر المالية المرتهنة التي لا تجود بالمليارات على المرجعية الصالحة، لتبقى هذه المرجعية اسيرة الفقر والعجز عن انجاز اعظم المشاريع الرسالية التي لو اتيحت لها فرصة التحقق لكانت فيها عزة الاسلام، ونصرة الشريعة، وارتفاع راية الحق خفاقة في ربوع المعمورة، وباروع اشكال الحضور، والفاعلية، والجذب، والاستقطاب، لما تتميز به بفضل رائدها المتميز من روائع الفكر، والابداع، والمعاصرة، والخطاب السديد، والاساليب الذكية، والحرص الرسالي، والهدفية الريادية الصادقة..

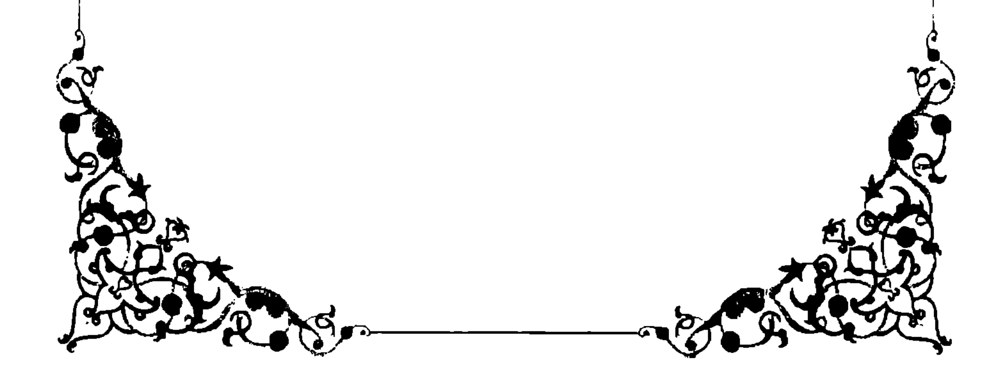
مرارة الصبر على الشجون الفظيعة التي عاني منها الصدر اشد المعاناة وهو يعاين مواكب الصالحين والمضحين تساق الى مفاصل الموت، وغياهب السجون والمعتقلات، لا لشيئ الا لانها على خط الصدر، مبتغية ان تنجز في انقيادها له مشروع التغيير الذي رأت فيه بتوجيه امامها وزعيمها فريضتها اللازمة التي لا محيد لها عن القيام بها.

مرارة الصبرعلى حصار الاقامة الجبرية، ومكابدة الفظائع من الاتراح للحالة التي وصلت اليها مسيرة المواجهة الرسالية التي احتجز رائدها في بيته، وسيق فرسانها الى حتوفهم، ومنع عنها الجميع الا من ندر دعمهم ونصرتهم ومساندتهم.

مرارة الصبر الامثل على اعتاب الشهادة، امام مشهد النطع والسيف، في فصل المساومة بالموت المريع على بيع المبادئ، والتخلي عن الواجب المقدس، والاعطاء باليد اعطاء الذليل، والنكوص على العقب نكوص المهزومين.



حق الصدر على الأمة



ان معرفة هذه القضية الكبرى والحساسة بما يترتب عليها من الاثر المصيري من زاوية الرضوان الالهي بأداء التكليف، ومن زاوية الواقع العملي بانجاز الممارسة المنشودة على طريق الهدف المقدس الذى عبأ له الصدر نفسه – ان هذه المعرفة تحتاج الى مقدماتها اللازمة المتمثلة في تشخيص دور الصدر في امته، وموقعه في مسيرته، وماذا قدم لها في اطار مهمته ومسؤوليته؟، وماذا خسرت بفقده ورحيله عن وجودها؟.

ان التشخيص الدقيق لهذه الامور يستلزم الشعور المفعم بالواجب الشرعي والوجداني بحق الصدر على من نذر وجوده لهم ليخرجهم من شقائهم في المتاهة الى سعادتهم في الرشاد، ومن ذلتهم في اسر الاغلال الى عزتهم في شموخ التحرر والكرامة.

ان دور الصدر الذي كشفته وتحدثت عنه بديهيات واقعه الرسالي هو انه جسّد نموذج الرائد المنذور المحرر خالصا لله وعباده في ارفع درجات الحب، والخلوص، والتفاني، ونكران الذات، والتمحض للغير تمحضا استعاد للحاضر العتيد من بدائع الماضي التليد صورة القائد السماوي الذي صنعته المشيئة العظمى على عينها، وغذته هداها، وسددت خطاه برقابتها في عمق الضمير المشحون بهيبة الله ونشدان رضاه في ابهى مقاوم الصفاء، وازكى حالات التنزه من الواث الذات. وقد مثل بعمره الذي حباه الله وسام الاصطفاء رائعة الابداع الاسلامي للنجباء الذين لا يعيشون لانفسهم قط، ولا يعرفون غير الفراغ المطلق من هاجس الوجود الشخصي على كل امتيازاته واستحقاقاته، وهم يشعرون انهم ولدوا من رحم التميز بالاحساس بالآخر في دوامة المسؤولية المثالية التي حفت بها المكاره، والهموم، والاثقال، والجراح، والسهاد، على دمدمة الرعود المستهيلة، واشباح الموت الزؤام، كأن احدهم قد ولد والآخر توأمين من دم مشترك، تعتمل في صدريهما مشاعر واحدة

بالزامات المَحْتِد الواحد، ليتجسد في سيرته مثال الانسلاخ من جلد التراب، والتطهر من اشواب السفساف، ليعرض في محفل الامجاد: اعجوبة من عجائب اللطف والتدبير، وشامخة من شوامخ التفرد المثير.

وقد حقق الصدر في تجربته الريادية التي كانت مثال الحسن والشميم في عمر الورد القصير بديعة التطهر والتسامي والايثار، فخرج من الدنيا كما اتاها بابهى خصائص البراءة، والتزكي، والسلامة من العلل والادناس، قد عاش لأمته سديدا رشيدا، وانقلب الى ربه رضيا حميدا، كانه لم يكن الا همسة من همسات الندى في السَحَر، او عبقة من عبقات الروح في اسمى الفِكر.

لقد كان موقع الصدر في المسيرة موقع الشعور الزكي المستحوذ على كيانه، يلزمه ان يكون المستخلص لربه وعقيدته، والمجدد المحيي لرسالته، والمنقذ المنجي لامته.

وقد ادى ما عليه افضل الاداء، وباروع صور الالتزام للواجب، والصون للامانة، والخروج من عهدة المطلوب على خير ما يرام.

ولقد قدم الصدر لهذه المسؤولية الكبرى كل مستطاعة من راحته، ووقته، وأرَقه، وعرقه، ومكابداته، وتضحياته، واحتمل لها افظع ما يحتمل اقطاب عصر الغيبة من العناء المرير، وقرر منذ البدء في خطاه على مسار اللهيب ان دمه هو القربان المبرور الذي لا بد ان يصب على النار التي استوقدها من زناد قلبه المتوثب للاشتعال في ظلمة الغي والبغي، وان جثمانه الطهور هو جسر العبور الذي تجوزعليه جحافل الغيظ المقدس الى مرافئ الفتح الاغر، كما عبرت على اوصال سبط الرسول ملاحم التضحيات عبر القرون تسطرالمآثر المثلى في صناعة الظفر المؤزر.

لقد اخرج نفسه من اسوار المحظور، ونأى بها عن دائرة الخوف

وسدود التقية، وادخلها في ميدان المواجهة الحامية التي حسبت انها تستفزها بما تراءت به امامها من عرامة الثقب الاسود المهول، لتستهيلها فترتد على عقبها مذعورة بفرط المهابة، لا تلوي في نكوصها على شيئ. وهو يعلم علم اليقين انه حين يفعل ذلك لا يجني الا رضا الله والضمير باداء الواجب ازاء الرب والمربوبين، وما دامت عقيدته بصرامة الطاعة الحاكمة على كيانه بمنتهى الامتثال والاستغراق تستهويه بفواتن الوله الجذاب لكي يفعل المستحيل في عالم عشقه وهيامه، فلا عجب اذن ان يكون وجوده كله اسطورة من اساطير السلوك الفذ المتوحد بالصدق، واليقين، والتضحية، والعطاء الوتر المستدام.

اما ماذا خسرت الامة بفقد هذا الرمز الشامخ الذي عاش معها قصة الاداء المعجز، وعاشت هي في رحابه فرصة الحيرة اللذيذة في عمق الاستكناه لمفردة تكاد تكون فلتة عابرة تحكي مرور (هالي) من غمرة الزمن والابعاد، في متاهة المدى المنداح في افضية الملكوت، يجر خلفه حشود التابعين الى حد الالتصاق، يبهر العقول والعيون التي تسمرت في سره ومرآه، تحدق في خطاه المسرعة الى الذوبان في لجة الآماد السحيقة، وتحلم بعودته الانيسة عبر القرون الآتية، ما دام مساره في افق العجائب طويلا كأنه مسار الخيال في سعة الكون المهيب.

هكذا هم العمالقة المجددون الفاتحون في ذروة الابداع المتين، حطموا ارقام الاستثناء الحرون، وبددوا ابعاد ما فوق المألوف، وملكوا نواصي الانبهار المكين، وجسدوا ظافرين تجليات الذات الازلية في مظاهر الاعجاز في صنعها العجيب، وكانت فرص اعمارهم القصيرة في لجج الزمان الغامرة كالمذنبات العابرة في فسحة الافق المديد، تلقي على جيل الارض الراهن من علٍ تحية الكبرياء، وتعده إيابها المأنوس بالتكرار لاحفاده الوافدين عبر

جحافل الآماد، لتقص عليهم من ذكريات القرون الخوالي حكاياتها عن افلاذ المجد في مشاتل الاصطفاء.

(لقد خسرت فيه الامة المفجوعة بالرزء الافدح:

١ ـ ذلك العالم الفذ المجدد الذي طلع بابداعاته العلمية والفكرية والثقافية طلوعا شامخا جسّد حقيقة الامل والتفاؤل والنشاط النفسي لدى الامة في عودة امجادها، وخلاصها من اسرها المهين.

٢ ـ ذلك القائد المجاهد المضحي الذي امتلك صفات القيادة الرشيدة السديدة التي ارادتها شريعة الله ارادة حازمة، وضرورة قصوى لادامة المسار المنشود على خط المواجهة الحامية الحافلة بالتحديات الكبرى.

٣ ـ ذلك النموذج الشامخ الرفيع من المثل والمبادئ والفضائل المصممة على ان تكون التجسيم المطلوب للقدوة الرسالية التي لا بد ان تتواجد على ارض الواقع اسوة للعاملين، ومنارا للسائرين، وبصيرة للمتوسمين.

٤ ـ فقدت فيه ذلك العطاء الثر المرصود للعقيدة، الباحث عن الفرصة بين زحام الكفاح والمشاكل والهموم، ليقدم المزيد من الجديد من الاثراء والرفد على شاكلة ما قدمه من البدائع والروائع والانجازات الفريدة التي انتظرت (الفتاوى الواضحة) في ميادين الفقه التي انطلقت في اولها الحلقةالاولى من تلك البديعة الفقهية الخالدة، وكذلك كان مشروع (مجتمعنا) الذي اراد له الصدر ان يقف في حماسة التحدي والمقاومة كالجبل الاشم الى جنب (فلسفتنا واقتصادنا).

٥ ـ فقدت فيه الفكر الخلاق المستعصي على الضعف والهوان والاستسلام، المستبسل المنتصر في المقارعة التي ظل فيها رافع الراية، شامخ الهامة على ذروة العز والظفر، والذي تتجدد اللوعة بغيابه كل حين مع كل

هذه التحديات الخطيرة من الشبهات، والافكار الضالة، ودواهي الهجوم الفكري والثقافي التي فجرها الغزو الكافر الداعر ـ وسائل ضلالة كاسحة استهدفت الامة ـ وواجهها المقاومون المفجوعون بفقد استاذهم وزعيمهم ورائدهم الذي كان نبع قوتهم، ومصدر الهامهم، ومعين همتهم، ومحدّ صوارمهم، وهم في غمرة الاسى لذلك المفكر الآفل الذي تسمرت عيونهم بالشفق الذي غابت فيه شمسه، تندب ذلك النور الذي لو كتبت له المواصلة لما استغلقت المحنة الفكرية، ولا ثقلت النازلة الثقافية، ولا ريع بالذعر هذا العرين الاسلامي الذي احتوشته ذئاب المهاجمين الغزاة في مشروع ضلالهم الاستراتيجي للقضاء على وجود الرسالة في عقول الامة، وقلوبها وواقعها.

اليس صادقا من وقف بمنتهى الحيرة والحسرة امام هذا المشروع الادهى في تاريخ المواجهة ليقول: لو كان عندنا ابو جعفر لما بقينا عاجزين او شبه عاجزين امام المتاهات من الافكار، والضلالات، والشبهات، والخطاب المسموم، والمصائد الخادعة، والحبائل المحاكة بمنتهى الوان الفتن، والبدع، والغوايات، وفنون الارهاب، والخداع، واساليب الاستدراج، ليكون الصمت ازاءها او الرد الواهن عليها نقاط القوة عند الكائدين، ومن دواعي الضعف في استمساك الامة بعروة شريعتها، وفي مقاومتها للتيار الزاحف بعنفوان الغي والبغي والعداء.

٦ ـ فقدت فيه ذلك الرمز السياسي المرجعي الذي اعلن مشروعه (المرجعية الصالحة)، ومشى اول خطاه نحو الهدف المقدس الكبير باصدق التوجهات والطموحات، واقوى العزائم والهمم، واسخى الجهود والنشاطات، واروع التصميم على البذل والفداء. وقد بسط ظل روحه الحانية الرؤوم على كل الواقع الاسلامي، وعلى الواقع العراقي خصوصا، مؤملا ان يجد الفرصة ليحقق منتهى خدمته لربه ورسالته وامته في تجسيد ريادي رسالي، حازم في

التزاماته، صارم في مواجهته، مقتدر في تطبيق نظريته التي هي روح شريعته، مفعم باملة في اعادة المجد الاسلامي المذال الذي قهرته العوادي، والجأته الى الافول الحزين.

٧ ـ فقدت فيه المعين الدافق من المشاعر النبيلة، والرؤى الطاهرة، والاماني الشريفة، والدعوات الصادقة، والرغبات الرضية، لتلك الروح العلية، والنفس الزكية، والمثل البهية.

٨ ـ فقدت فيه ذلك الاقتدار الفقهي المجدد الذي جسد شموخ الشريعة، وسعتها، واحاطتها، وعلقتها الربانية، واعجاز ها التقنيني الموصول بارادة السماء وحكمتها، ذلك الاقتدار الفذ الذي هو اليوم اقصى ضرورات الساحة الفقهية امام المستجدات التي تستدعي رأي الاسلام السديد من حماسة العطاء التشريعي التي ليس لها مثيل.

٩ ـ فقدت فيه أخيرا وليس اخراً ذلك الفهم القرآني الذي انساب من ذلك القلب العارف الواله الذي احب الله ووحيه اصدق الحب واعمقه واوعاه، فابدع الافكار القرانية الباهرة في علوم القرآن والتفسير الموضوعي، ثم انتهز فرصة الاحتجاز اليتيم ليكمل المشوار مع الاستيحاء من ملحمة الوحي، وباشر الكتابة في التفسير، معضودا هذه المرة بتوجهات بنت الهدى وتصميمها على المساهمة والعطاء من خلال بديعة التفسير، وهي تأمل كاخيها واستاذها ان تُتحف مسيرة الثقافة الاسلامية براية خفاقة من رايات الفتوح الظافرة، ولكن اعداء الله وكتابه لم يسمحوا لهذه الرائعة الباهرة من روائع هذا البيت الكريم المتمحض لله وخدمة رسالته ـ ان ترى النور، فاستحوذوا عليها بعدما كبلوا المعاصم التي سطرتها، وساقوا الجميع الى مقصلة الكفر الحاقد السادر في طغيانه.) " الرياحين ـ مذكرات اسرة الشهيد الصدر"

بعد هذا كله ماذا يجب على الامة ازاء هذا العملاق الفائت في مضمار

الابداع والعطاء؟، وما الذي يلزمها به الدين والوجدان لتنجز المطلوب منها لحق الوفاء؟.

(ان فريضة الامة في شريعة الله والضمير ازاء ذلك المثال الشامخ تتمظهر بامور عديدة اهمها:

اولا: معايشة خط القائد الشهيد على الدوام ذلك الخط المتمثل بالاسلام الاصيل وريادة مرجعيته الصالحة.

ثانيا: اداء وظيفة التأسي بذلك القربان المقدس الذي نذر نفسه لمبدئه، مسترخصا كل غال ونفيس من اجل حمايته واعزازه.

ثالثا: الاستمساك بعروة الفكر الذي شهره ذلك المفكر الشامخ سلاحا يقهر جحافل الضلالات الوافدة، والاعتصام بانوار تلك الثقافة الرشيدة التي طلعت من فجره الوضاء تنير الدرب للسائرين على مسار الحق والحقيقة.

رابعا: الاستذكار الدائب المتواصل لدعوته الاكيدة لكل مسلم ان يسعى جهده لاستعادة امجاد الرسالة الخاتمة، وبذل المستطاع من اجل اقامة الحكم السديد على اساس الشريعة، ذلك الهدف الكبير الذي قرر ان يقدم له دمه الزكي نبراسا واسوة وعزيمة في صدور العاملين الرساليين.

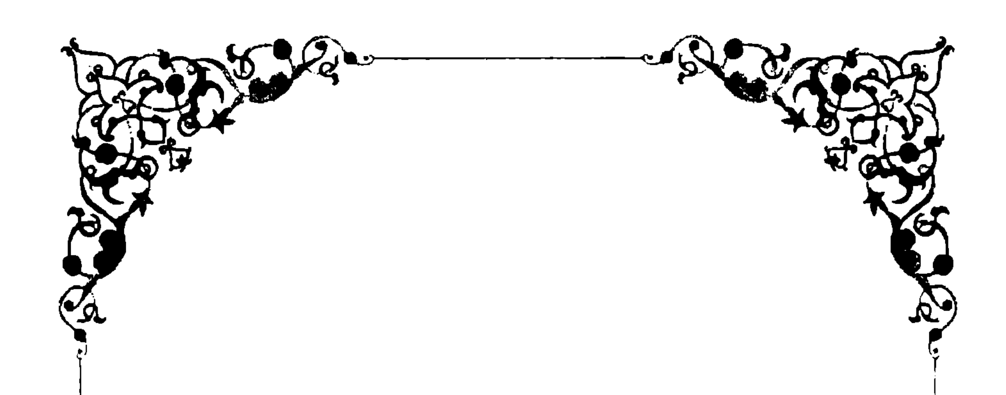
خامسا: الاحساس الشرعي العميق بثقل الامانة التي تركها مفجر الثورة القرآنية في اعناق ابناء الرافدين، امانة (التغيير الاسلامي) الذي قضى قدوة الثائرين حياته في مكابدة المساعي الحثيثة على الطريق الى بلوغه.

سادسا: الاعتصام بحبل الله الذي تأتلف في اطاره الجامع صفوف هذه الامة التي كتب الله لها النصر والعزة في ظل اخائها فيه، والتئام شملها تحت لواء الوحدة العاصمة المنجية من كوارث الاختلاف والشحناء والتفرق، وعلى الامة في بلد المقدسات ان تستعيد تلك النداءات الصادقة الشفيقة الحانية التي اطلقها ذلك الرمز الاثير وهو يدعوها الى ان توحد قواها وشرائحها وقومياتها

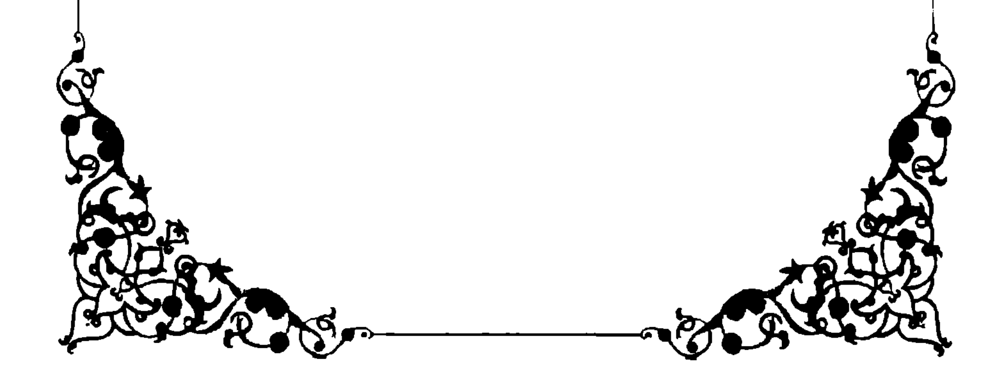
تحت راية الاسلام الذي لا تكون نجاتها وعزتها الافي رحابه، ولايكون هلاكها وذلها الا في مهاوي البعد عنه، والركض وراء السراب الخادع في فلوات الشعارات المضللة، والدعايات الزائفة، والغزو الثقافي المغوي.) " مجلة الرياحين ـ العدد١٣"

سابعا: زيارة قبره الشريف للاستلهام، والعبرة، والاستذكار، واشعال وقدة الاسى الهادف النشيط في ذات الانفعال الخلاق المبدع لثورة الانقياد على درب التأسي الامثل، الموصول برضا الله في تعظيم حرماته وشعائره، وتوقير اوليائه ومقربيه، وادامة المسير على خطهم بمنتهى الاعتزام والرجاء الحازم الوثاب بالجوارح في ساحة المتابعة الصدوق في مسار الوصية الخالدة بادامة النضال حتى النصر.

وما اروع ان يقف الزائر اللهيف على ضريحه الشريف بكل صحوة الوجدان، وفورة الاحساس، ووقدة الاعتبار، وبراعة التصوير، والذوبان في مشاهد الصورة القدسية المرسومة في صفحة العقل الشاعر، المستَفَز بلذع المأساة الفاردة، ولوعة المصاب الجلل، ورزء الخسارة التي ابت الا ان تكون دائبة الحضور في استثارة الشجون وماء الشؤون على مر القرون.



بلاغة الفكر والبيان



بلاغة الفكر وبلاغة البيان سجيتان باهرتان من سجايا التميز الشامخ لدى رائد الامة (الشهيد الصدر رضوان الله عليه).

وقد حباه ربه الودود الشكور بهما بلطفه عبر جهاده الفذ المتين، وذوقه المرهف الشفاف، وخصائص الوراثة الملهمة التي منحته من عطاياها الجسام عائدة البلاغة، وبراعة الفصاحة، واصالة الحس البياني المبدع الذي غمس لسانه في معاسله، واجراه من مناهله، وانبت قلمه في رياضه وغواليه، وزين كلماته بورروده ودراريه، فهو قرين ميادينه منذ الصبى المحبور المائس بالوان طيفه الزاهر، المفعم بالحسن والبهاء والروعة، يحرك به شفتيه الناعمتين في المحافل التي اذهلها ان ترى صبي آل الصدر (محمد باقر) في مناسبات الاسلام في الكاظمية يفرغ عن لسان آبائة الميامين مفاخر لغة الضاد بروائع الكلم، وبدائع البيان، يستجيش بسحرها المشاعر الدافقة، ويستثير بعمقها الاحاسيس المحلقة، ويلهب بحممها الافئدة التي اراد لها ان تذوب في مديات قلبه الوادع البريئ المفعم بالصدق، والحماسة، والنوايا المنزهة الطهور، واللهفات الخالصة المبرءة من معائب الهوى، ورغبات الدنيا، ولم يعدم ذلك اليافع في تلك الحشود من يقوم امامه بفرط الاعجاب والدهشة ليناديه:

(احسنت يا رافعي العراق.)

ولم يكن ذلك المبهور الذي حركته خارقة البلاغة الصدرية غير خاله الاديب اللوذعي (راضي آل ياسين) الذي اخذ عليه زهو الكلام الذي سمعه من ابن اخته اقطار فطنته، وفجر عيون الحيرة في اعماقه، واستحوذ منه على مجامع فؤاده المجذوب مارد العُجْب والعَجَب.

حين تصب لغة القرآن لسان الصدر منذ يفاعه في مصهر ابداعها، وتصوغه ببراعة الفكرة والكلمة والتنضيد بعبقري الاداء اللغوي المذهل، في

ذروة السبك، ومنتهى الصياغة، وغاية الاختيار، ودقة الاستهداف بالعبائر المهيبة لمعاقل القلوب والنفوس والضمائر الى حد جعلها واجفة مهتاجة امام ساحل الهول البياني الذي يعييها سعيها في وصفه، فتختصر المديات الهائلة من الدهش في مفردة جامعة لكل ذهولها وعجزها وانصعاقها: (انْ هو الا سحْر يؤثر).

وحين يذوب الصدر البرعم الحالم في عبير ذلك السحر البلاغي القرآني المتفرد بالجلال والكمال، تظهره بديعة السماء البيانية التي انماث فيها ـ خلقا جديدا سويا في سمو الشعور، وبراعة الاحساس، وألَق الفطنة، وشفافية الذوق، وروعة الاستيحاء، وقدرة الاستلهام، لتكون نتيجة الانبهارالذي انساب به الصدر مهطعا بلا زمام في فورة ذلك التيار العارم بالبلاغة ـ جذوة ادبية وقادة في فؤاده المستهام، ونشوة ذوقية اخّاذة في حسه الرفاف، وعبقة بيانية في شعوره الفينان، بل دهشة غلابة واعية رشيدة في وجوده الشاعر الهفهاف، المرشوش في مديات الرقة، والعروج، والشعور الهيمان المسحور في سوامر الفلق، وحمرة الشفق، وجلوة الربيع، وميس الورود، وهمس الندى، وريح الصبا، والاحلام، والذكريات، والعشق، والاشواق، واللهفات، والتراتيل، والتغريد، والسُبحات، والهديل، والسنابل، والسعفات، والشطآن، والتسجيع، والنفحات، والنسيم العليل، والروض البليل، والنجوم الزُهْر، وهالة البدر، ولذعة البِعاد، ولذة السُهاد، وبهجة الاسحار، ونشوة الاذكار....

وحين يستروح الصدر نسيم نهج البلاغة العابق من رياض القرآن يتملى بشموخ اقتداره البلاغي الفائت في المضمار البياني الانساني، المجسد بمنتهى سعي البشر المتذوقين في ذروة الاحساس والتعبير عن المكنون، المستلهمين من اعجاز الكلمة الربانية روائع اللفظ والمضمون، وحين يذيب

قلبه ونهاه في تلك الانوارالثاقبة حيث افضية البهاء والعلاء – يجد انه قد وهب ذوقه ولسانه سلطةَ الكلمات الجسام، واذاب قلبه في روعة المعاني الفخام، واحس انه ملزم ان يستلهم محتده المجيد وأباه الاكبر عليا براعة البيان كما استلهمه فهم الشريعة، وان يستوهبه عوائد الحس الفريد كما استوهبه منائح الخط السديد، وان يحفظ للصلب الذي تحدّر منه في ذوق كلماته وصياغاته، كما يحفظه حفيًا في منهجه وخطواته.

من ربيع القرآن ونهج البلاغة انهلّت روائع المشاعر عبرالعبائر من فم الصدر الاديب وقلمه، لتعطيه ميزة جديدة تضاف الى موائزه الباهرة التي كتب الله له بها خصيصة التفرد، فاذا هو الفيلسوف القاهر، والاصولي الالمعي، والفقيه المجدد، والسياسي البارع، والاديب الشامخ الذي مزج وثبة بيانه بثورة عمقه الفكري والفقهي والحركي، فصيرهما روعة من روائع الصنع البشري المقتدر، المبدع، الذي حباه الله سجية الاستلهام من وحيه وهداه، واسبغ عليه منته وبركاته في آياته والطاف كلماته.

ولا يغيب عن ذوي البصيرة دور البلاغة والبيان في قدرة المكلوء بعوائدهما في حومة الفهم القرآني، وفي استنطاق مصادر الشريعة التي هي قمة الذوق العربي في الصياغة والتعبير والافصاح عن مشاعر الوحي والمراد الرباني الذي هو ذروة المعاني، فاستلزم ان يصاغ باروع المباني، ومن هنا كان للصدر الشاعر البليغ المتميز بالفصاحة والرجاحة البيانية ان يكون متميزا بذوقه الادبي في استنباط المقصود الالهي من مصادره ومظانه التي عبق بها لسان الوحي، وسنة النبي، وقرائح الحماة المهديين الذين استخلفهم الرسول المصطفى امناء على كلمات ربه، وعلى سنته، ومقاصده، واسراره، وعوائده.

ولا يجهل احد كيف ان المتخصصين بفهم اي شريعة، او نظام، او قانون، او مدرسة فكرية – يحتاجون اذا ارادوا ان يخوضوا في مفردة منها الى

فهم عميق للّغة التي صيغت بها مفرداتها، والى الاستيحاء من الاجواء البيانية التي عاشت فيها، لاسيما حين يكون روادها الاوائل من القمم الشامخة في فن البلاغة وروعة التعبير عن المضامين باعذب الكلمات، وابعدها غورا في عمق البيان، وحين يكون مصدر الشريعة القطعي الاول (القرآن) وهو معجزة البلاغة قد صاغ تشريعه الفريد ببيانه المعجز الخارق للعادة والمألوف، وحين يكون هذا المصدر هو السند الاساس للصدر في فهم دينه، واستنباط احكامه للواقع – تكون الخصيصة الادبية لدى الصدر عونه المكين في الوصول الى الحقيقة القرآنية والمراد السماوي.

وحين يكون المصدر الثاني للتشريع وهو سنة النبي التي صاغها افصح من نطق بالضاد، وحفظها ونقلها أهل بيته وافلاذ كبده الذين تحدروا من جلالة روحه بعوائد لسانه – يكون الصدر الاديب البارع اقدرعلى بلوغ المراد من السنّة النبوية، وادنى الى الهدف المنشود للشريعة التي عبّرت عن مضامينها قرائح الافذاذ في بلاغتهم، وبيانهم، وصياغاتهم التعبيرية العليا.

ولا ينسى المطلعون ان الصدر الذي تخصص في علم الرسالة فكراً واصولاً وفقهاً لم يكن قد تخصص في علم البلاغة بلسانها البديع لغة الضاد، او تفقّه في ابعاد فصاحتها، ولم يشهد له احد بذلك ليكون هذا برهاناً على دور التعلم في فصاحة لسانه وبلاغة بيانه، بل هو قد جاء عالم الادب العربي على سجيته: استرسالا، وعفوا، واستئناسا، واستطراقا، مدفوعا بفطرته الشاعرة، وحسه الموروث، وسليقته المرهفة، وذائقته البيانية الباهرة، فاندفع يصوغ المعاني الفخام بالعبارات الجسام، ويبدع التعبيرعن المضامين القلبية بأروع الاطر اللفظية والاوسمة البديعية، فلو انه بذل من وقته للمنحى الادبي كالذي بذله لمجالات ابداعه الاخرى لكان المؤدى أديبا ألمعيا يبهرالاذواق البيانية، ويجعلها تنحني لشموخه كما انحنت غيرها من الاذواق الفكرية والاصولية

امام فكره العملاق المتفرد، وعقله الشامخ المتين الذي امتاز بالاستثنائية المذهلة.

حين نقف على ضفاف البلاغة الصدرية في كلمات الصدر وكتاباته، وفيما كتبته اخته الاديبة البارعة (بنت الهدى) التي شهدت هي انها موضع الرعاية المتميزة من اخيها في كل ما تكتب، وانها نهلت من نبعه الفياض، واثْرت من عطائه الوفير، وافادت من حضوره في خطى لسانها وبيانها وسلوكها، حيث عزفت عن المنهج الرسمي للتربية والتعليم وجامعاته، مستغنية افضل الغَناء بما في بيت ابيها من كنوز العلم، وبركات المعرفة، وفيوضات التربية، الالهية المنسابة بابهى الوان الطهر والطيب والتسامي، ومن هنا انطلقت في مضمار الاداء بكل تميزها المثير بادبها، وثقافتها، وشموخها، وتمحضها لرسالتها.

حين نقف هناك متأملين بكل رهافة الاصغاء، وبراعة الاستيحاء، سوف نستطيع ان نستجلي معالم القدرة الادبية الصدرية التي ازدهت بفاتنة (السهل الممتنع)، والتي ان احتاجت الى شاهد يشير الى ألقها المثير كان ذلك في كتاب الصدر عن نحلة الزهراء (فدك)، التي استثارت عبقريته في فن علم الكلام، فطوى ارجاءه الممتدة بمنطق البرهان، منساباً كالندى مع عبقات اللسان ونفحات البيان.

اليس الصدر هو الذي يقول في ذلك الكتاب مبدعا محلقا في عوالم الافصاح المكين عن مكنون روحه وشاعريته؟:

(وقفت ـ الزهراء ـ لا يخالجها شك فيما تقدم عليه، ولا يطفح عليها موقفها الرهيب بصُبابة من خوف او ذعر، ولا يمر على خيالها الذي كان جديا كل الجد تردد في تصميمها، ولا تساورها هاجسة من هواجس القلق والارتباك، وها هي الان في اعلى القمة من استعدادها النبيل، وثباتها على

خطتها الطموح، واسلوبها الدفاعي، فقد كانت بين بابين لا يتسعان لتردد طويل، ودرس عريض، فلا بد لها من اختيار احدهما، وقد اختارت الطريق المتعب من الطريقين الذي يشق سلوكه على المرأة بطبيعتها الضعيفة، لما يكتنفه من شدائد ومصاعب تتطلب جرأة ادبية، وملكة بيانية مؤثرة، وقدرة على صب معاني الثورة كلها في كلمات، وبراعة فنية في تصوير النقمة ونقد الاوضاع القائمة تصويرا ونقدا يجعلان في الالفاظ معنى من حياة، وحظا من خلود، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة، وسندها الخالد في تأريخ العقيدة، ولكنه الايمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها، ويفجر في الطبائع المخذولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد.)

(وكانت في لحظتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شبحا قائما ترتسم عليه سحابة حزن مرير، وهي شاحبة اللون، عابسة الوجة، مفجوعة القلب، كاسفة البال، منهدة العَمَد، ضعيفة الجانب، مائعة الجسم، وفي صميم نفسها وعميق فِكرها المتأملة اشعاعة بهجة، وأثارة طمأنينة، وليس هذا ولا ذاك استعذابا لِأمل باسم، او سكونا الى حلم لذيذ، او استقبالا لنتيجة حسنة مترقبة، بل كانت الاشعاعة اشعاعة رضا بالفكرة، والاستبشاربالثورة، وكانت الطمأنينة ثقة بنجاح، لا هذا الذي نفيناه، بل على وجه اخر، وان في بعض الفشل الآجل ايجابا لنجاح عظيم، وكذلك وقع، فقد قامت امة برمتها تقدس هذه الثورة الفائرة، بل تستمد منها ثباتها واستبسالها في هذا الثبات.).

(ودفعتها افكارها في وقفتها تلك الى الماضي القريب، يوم كانت موجات السعادة تلعب بحياتها السعيدة، ويوم كان نفَس ابيها يصعد، ونسمه يهبط، وكان بيتها قطب الدولة العتيد، ودعامة المجد الراسخة المهيمنة على الزمن الخاشع المطيع.)

(وهنا بكت بكاءً شقيا ما شاء الله لها ان تبكي، ولم يكن بكاءً بمعناه الذي يظهرعلى الاسارير، ويخيم على المظاهر، بل كان لوعة الضمير، وارتياع النفس، وانتفاضة الحسرات في اعماق القلب، وختمت طوافها الاليم هذا بعبرتين نضّتا من مقلتيها.)

(ارتفعت الزهراء باجنحة من خيالها المطهر الى آفاق حياتها الماضية، ودنيا ابيها العظيم، التي استحالت – حين لحق سيد البشر بربه ـ الى ذكرى في نفس الحوراء متألقة بالنور، تمد الزهراء في كل حين بالوان من الشعور والعاطفة والتوجيه، وتشيع في نفسها ضروبا من البهجة والنعيم، فهي وان كانت قد تأخرت عن ابيها في حساب الزمن اياما او شهورا، ولكنها لم تنفصل عنه في حساب الروح والذكرى لحظة واحدة.

...... ففي جنبيها معين من القوة لا ينضب، وطاقة على ثورة كاسحة لا تخمد، واضواء من نبوة محمد، ونفس محمد تنير لها الطريق، وتهديها سواء السبيل.)

(وتجردت الزهراء في اللحظة التي اختمرت فيها ثورة نفسها عن دنيا الناس، واتجهت بمشاعرها الى تلك الذكرى الحية في نفسها، لتستمد منها قبسا من نور في موقفها العصيب، وصارت تنادي:

اليّ يا صور السعادة التي افقت منها على شقاء لا يصطبر عليه.

اليّ يا اعز روح عليّ واحبها اليّ.. حدثيني، وافيضي عليّ من نورك الالهي كما كنت تصنعين معي دائما.

اليّ يا ابي اناجيك ان كانت المناجاة تلذ لك، وابثك همومي كما اعتدت ان افعل في كل حين، واخبرك ان تلك الظلال الظليلة التي كانت تقيني لهيب هذه الدنيا لم يعد منها شيئ).

(صرخة باركتها الزهراء، ورعتها السماء، فكانت عند اندلاعها محط

الثقل الذي تركزعنده الحق المذبوح، والمحاولة اليائسة التي شاعت حولها ابتسامات امل استحالت بعد انتهائها الى عبوس مرير، ويأس ثابت، واستسلام فرضته حياة الناس الواقعة يومذاك).

(اذا كان التجرد عن المرتكزات، والاناة في الحكم، والحرية في التفكير، شروطا للحياة الفكرية المنتجة، وللبراعة الفنية في كل دراسة عقلية مهما يكن نوعها، ومهما يكن موضوعها، فهي اهم الشروط الاساسية لاقامة بناء تاريخي محكم لقضايا اسلافنا، ترتسم فيه خيوط حياتهم التي صارت ملكا للتاريخ، ويصور عناصر شخصياتهم التي عرفوها في انفسهم، او عرفها الناس يومئذ فيهم، ويتسع لتأملات شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم، يتعرف بها على لونه التاريخي والاجتماعي ووزنه في حساب الحياة العامة، او في حساب الحياة الخاصة التي يُعنى بها الباحث، وتكون مدارا لبحثه، كالحياة الدينية والاخلاقية والسياسية الى غير ذلك من النواحي التي يأتلف منها المجتمع الانساني، على شرط ان تستمد هذه التأملات كيانها النظري من عالم الناس المنظور، لا من عالم العواطف والمرتكزات، وينشئه التعبد والتقليد، لا من خيال مجنح يرتفع بالتوافه والسفاسف الى الذروة، ويبني عليها ما شاء من تحقيق ونتائج، لا من قيود لم يستطع الكاتب ان يتحرر عنها ليتأمل ويفكر كما تشاء اساليب البحث العلمي النزيه).

(كلنا نود ان يكون التاريخ الاسلامي في عصره الاول الزاهر طاهرا كل الطهر، بريئا مما يخالط الحياة الانسانية من مضاعفات الشر، ومزالق الهوى، فقد كان عصرا مشعا بالمثاليات الرفيعة، اذ قام على انشائه اكبر المنشئين للعصور الانسانية في تاريخ هذا الكوكب على الاطلاق، وارتقت فيه العقيدة الالهية الى حيث لم ترتق اليه الفكرة الالهية في دنيا الفلسفة والعلم، فقد عكس رسول الله روحه في روح ذلك العصر، فتأثر بها، وطبع بطابعها الالهي

العظيم، بل فنى الصفوة من المحمديين في هذا الطابع، فلم يكن لهم اتجاه الا نحو المبدع الاعظم الذي ظهرت وتألقت منه انوار الوجود، واليه تسير، كما كان استاذهم الاكبر الذي فنى الوجود المنبسط كله بين عينيه ساعة هبوط الرسالة السماوية عليه، فلم يكن يرى شيئا ولا يسمع سوى الصوت الالهي المنبعث من كل صوب وحدب، وفي كل جهة من جهات الوجود، وناحية من نواحي الكون يعلن تقليده الشارة الكبرى.).

يقول رضوان الله عليه في رسالة الى احبابه:

(يا من افتقدتهم او افتقدت قربهم، وانا احوج ما اكون اليهم، واشد ما اكون طلبا لعونهم، يا من بنيتهم ذرة فذرة،وواكبت نموهم الطاهر قطرة فقطرة، وعشت معم السراء والضراء، واليسر والبلاء، ولم ينفصلوا عني في اية لحظة من لحظات الليل العبوس او النهار المشرق!

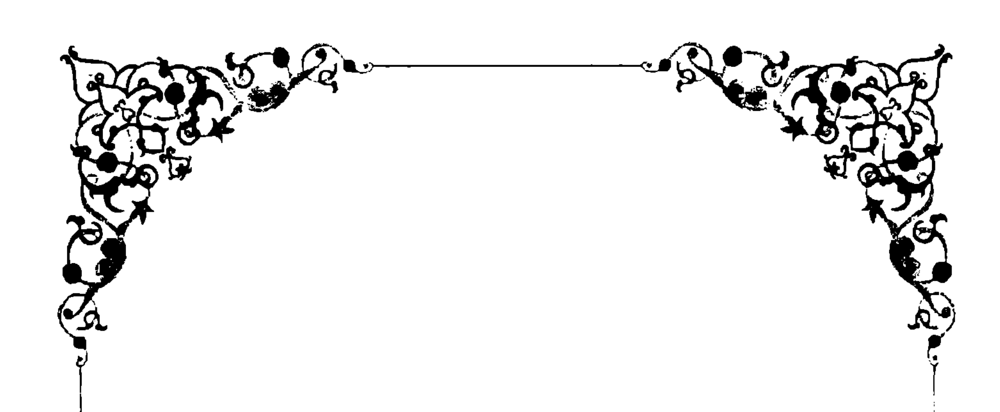
يا من اجدهم رغم ابتعادهم، واجدهم في كل مل حولي رغم خلو الديار منهم، وكيف لا اجدكم يا اولادى معي وكل شيئ في نفسي او خارج نفسي يذكر بكم، ويشير اليكم، وينبه الى ايامكم، وهل هناك اقوى دلالة واعمق اشارة في هذا المجال من الفراغ الذي خلفتموه في هذه الرحاب، في هذه الديار، هذا الفراغ الذي يصرخ باسمائكم باستمرار، لانه فراغ رهيب عاطفيا ومنطقيا. فانتم معي على الرغم من الزمان، وعلى الرغم من المكان، ولتكن هذه المعية في الله، ومن اجل الله، تعبيرا حيا عن لقائنا باستمرار، الى ان يجتمع الشمل وتعود الاغصان الى الشجرة الام).

واذا كانت البلاغة والفصاحة وملكة البيان تعرّف لدى اهل الاختصاص بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وخلوه من الضعف والتنافر والتعقيد، ومباشرته المعاني بطرق مختلفة واضحة الدلالة على المقصود – فما ابلغ

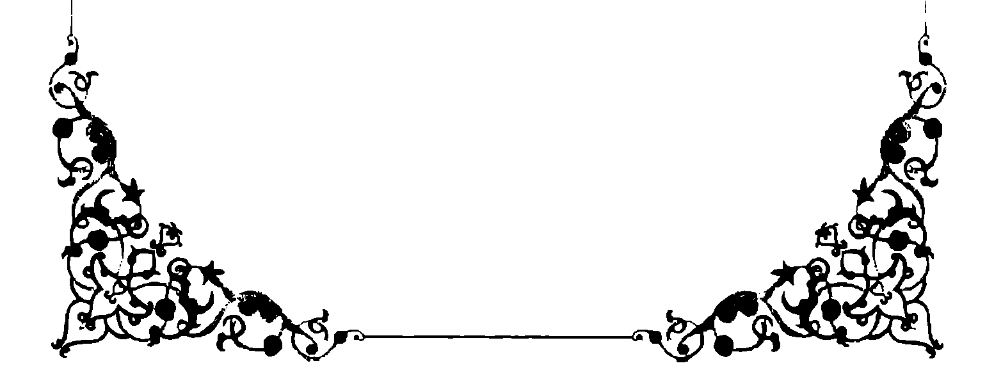
الصدر وافصحه وهو يتقن اداءه ملحمة الصياغة الباهرة لحماسة (الفتاوى الواضحة) باسلوبها الفذ، واستكناهها العميق ذوق القارئ، ومناغمتها الفريدة فهمه، ومقاربتها البديعة ادراكه، وسعيها الجاهد في الوصول الى مطلوبها المقدس الرفيع الذي اخلصت له نيتها، ونزهت ذاتها، والغت النياشين والعناوين والبريق، وعافت شارة التعقيد والتقعر التي حسب غيره انها وسامهم الذي يرفعهم في عيون الناس وان اخسرهم نفعهم، وحرمهم الجدوى المفروضة، وهي الدلالة الهادية على طريق الرشاد.

قداسة الهدف، وبراعة الاستهداف، ولسان الحديث البالغ منتهى الدقة في المسير الى الغاية وهي التفهيم، كل اولئك كان الميزة الباهرة لادب الصدر النافذ في اغوار الفن البياني، والمنطلق على مسار الانجاز للمراد البلاغي الذي يتطلب الافهام باعذب الكلام.

و على منحى الفتاوى الواضحة كانت الحلقات الاصولية الثلاث التي كشفت اروع كشف هوية الصدر المتجذرة في محتد الشموح البياني البديع الذي يستجلي الحقيقة المعقدة للاخرين بافصح الخطاب، فيمنحمهم عوائد الفهم لاعقد المطالب بايسر الاسباب، ليستبين الصدر كما مرّ في القيم العلمية رائد التجديد والابداع، ورافع اللواء الفذ لواء الفتح حتى على هذا الصعيد.



لماذا صمم الشهيد الصدر على التضحية؟



الشهيد الصدر عالم ثائر لله وللحق، ملأ ساحتنا في العراق وخارجها بفهم الاسلام الاصيل، وروح الثورة المضحية، ووعي الصحوة الرائدة. وقد بذل لقضيته المقدسة التي منحها صفو الاخلاص، وصدق النية، وشموخ التصميم – علمه الذي فاق مداده دماء الشهداء، ونداءه الذي جسد نداء الرسالة، ثم وهبها دمه المسفوح لله وللامة، آية بينة للعلم المسؤول، وامانة الريادة، ووفاء التصدي، والمشاراة مع الله، حيث كان العوضان: نفسا صدرية عاشقة عمّ عبيرهواها القدسي ربوع الايمان، ومقعد صدق اعده للمقربين من اشترى تلك الروح المطهرة (ذلكم الله رب العالمين).

ان من يسأل: (لماذا صمم الشهيد الصدرعلى التضحية مع علمه بانه سيقتل؟) هو كمن يسأل: (لماذا صمم الشهيد الصدرعلى الاستشهاد؟)، وحين تكون روح السؤال هي هذه، تكون الاجابة عنه واضحة، وعن كل ما يملأ حواشي هذا السؤال الكبير من استفهامات:

هل نسي الشهيد الصدر شدة العدو المجرم وبطشه الذي عدم مثيله في التاريخ؟.

هل نسي قلة الناصر وضعفه في ميدان المجاهرة، لانه اعزل امام عدو مهيمن مدجج بالسلاح؟

ـ الم تخلق له تلك التهديدات موضوع حكم واضح في الشريعة اسمه (حرمة القاء النفس في التهلكة)؟

ـ الم يعلم ان فقدانه خسارة كبرى للدين والشريعة التي كان لواءها الفاتح، ووعيها الثائر، واعجوبة فكرها للزمان؟.

الم يعلم ان زمان القضية الذي اسس له من خلال تسليم القلوب التي هرعت الى قيادته بمنتهى الحب والولاء – سيخسر بفقده قائد المسيرة في طريق ذات الشوكة، وربان السفينة في الخضم المزبد؟

اولم يكن في مقدوره ان يخلص نفسه من براثن الشر المحدق به، بل المنية التي راحت تتربص به ساعة يؤذن لها لتنتهي قصة الشبح الرهيب الذي جثم افظع كابوس على صدور الطغاة؟.

اولم يكن من نية الكوادر الثائرة ان تخلص قائدها من مخالب القتل اذا هو اذن لها ان تيسر له سبيل النجاة، ليواصل ثورته من بقعة اخرى من ارض الله الواسعة؟.

اولم يكن في وسعه (وباب التقية واسع عريض، نجا من نجا به من شرور الظالمين) ان يحفظ نفسه من حكم الاعدام الذي عُلق تنفيذه على شروط قد يكون في مقدوره ان ينفذها، لينجو باسباب التقية التي قد يبيح الاخرون على اساسها حفظ النفس المحترمة عند الضرورة بقتل غيرها، حيث يتزاحم حفظها مع هلكة سواها، وهي اولى لصاحبها بالبقاء؟.

استفهامات شتى من هنا وهناك، تثور امام عقل الثورة الصدرية المبدع، وعشق روحها المستهامة بالبارئ العظيم، واستشفافاتها الموصولة بعلمه من وراء العالم، وارهاصات الموقف الذي لا بد منه لحقيقة دوره الكبير، وكرامة صاحبه الذي حباه الله بها تجلّة له، واعزازاً لشأنه، وتنزيها له عما سوى المفاخر والمحامد، واختيارا لغبطته التي يعرفها الله، ولا يعرفها سواه.

وتجيب هذه المناقب الفريدة على تلك التساؤلات من علياء الحقيقة السامية، توحي به ملائكة الكرامات الصدرية التي كانت تسلك رصدا بين يدي الصدر ومن خلفه تصونه من غير مدارج المجد ومعارج الكمال بامر الله الذي يخلق ما يشاء، ويختار من عباده حجته البالغة بأمانة كلماته وبيناته.. ويشير جوابها باصبع التوقير الى خدمة الاسلام على طريق ذات الشوكة، حذو سيد النبيين وآله الطاهرين الذين اضنتهم الهموم، وادمتهم الاشواك، وشحنت المحاجزات صدورهم بالغيظ، وجبهتهم الاعاصير العاصفة، ودوت من فوقهم

الرعود، فما استكانوا لمندوحة التبريرات، ولا مالوا الى الاعذار الساهية، ولا ادالوا الراحة من الاذى الذي اتخذوه انيسا منذ انسوا بروعة الحب الالهي الذي وجدوه في المكاره التي حفت بها الجنة في المنأى القصي عن الشهوات التي حفت بها النار، فكانوا قرابين الرسالة، فهم ما بين ذبيح، او مسموم، او خائض في لجج الخطوب وغمرات المحن التي طلعت بها عليهم قسوة الطغاة الحاكمين الذين سنوا لهم ولمن بعدهم سنة (الحظر) على الاسلام الاصيل ورواده المخلصين، وحكموا عليهم بالفظائع، وشحذوا لهم سيوف الابادة بلا لين ولا هوادة.

وأروهم للتهويل عليهم بوائقهم بهم وبالمخلصين من اصحابهم واتباعهم، وهيهات ان تغني نذرالظالمين عن قوم هم حجة الله اللائحة، ومحجته الواضحة، تصلدت بالكروب صخرة صمودهم على الهدى، وشمخت كالقمم الشم كبرياء الحق فيهم، فهي في كبد العزة القعساء لا تنالها يد الاذلال، ولا تنوشها همة التوهين، ولا يشوبها نزر من عيب المناقص، ولا يمازجها شيئ من شين العيوب. ولن تقف باؤلئك المجاهدين الميامين قلة الناصر ولا شدة العدو دون الهدف الذي شخصوه باداء التكليف، سواء عليهم أبلغوا مأمولهم في مساره، ام صدهم دونه المبطلون بأسباب القهر.

ولم ينتهزوا فرصة المعاذير التي انتهزها من لا حريجة له في تقوى الجهاد، ووظيفة المرابطة الدائبة في ثغور الفداء، ومراصد الوثبة للحق المهتضم.

وقد رأى الصدر على سنة آبائه الميامين ان التضحية هي وقود الرسالة، وان الدم الطاهر المهراق في ذات الله هو الكأس الرويّة التي ينقع بها غليل الكبد الحرى للهدى الذي جعجعت به جحافل الضلال، فالجأته الى المفاوز والكهوف، فصلا نكدا له عن الواقع، وحجبا مرا له عن الدنيا المعاشة التي لم

يتنزل الا لها، ولم يتضوع عبيره السماوي الا ليغمرها شميمه الذاكي، ويسطع عرفه الاسمى في ارجائها الهابطة المختنقة. وهوﷺ يرى كما اجداده الطاهرون ان تصدي القائد لا يكون الا بصدق المواقف، والعمل بالقول، والمبادرة الى ما يأمر قبل المأمورين، والانتهاء عن المناهي قبل المنهيين، والعزوف المطلق عن الحطام الذاهب والعرض الزائل ابتغاء وجه الله، وطلبا لما عند ه من الانس الخالد، والحياة السامية الباقية، وكرامة الشاهدين رجال الاعراف، وشهداء الامم، وحجج الله على بريته.

وقد امر الصدر اتباعه، ونهاهم، وحظّهم، ودعاهم، واستدعاهم الى بذل الدم الفوار، وورود لهوات الخطوب، ومعامع الآلام، وملاحم الكربات، في ذات الله الذي ابتاع من عباده الاصفياء انفسهم واموالهم، فما وهنوا، ولا استكانوا، ولا ركعوا امام دواعي الراحة، وهواتف النفس الامارة، ونزغات الشيطان ونفثاته.

وصدق الصدر القائد من قادهم مسلسين الى نعيم الامتثال، وروضات الالتزام، في جنات المشاكلة بين المقال والفعال، والمواءمة بين الموعظة والاتعاض، فهبّ قبل جنده شغوفا بهوى الاغلال والمعتقلات والسياط، محبورا بأوسمة الهزاهز والرعود، حفيا بالاذى لله وللاسلام في اعلى درجاته في لهوات الشجون والمرارات.

ان الصدر السخي لدينه كان يرى شهادته في عالم الخنوع الذي سام الاسلام خسفا، واولاه اقصاء وضعفا ـ هي درساً حسينيا صارخا، وصيحة صاخة كبرى في مسمع الهمود المطبق، وشعلة وهاجة للفداء، تضيئ نفوس الواهنين بضياء الطريق الى الوثبة، وعزمة دافقة من الدم المسفوح من محجة التضحية، يبعث في شرايين الخائفين حرارة الجرأة... وحذا الشهيد الصدر حذو القذة بالقذة على معالم الطريق الطفي الذي خطه دم السبط الشهيد دربا

للاباة، ومنهجا للثائرين، وثورة في النفوس، وصحوة في الافئدة، ورشدا في الالباب، ويقظة في الضمائر.

الصدر المستلهم يرى ان طامة البعث التي تأست فاحسنت التأسي بالخطب اليزيدي، وفاقته في مظاهر الجور والعدوان التي جسدت كل جرم الارض وقسوة العالم ـ لا يصك سمعها الا صوت الدم المظلوم، ولا يهزعرشها الا زلزال الروح الفادية التي تتفجر في عمق الواقع كانشطار ذري رهيب، حين تعري الواقع الاثيم، وتشحذ الهمم الوانية، وتنبت غرس الفداء في نفوس طلاب الثأر وان كانوا في اصلاب الرجال، وارحام النساء، او في ملاعب الصبا، ومراتع الشباب.

ومن هنا انبهرت الدنيا بذلك الغرس المبارك الذي طلع عليها في انتفاضة شعبان الخالدة، حيث مادت الارض من صيحات من لم يروا الصدر ولا عايشوه من ابنائه الذين اودعهم امانة دمه الكريم، من خلال وحي العملية الاستشهادية العملاقة المتأسية التي تفرد بكرامتها، كما تفرد اسوته ثائر كربلاء بكرامة الثورة الابية الرافضة الى الابد.

والصدر الذي يرى ان الله تعالى قد بوّأ له مكان بيت الوعي، فرفع قواعده بعقله الرائد، واعلى بنيانه، وشاده بفكر وِتْر، وفهم فذ، وتجديد مبدع خلاق، فصال باقتداره الشامخ صولة الاسد الهصور على الحُمُر المستنفرة لضلالات الدنيا، وجاهليات الغاوين، وحماقات البشر، حيث اخذ الاسلام اسمى مكان في العقول والبصائر – يرى انه قد ادى اصل ما عليه من وظيفة العالم المرشد، وجُل ما الزمه الله به من تكليف الامام العليم، وبقي عليه رأس البر، ومنتهى الفضل، وغاية التسامي في رحاب الجهاد بالورود على حياض الشهادة، لتناغم معانقة السيف اهازيج القلم والكلم، ولتوائم روح الاستشهاد روح الدعوة والفداء، وليزهو تصديق الكلمات بواقع الفعال الباهرات،

وليشمخ الصدر تاجا للخلود بألق الشهادة على شتي فنونها، شهادة السلوك، وشهادة المداد، وشهادة الريادة، وشهادة الدم، وشهادة الظلامة.

ولله هو حيث يعرض عن بريق الامجاد الدنيوية الباهرة، وشموخ الشخصية الباذخ، وعز النبوغ الذي لا يرام، وعرش الظهور المدهش الذي قيل له استو عليه ملكا فاتحا ظفر باجلال القلوب، وتعظيم العقول، ووله العاشقين!!

ولله هو حيث يذر ذلك كله لتذروه ريح الرفض بعنفوان اليقين، وسطوة الاباء، وصدق الاحتمال لاعباء التصدي، وذوب الروح العاشقة في هيامها المقدس!!

وظل الصدر يخطو خطواته الراسخة في عالم الاباء والفداء، ونداؤه يحذو تلك الخطوات المقدسة: (لقد صممت على الشهادة.. ولعل هذا اخر ما تسمعونه مني...)

كأنه يستعيد لذاكرة التاريخ خطى جده السبط الى المنحر، يهدهد على ركب الفداء الذي كان يقوده بكلماته الخالدة: (القوم يسيرون والمنايا تسير معهم)، (لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين الا برما.)

ويأبى الصدر الا تحقيق معجزة التأسي التي كان يطمح اليها بقلب واله ونفس شغوف، يجسد ذلك بدأب الزيارات لجده في كربلاء، وترديد النداءات الحسينية، والتلويح امام الظالمين براية الفداء التي رفعها رائد الثورة المجيدة، بضعة المصطفى، وأورث مسؤولية اعلائها امثال الصدر من الاباة الاوفياء، المتأسين بسيد الشهداء.

علام لا أرثيه؟!

يقولون علام لا ترثيه وانت العارف به؟، وحري برزئك ان يكون على

قدر عرفانك، وبرثائك ان يكون صدى ثورة الشجى بين جوانحك تغمرها في الاعماق لوعة وتر، وحسرة بلا مثيل.

قلت يخسأ الرثاء ولو بكلماته الدامية قدت من قلب البيان بعزة ابداعه، ولو بحروفه الجمرية صيغت من عزمات البلاغة في ذرى شموخها ـ ان يجسم الحقيقة للاسى الفرد الذي يأبى الا ان يكون مذابُ القلب مثالَه المحسوس، وتخسأ الاشارات والادوات ان يكون في وسعها الافصاح عن ذلك الالم البعيد القاصي، الذاهب في النأي كل مذهب، النابت في كبد الاستعصاء بروحه الطلسمية التي لا تعرف لها هوية ولا ماهية.

ماذا يريد ان يكون الرثاء؟ ايجرؤ ان يكون شفاء اللوعة الثائرة التي عيّ بكنهها سعي الخيال، وبلسم الكلم الراعف الذي حار به وصف المقال، والجزاء الوفاق لشراسة افظع الاتراح، وقسوة ابلغ الجراح؟

اتريد كلمات التفجع بكل بلاغتها ان تطلع بوجه الفاجعة، وحقيقة وجهها قد استعصت بالمحال في احناء القلب لا تريم: دما فائرا يدفعه نبض البركان اسى في العروق كأنها الحمم المتلظية؟.

وماذا تريد تلكم الكلمات وان نمقتها يد الفصاحة المبدعة ان تجسد من حقيقة الحدث:

طفيّته التي هي شنجة كربلاء في يومها الخالد، وماذا بلغ منها المفوّهون والشعراء؟.

حماسته التي لم تشفع وهي نبتة عاشوراء في رمضانه القانية، وكم مرقاة صعدت اليها المشاعرالصادقة شفت ببعض سعيرها الالفاظ؟. شموخه الرافع المغذّ صعدا في افق العلياء المتناهي، صعقت لهول الفرط في علوه عزمة الحلوم النافذة في تحليقها؟.

ظلامته المتأسية التي ابت الا صدق التأسي والاقتداء، فطلعت كانها

اصلها الذي دعاها من ذروة الخلود الى المحاكاة، فهشت محبورة مهطعة الى الداعي الكريم، تقودها خصال الفخر والمحتد العظيم، الى حيث منتهى الاحلام، وغاية سعي العظام؟.

فاجعته الممتدة في عمق اسى التاريخ المؤتلف في محتد الفواجع، ورزء صاحب الاوصال الممزعة في ثرى الملحمة الكبرى التي طوت عليها الآماد وتطوي جرحا ابديا بلا نظير؟.

جمرة غلوائه المتوقدة التي لا يطفئها تهتان الدموع، وثورة بأسائه الجامحة التي لا يسكنها ما هو آلم منها، وانى ذلك، ودمه نازف فوار ساوره النضوب فارتد مقهورا، وقد ازبدت في وجهه اثباج موجه الهادر، تنهد غضبى من حشود القلوب الولهى التي بكته نجيعا حين عزعلى مألوف البكاء ان يكون فيه بعض الشفاء، وبايعته على الصدق والوفاء بنزفها الواصب حين لم تجد في غيره آية الوفاء؟.

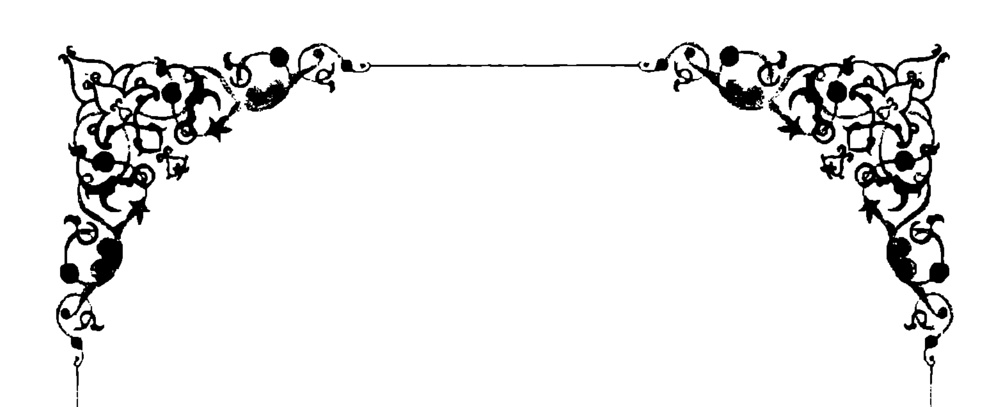
نأيه العصي عن ان يصيب به المظلومون وِتْرهم وتِرتهم ولو رووا سيوفهم من دماء كل الطغاة، فهم والحسرة كمن حالفها، يسامرها في نديّ الالم، في ليل مثقل، كبل الدهش فيها كواكبه، فهي مثقلة الخطى، كأنها تحمل اوزار الدنيا؟.

وكيف يكون كفء جرح السماء جرح الارض؟!، وعدل فاجعة الملائكة المقربين فاجعة الشياطين؟!، وشفاء غيظ التوحيد لاوليائه الابرار غيظ الشرك لاخلائه الفجار؟!.

وتبقى الحسرة مقيمة لا تضعن على عهدها مع القلوب الاسيانة، تسرح في حماها بسَورة التفرد، حتى تثب وثبتها: قروحا حممية منهلّة تقيؤها افواه المعذبين بأساهم، فتكون فيها نفوسهم، دأب تلك الوثبة الفقماء التي كانت فيها نفس سيد الانبياء.

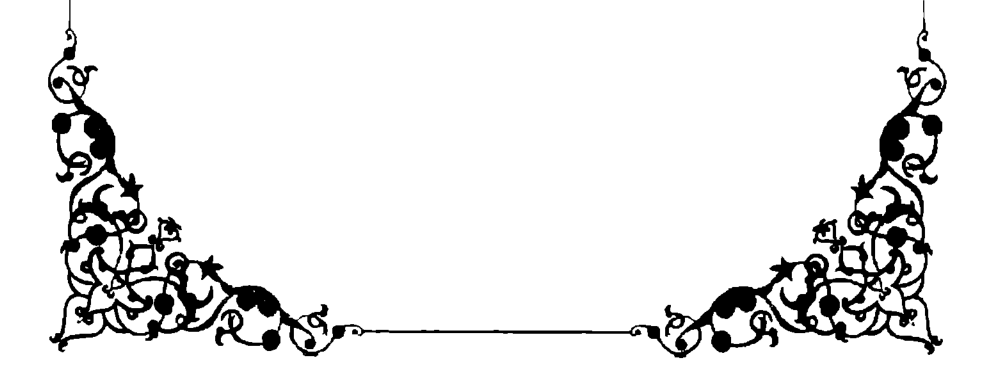
ويبقى جزاؤها الاوفى خلودها في الدنيا: ترانيم للمجد تشنف بها اسماع الوالهين للمعالي، واناشيد للسمو يطرب لها المتيمون بالذرى، المغرمون بارتياد النجوم، ويدا فولاذية تبطش بطشها العياء كأنها مبرم القضاء، تفجر العزائم والهمم لله، وللعانين، وحرمة الدين المبين، ثم اوبتها خير مآب في زمرة الاعراف الشاهدين مع النبيين والصديقين، في مقام كريم تخر له العلياء مبهورة في محراب الاجلال والتقدير، وتصعق العظمة بثورة حيرتها من تجلّي شموخه المثير.. هنالك دار السلام، في ظلال الروح والريحان، وبهجة الرضوان، في انس ابدي ليس له انصداع ولا انقطاع، وبسمة ندية واصبة ما لها فتور ولا دثور.

ويبقى عزاؤنا في مصابنا: سنة البلاء، وظلامات الاصفياء، وخطوب الاولياء، حباهم بها الرحمن تكرمة وحنانا، واجتباهم بها لطفا واحسانا، وتبقى السلوى كرامة القتل على ايدى اللئام وساما يلتمع على صدور الكرام، يشع من وجهه المشرق البهي بهاء الفخار، ويفوح من روضه العابق الفياح شميم الصبر والانتصار.. وتبقى الشهادة عطاء رب العالمين لاودّائه المقربين ـ هي خير ما به العزاء الامثل عن المصيبة الجلل.



الشهيدة بنت الهدى..

الاستثناء الفذ



الى العالمة العاملة والواعظة المتعظة.
الى التي شاطرت أخاها مجدد الطف حماسة الفداء على خطى زينب.
الى قربان الرسالة من نسائها الشامخات.
الى وسام حواء لكل بناتها الحافدات على طريق المآثر.

الفصل الأول
السيرة الذاتية

ولدت الشهيدة الخالدة (بنت الهدى) في مدينة الكاظمية الشريفة، في ١٩محرم عام ١٣٥٦للهجرة، لتكون الولد الرابع عشر للابوين الكريمين (حيدر الصدر وبتول آل ياسين)، وقد كانت ولادتها بعد ولادة اخيها محمد باقر بثلاثة اعوام، وجاءت على اثر رحلة طويلة مع الثكل، قطعها الوالدان في مسار الابتلاء والاختصاص والمن الالهي بموجبات المغفرة، وقرب المحتسبين في معارج الصبر والاحتساب، حيث احتملا مزيد العناء في مكابدة المرارة الناشئة من فقد الابناء والبنات الذي طال احد عشر منهم قبل مجيئ بنت الهدى الى الدنيا، ومن هنا كانت الحفاوة البالغة بمقدمها مفعمة بالخوف، والقلق، والتربص المرير، والخشية البالغة من ان تكون عادية الردى قد اعدت لآمنة مقعدا في قطارها الذي استأثر مشغوفا بالحضور الواصب فيه لافلاذ هذا البيت الكريم.

في اجواء السرور، والدعاء، والترقب، والامل الكبير برحمة الله، وكلاءته، كانت آمنة الصغيرة الحالمة تنقل خطاها الناعمة على طريق الحب والاشفاق والرعاية الفائقة الى جنب اخويها الكبيرين: اسماعيل الذي يكبرها بستة عشرعاما، ومحمد باقر الذي سبقها الى الدنيا بثلاث سنوات.

كان الجميع محبورين بها غاية الحبور، وهم يرون فيها ريحانة البيت الوحيدة التي وجد لها من فيه بهجة متميزة، وهي تدلف عليهم من باب الوجود لتشكل في هذا الركب الكريم ركنه الخامس الذي يتنسم معه انفاس الحياة في رحاب الشرف والورع والكرامة.

ربما لم يغب عن بال الام المعجبة المشفقة ان بيتها الزاهر الذي حدثتها عنه الارهاصات، والرؤى، والاستشرافات، والنكبات، واحاديث العقل الباطن، وهمسات الاستشفاف – هو بيت موسوم بالشأنية التي تجعله موضع التميّز بمقدار تميزه بالمحنة واللوعة والحصار النفسي في دوامة الاسى والالم والاصطبار، ما دام الصبح لا يطلع الا من بين احناء الليل الايهم، وما دام وقع الفرج لا يتعاظم الا بعد وقع الشدة، وما دامت شواهد التاريخ الرسالي من اوله الى منتهاه قد سجلت شهادتها القاطعة للمحنة، والقلة، والمصابرة، وبقية الكرب والسيف والمنبت الطهور، انها موضع اللطف، والانماء، والعواقب الباهرة التي تصنع جلائل الاحداث، وتبدع عظيم المواقف، وتنجب التحولات الاستثنائية في مسيرة البشرية، لتقول حكمة الله على لسانها ان الله غالب على امره، وان الفتوحات ليست بالكثرة، والراحة، والنعيم، والدعة، فشوط الخطى الى الانتصار محفوف بالاذى والخطوب، ولا يبلغ فيه غاية المرام الا من لفحهم وهج الآلام لينقي تبر عزائمهم، وصقل قلوبهم وجع المكابدة والمعاناة، وشحذ هممهم مِسنّ الصعاب، واستنفرت فورة الاعداد والاستعداد لديهم مخاضات ذات الشوكة ونكباتها.

ومشت الايام بالصبية المحبورة بنعمى الوداد والحياطة والاهتمام، واوقفتها حينا من وقتها ملتاعة على مستوى ادراك مثلها في ذلك العمر الغض امام غصة الاحساس بلوعة اليتم، حيث فقدت اباها الكريم وهي في الشهر السادس من عمرها، لتجد نفسها بين احضان امها واخويها المفجوعين

بالكارثة التي تمنوا ان لا تأخذ مأخذها من ريحانة البيت المتضوعة فيه باريج الانس والسلوى والعزاء. وفي هذا المحفل الموسوم بالبلاء بين الايّم واليتيمين سجلت آمنة حضورها الدفاق بالبراءة، والصفاء، والسطوع، والنعومة المرهفة، والخير المرتجى الذي حفت به الطاف الله سبحانه في تجليات هذه الامال والجهود التي فرشت الطريق لخطواتها الوادعة الى المستقبل الواعد، حيث حظيت بمنتهى الاهتمام، والرجاء، والدعوات الصادقة، والحفاوة الخلاقة، والمشاريع التربوية البناءة، والحكمة الرشيدة المهذبة، مستغنية بذلك عن كل وسائل التربية والتعليم التي وسمت بها الدولة مدارسها ومؤسساتها التعليمية

كانت تسير على خطى اخيها محمد باقر في النبوغ، والتألق، والتلقي المستوعب، المستحوذ للعلم والفضيلة، والاحساس المبكر بضرورة الابداع، والعطاء، وحسن الاداء. وكانت انطلاقته الوثابة تثير فيها الغبطة المحفزة، وتستحث همتها الحالمة الى المحاكاة والمجاراة، والى التزود من نبعه ونبع اخيه الاكبر السيد اسماعيل ما تكون به ريانة الفؤاد، ناقعة الغليل، مترعة الفكر والمشاعر بالعلم، والفهم، والحكمة، والبصيرة.

وحيث كانت ترى اخويها يبدعان في مجال القلم ابى عليها عزمها الوثاب الا ان تحذو حذوهما، فكان مجال قلمها (نشرة جدارية) تكتبها بكل فصولها، لتعلقها للقارئات من الزائرات واولات الارحام والمعجبات. ونشطت بها الهمة المقتدرة الى طموح متألق أعانها على السير نحوه اخوها واستاذها الحفي – وهو ان تكتب في مجلة الاضواء التي اصدرتها جماعة العلماء، وانطلق يراعها اليافع المشحون بالهمة ليكتب في شؤون الرسالة والقضية الاسلامية، ولكن تأبى رواسب القيود، والعقد، وسلطة الموروث، وقيم الواقع المريض، حتى على اللجنة المشرفة على الاضواء ان تنشر لآمنة باسمها

الكريم، فرمزت له بحرفين من حروف الهجاء (ا ـ ح) اشارة الى اسمها واسم ابيها.

ولم تهن او تضعف، ولم تقعد بهمتها الناشطة المرابطة صروف الظروف والعقبات، وواصلت المسير بكل جرأة واقتدار، وتصدت بدافع رسالتها التبليغية النوعية، ورضيت بمسؤولية الاشراف على مدارس الزهراء في الكاظمية، ومدرسة نسوية في النجف، والتزمت خطة الحلقات التثقيفية الواعية الهادفة في بغداد والنجف، وفتحت ذراعيها وبيتها لهذه الجهود المباركة بكل ما تستلزمه من هموم، والام، واتعاب، ومحاذير، وهي تعلم انها تحت عين السلطة الغاشمة سلطة البعث التي تدرعت منذ انطلاقها بشعارها اللئيم الذي يصم الاسلام بالرجعية، ويطلق على ابنائه العاملين شتى الشبهات والتهم الرخيصة التي ابرزها ممارسة الانحراف بالتدخل في الشؤون السياسية والعمالة، ولم تتخل بنت الهدى عن دورها في مدارس الزهراء الا بعد ان احس الجناة بالخطر المحدق فامموا تلك المدارس ووضعوها تحت سلطتهم المباشرة، حيث رفضت ان تكون تحت مقرراتهم وولاية امرهم حتى في هذا المجال.

وتفرغت لنشاطاتها الاسلامية الاخرى غير هذه المدارس التي صودرت حريتها فيها، فرفضت ان تمد معصمي ارادتها لاغلال البرنامج المرسوم في دهاليز السلطة، وواصلت انطلاقها في ميدان الكتابة المتألقة التي حفت بها رعاية اخيها وتوجيهاته السديدة، وسلكت لهدفها الرسالي الكبير مسار القصة الهادفة في ظلال بصيرتها وحكمتها البالغة التي هدتها الى ان تستنير بحكمة الامام شرف الدين في مقولته: (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال)، مستغلة تأثير القصة في الواقع الثقافي في استحواذها الكبير على الشريحة الشبابية التي غزتها الافكار المنحرفة عن طريق المناحي الثقافية

المبتكرة كالقصة والمسرحية...

نشطت رضوان الله عليها في كل مديات الخدمة التي كتب سبحانه فرضها على اوليائه واصفيائه، ولم تدع فرصة تسنح لهذا الواجب المقدس الا استغلتها لمرضاته التي غلب هدف الوصول اليها على كيانها ووجودها وما فيه من مشاعر وطاقات وجهود، واستحوذت عليها استحواذ الفاتح المهيمن حتى صرفتها عن غريزتها، وجعلت اهم جزء في جبلتها الانثوية وهو الزواج مستخذيا بمنتهى الضراعة امام سلطان العشق الالهي الغالب، ولم تفتنها عن هذا الانصراف العجيب كل صوارف الاغراء والتبرير والعناوين المعروضة للرجالات التي تقدمت لطلب يدها الكريمة.

وكانت قدس سرها كجدها المصطفى طبيبة تدوربطبها على البيوت، وتجوب الازقة والطرقات والحارات من خلف ستار التخفي والمحاذرة، بحثا عن عائلة شهيد، او شريد، او وافدة على الهدى حديثة عهد بمساره، او مأزومة بضائقة او مصيبة، او صاحبة مناسبة ارادت ان تعطر مجلسها في بيتها بحضور بنت الهدى، وهي في كل هذه المواضع مدرسة من المفاهيم، والقيم، والسلوك الرصين، والخلق النبيل، والروح الرسالية المتينة الواعية التي تحسب لكل حرف او خطوة حسابها بمنطق العقيدة والهدف المقدس..

لقد كابدت (رفع الله قدرها) شر المكابدة في خطها على خطى اخيها.وكانت الالام التي بهضتها في دورها ووظيفتها تنطلق اليها من مصادر شتى، اغلظها المتحجرون الذين واجهوها واخاها بالمقدس والشبهة الشرعية التي حظروا عليها بها حتى اسمها على كتاباتها، ثم كانت السلطة الغاشمة التي رأت فيها واخيها مبعث الخطر الاكبر الذي يتهدد عرشها بزلزال الوثبة الاسلامية، وصحوة الجيل بوعي الرسالة، وكان من منغصات عيشها هاجس الانحراف الذي انطلق غزوه الداعر على ايدي رعاته وحماته يكتسح معاقل

رشد الامة وحصون سدادها واستقامتها، فتطلّب منها ذلك سهاد العين، وفورة القلب، وعزمة النشاط.

ثم كانت الغريزة التي استدعى الهدف العظيم الغاءها بما يستدعيه هذا الالغاء من لوازم المقاومة.

ان صفوة ما يقال عن تلك السيرة الشريفة لرائدة العمل النسوى في عراق المقدسات انها عبارة عن محاور ثلاثة هي:

التمحض في حب الله.

الدأب الواصب في خدمة رسالته.

والمعاضدة المطلقة لمفجر الصحوة والثورة، اخيها الصدر بلا تحفظ ولا تردد. وكانت النتيجة من كل هذا الصفاء والخلوص والعطاء هي اشهى ما يتمناه العاملون الرساليون من كرامة الله وقربه في ابهى درجات احسانه ورضاه، من خلال ملحمة الشهادة في سبيل الله، والدخول في ركب القرابين المنذورة لربها، محررة بروح الصدق وبراعة اليقين، منزهة بطهر النية وقداسة الهدف، مرشوشة على مديات الايثار بعزمة البذل، والفداء، ونكسة الشح المهزوم.

الفصل الثاني
كيف انتصرت بنت الهدى؟

تمهيد

في حياة الشهيدة الطاهرة آمنة الصدر: (بنت الهدى) معالم باهرة تضيء الطريق للسائرات وللسائرين ايضا باعباء المسؤولية الالهية نحو الهدف المنشود، وهو بسط لواء الاسلام على الارض. وفي حياتها كذلك سجايا فريدة هن نبراس للعاملات والعاملين معاً تزيل ظلمات الخوف والحيرة

والتردد، وتعمق روح العزم والاصرار على سبيل الخدمة الخالصة لله.. ان تلك المعالم وهذه السجايا هي في الواقع ارث الزهراء وزينب عليهما السلام لهذه الحفيدة الرشيدة التي جددت الخط والصرخة في عالم المرأة المسلمة الرسالية...

لقد جسد الاسلام بالمرأة المجاهدة مع أخيها الرجل المجاهد مصداق الريادة الاثنينية المتوازنة لمسيرة الحق: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

إنّ الاسلام الذي اخرج المرأة من قمقم الحجر، والتوهين، والاستعباد، وسوء النظرة، والازدراء، والوأد، ووضعها في واجهة التصدي، وصنع الاحداث، وتغيير وجه التاريخ، وضربها مثلاً للذين آمنوا في الايمان والصبر والتحدي والصمود، ورفع لواء المبدأ الحق رغم كل الصعاب والمحن والشدائد التي قد يضعف امامها الاشداء من الرجال...

ان هذه الرسالة التي رسمت للتاريخ وللاجيال صورة المرأة التي تريد صنعها على هداها وفي قالبها الخاص من خلال عرض النماذج النسائية الخالدة في خط الرسالات، وابراز الواقع الملموس لهن جنباً الى جنب اخوانهن الرجال خلف رائد الانسانية الرسول الاعظم ﷺ قد رسمت اعجازها المذهل في المبادرة والتدبير وتوجيه البشرية بأروع القيم والمثل والاساليب نحو كمالها وخلودها.. وابانت كذلك عنايتها الفائقة بالمرأة التي لم تزل على مدى المسيرة الانسانية (سقط المتاع، وملهاة الاهواء والرغبات، وضحية التضييع)، فتحدت تلك الرسالة اعراف البشرية وقوانينها الجاهلية المرسومة للمرأة، وحطمت رأس الاحتقار كما حطمت رؤوس الاصنام، وكما ابدلت الشرك المقيت القاتل بالوحدانية المنجية، ابدلت عادات الجاهلية مع مظلوم

التاريخ واسير القيود (المرأة)، فرفعت الظلامة، وكسرت الاغلال، وصنعت ما هو محير للعقول، فعادت المرأة سيد نفسها، وريحانة الحياة، وبان فضلها، وظهرت مواهبها وقابلياتها حين ازال الاسلام بيده صدأ الايام التائهة، وغبار الاعراف، والعادات عن جوهرة الوجود البشري، ونصف المجتمع، وشريك الرجل في صنع التاريخ، وبناء الحياة، واعلاء اشرف كلمة في الكون وهي كلمة الله.

لقد لمعت في آفاق الشريعة المحمدية مفاهيم واحكام للمرأة أطاحت بغرور الجاهلية بعد ان قاومتها طويلاً، فعادت هذه الانسانة المضطهدة المجهولة القابليات الى الواقع الفاعل، واعطتها من الحقوق والامتيازات ما فاق حتى ما اثبتته للرجل منها في بعض المجالات، ويكفيها ان كلمة (المعروف) اقترنت بها كثيراً في أدبيات هذه الشريعة واحكامها: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١].

واذا كان لا بد للرسالة أن تمتد ـ وهذا هو حقها وحكم الله لها لانها خاتمة الرسالات — فلا بد اذن ان تبتدع مقومات بقائها وخلودها، ومن اهمها دور المرأة الواعية المجاهدة في نشرها وتثبيتها. وقد فعلت فأظهرت للعالم موكباً رائعاً من بنات حواء الصالحات العاملات اللواتي ساهمن في صنع ملحمة الانتشار لتلك الرسالة في أقسى الظروف، واحلك المحن، وأشد حملات الاعداء الداخليين من المرتدين والمتحللين، ومن الاعداء الاجانب الصليبيين، والصهاينة، والملاحدة، والذين كادوا الرسالة وهي في مهدها، وفي فتوتها وشبابها.

وسجلت المرأة على خط اهل البيت الذي تجسدت فيه عصارة الاسلام الاصيل، وروح المقاومة للانحراف، ودعامة الثبات امام الهزاهز التي

تعرض لها ـ اروع المواقف التي شهد لها حتى الخصوم بالروعة الفائقة في مواقف الفداء والتضحية والعطاء من أجل المبدأ.

وتشرق في عصرنا الراهن شموس نسائية على طريق الهدى تنير السبيل لكل السائرين، ويشاء الله أن تكون (بنت الهدى) احدى تلك الشموس الساطعة في بلد المقدسات (العراق)، تضيء اجواءه المدلهمة بانوارها الالهية، وتعطر ارجاءه المستهدف بالعفن بعبيرها الفوّاح، وتفتح أبواب الامل في نفوسِ المؤمنات، وتأخذ بأيديهن الى معاذ الوعي وملاذ البصيرة، فيدخلن افواجاً في صفوف العاملات المجاهدات في الوسط النسائي الذي كان هدف الباطل، ليستحيل وسيلة من انجع وسائله الى غاياته.

وقد نجحت بنت الهدى في مسيرتها، وفازت بمقصودها، وظفرت بكرامه الدنيا والاخرة، فكيف تم لها ذلك؟.

وما هي الاسباب والسبل التي أدت بها الى هذا المقام؟.

وما هي الظروف الموضوعية التي مكنتها من المقصد البعيد؟.

وما هي الاساليب التي استخدمتها فيتعاملها في وسط يعج بأشرس الوان الفتنة، وخدائع الشيطان، ومكائد الاعلام المضلّل، ومنافذ الكفر الواسعة الى عالم المرأة باخبث الوسائل؟.

في هذا البحث جواب هذه الاستفسارات، حيث سنتعرف على عظمة شخصية (بنت الهدى)، وحكمتها النافذة، وبصيرتها النيرة، وعقلها الكبير، وما أعطاها الله من ملكات وخصائص نالتها منه سبحانه بارادتها أن تكون بنت الهدى المنتصرة على طريق الله.

تنويه:

لقد أُخذتْ الارقام الشاهده الخاصة في هذا البحث من اهلها من بنات

الأيمان اللواتي عايشن بنت الهدى في بهاء سيرتها، وروعة جهادها، وانغمسن في نور سلوكها الرفيع، فحفظن مفردات ذلك الشموخ الباهر في ذاكرة الاكبار والاعجاب، ليبدعا روح التأسي وعزمة الاحتذاء.

الاعتقاد بالحقوق الثلاثة

في نفس أي عامل على أي منهج دوافع تأخذ بيده في الساحة الى مستوى قوتها في نفسه وضميره نحو الهدف المرسوم، وبنت الهدى وهي في طليعة العاملين كانت فينفسها دوافع أهمها: هو اعتقادها الراسخ الذي لا يتزعزع بحرمة الحقوق الثلاثة: حق الله، وحق الشريعة، وحق الامة.

حق الله الذي يتمثل بالطاعة، والانقياد، والتقوى، واداء التكاليف، واجتناب المناهي، وحمل الامانة الثقيلة امانة الاسلام موروثة من النبي المصطفى وآله الطاهرين، وهم يهيبون بابناء العقيدة وفي الطليعة منهم علماؤهم الاخيار ـ القيام بالواجب الاعظم وهو تبليغ الرسالة وصيانتها، فان عبادة الله باداء هذا التكليف هي أعلى درجات العبادة واصدقها لانها عبادة المصداق الاروع للعبادة (الجهاد في سبيل الله)، ورفع لوائه، وبسط ظل شريعته في ارضه، وتلك هي مهمة الانبياء وخلفائهم، وليس هناك مهمة اسمى منها.

لقد كان حضور حق الله في نفس بنت الهدى حضور العشق الفريد الذي أخذ عليها كل شيء في وجودها، فلم يبق شيء لسواه الا ما يتعلق بحقه من فروع مثل حق شريعته، وحق عباده.

وكانت فلسفة أخيها الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) في حرمة المعبود، وحق الطاعة، وهيبة التكليف، ونزعة الاحتياط في الاداء حتى على احتمال الوصول، وتبرير ذلك على الاسس المتينة التي يتهاوى امامها مشروع

(قبح العقاب بلا بيان) الذي تمسك به طلاب البراءة ـ كانت تلك الفلسفة هي زاد روحها العاشقة، وكانت مظاهر الشعور بحرمة هذا الحق الرباني تتلألأ في قسمات وملامح الوجود الشريف لتلك العلوية الطاهرة: عبادتها الخاشعة، نشاطها الدؤوب فيالله، أرقها، عناؤها للاسلام، وفاؤها، تضحيتها للدين، ايثارها، ونكرانها لذاتها.

ان معرفة ذلك الحق الالهي بذلك الوعي وتلك البصيرة صيرّ وجود (بنت الهدى) ساحة مقدسة تتسابق فيها الهموم للحق، والهمم، والعزائم، والآمال، والسعي الدؤوب الذي حذف من قاموسه كلمة الراحة والغفلة، وابدلها بكلمة (طلب المعشوق).

وتفرع عن حق الله، في وعي بنت الهدى حق الشريعة، فما دام هو أصلها والآمر بها وبمعرفتها فان حبيب المحبوب رغيب، وان مطلوبه مطلوب القلوب، وما تعلقت به ارادته هو عروة الاعتصام، وما هوته مشيئته هو مهوى العاشق المستهام.

وكان حق الشريعة كما عرفته بنت الهدى من وعيها الفذ، وتوجيه اخيها رائد الصحوة الفكرية في العالم الاسلامي، وعملاق الفكر الديني المعاصر، يتمثل في معرفة المنهج، لأن حقه في حرمته، وحرمته في معرفته، ومعرفته هذه تستدعي اخذه من منابعه الصافية، وعيونه النابعة من اصول الجبال واعماقها.. فأجهدت بنت الهدى نفسها للبحث والدرس على يد ذويها الابرار، واخذت منهم نقاء الاسلام، وصفاءه، وروعته، ووعي الرساليين الهادفين، ودرست عندهم معاني الاسلام، ونهلت من فهمهم المتميز فهم الشريعة من نمير القرآن في بيانه الرسالي الهادف، وكما شرحته كلمات رسول الهدى واهل بيته الكرام، وان هذه الشريعة هي:

رسالة، وثورة، وعقيدة، وجهاد، ومبدأ، وحركة، وعمل، ونظام، وقدرة،

ودين، ودولة.

فليست هي كما أراد أن يفهمها الآخرون من المتحجرين الخاوين:

طقوساً جامدة، وعبادات فارغة لاربط لها بالواقع، ولا شأن لها بالحياة.

العمل الصادق في اطار المنهج بعد معرفته، والسعي الدؤوب الى اداء حق تلك المعرفة الملازم للبقاء في العهدة حتى براءة الذمة على فلسفة حق الطاعة، والتي تتسع حتى للمحتملات، حيث يتجسد الورع فى اعلى درجاته، وصدق الاعتقاد في أبهى حالاته، وان اول هموم هذا السعي واهدافه هو نشر هذه الشريعة، وتثبيت دعائم وجودها في المجتمع من خلال التبليغ، والتوعية، والتفهيم، وارشاد المغفلين، وجذب المغرر بهم بالكلمة الطيبة، والسلوك الرفيع، واتعاظ الواعظ الذي هو أكثر أثراً فيالبلاغ من بليغ الكلام، والبحث عن شتى السبل الممكنة في الاطار الشرعي للنفوذ الى اوساط الامة، ووضع قاعدة (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال) نصب العين: حكمة فيالعمل بغية الوصول الى المقصود، فهي رضوان الله عليها تخاطب الاخت المسلمة وتقول:

(أنا اختك المخلصة الدائبة على تتبع آثارك، وتعقب خطواتك بدافع الحب والعطف، وأنا أيضاً متطوعة مختارة لاجل قضية الاسلام، وحمل مشعله الوهّاج ما وسعني حمله، وعلى قدر طاقتي وامكانياتي في الجهاد، وأنا أيضاً أريد أن اجعل من نفسي مثلاً ونموذجاً اجري عليه تجارب ادب الاسلام التي قد يظن البعض الجاهل اوالمتجاهل انها تجارب فاشلة، فأنا أريد ان اثبت لنفسي ما يحدثنا به التاريخ الاسلامي من ان امهات واخوات لنا في صدر الاسلام ناهضن بثقافتهن اعاظم الرجال مع تمسكهن بالاسلام وتعاليمه....)

الجرأة فيطرح الحقائق التي تتعلق بالهدف الاساسي من وجود

الرسالة وهو التطبيق من خلال دولة يحكم بها عدل الله في الارض، وتُحمى بها مكاسب هذا العدل من الشرور. وهذه الفكرة الاستراتيجية التي أطبق الظالمون على دفنها مهما استطاعوا الى ذلك سبيلا وباية وسيلة ـ كانت في الساحة الاسلامية في العراق، وفي اوساط الامة، بل حتى في الحوزة في قائمة المحظورات الكبرى التي هى عبارة عن خطوط حمر لا يجوز لاحد ان يقربها.. وقد تحالف الجهل والخوف والعناد في تلك الاوساط مع ارادة النظام الحاكم في فصل الدين عن السياسة، وابعاد من يسميهم رجال الدين عن امر الدولة، وحصر شؤونهم مع الناس في الصلاة والدرس والحقوق المالية...

لقد مارست بنت الهدى على خطى استاذها وأخيها الصدر هذا الدور الخطير وهي تعد نفسها لكل محتمل من البلاء، وقد واجهت في ذلك كأخيها العنت، وسوء القول، وقسوة الاتهام، وسهام التقريع، ووعيد التخويف. ولكنها قاومت هذا كله وسحقته بقدميها، لانها كانت تحمل قلباً كأنه الصخر صلابة وقوة حيث اعتصمت بعروة الله، وقدرته المطلقة، وتحلت بالمعرفة التامة، واليقين بعاقبة الصابرين المضحين في مقعد الصدق وفي مقام الشاهدين.

أما حق الامة فقد تعلمته الشهيدة من كتاب الله، وحديث الهداة الطاهرين، وتوجيهات استاذها ودوره الرائد، ومن احساسها في اعماق ضميرها ووجدانها بأن الجاهل لا بد ان يتعلم، وان العالم لا بد أن يفيد من علمه، وان العلماء رسل الانبياء الى الامم وخلفاؤهم، وان اهل البصيرة والوعي ملزمون بالتوعية والارشاد، يكشفون بهما ظلمات النفوس، ويشفون اسقام القلوب، ويفتحون مغاليق العقول التي سوّرها الضلال باسواره الغاشمة، وان قادة الامة من حملة لواء الشريعة لا خيار لهم غير التصدي، وهذا التصدي بحاجة الى قوة القلب ورسوخ الجنان، وان دور القيادة يتحمل مسؤولية توعية الامة وتفهيمها دينها ووظائفها المكلفة بها من قبل الله تعالى،

والسعي بها بعد ذلك الى مشروع اقامة دولة كريمة تحكم بالشريعة الالهية المجيدة.

لقد عرفت بنت الهدى ان الغاية من الخلق هي العبادة من خلال اداء الامة لواجبها ازاء الخالق بما حكم به العقل، وايده الشرع من وظيفة العبادة واحكامها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهذه الغاية سخر الله الانبياء والرسل والاوصياء والعلماء، وجندهم، وكلفهم التضحيات على طريق هذا الهدف الاسمى، وكان دور التربية والهداية والتعليم ارفع ادوارهم واولها.

عرفت بنت الهدى ذلك، وأدركت ان الله الزمها من خلال الدور الملقى على عاتقها لتحقيق الهدف الالهي على الارض (العبادة) بتصديها في عالم المرأة الى مهمة البيان والبلاغ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

واذا كانت الامة المرحومة بالرسالة الخاتمة تطالب بحقها من الطاف هذه الرسالة يقول لسان حالها لبنت الهدى وامثالها:

(ما أخذ الله على الجاهل ان يتعلم حتى أخذ على العالم ان يعلّم).

فلا يمكن للامة أن تنال من نعم تلك المائدة السماوية العامرة الا بالدلالة عليها والهداية اليها، وهذا هو واجب المعلمين والهداة والمرشدين، فاذا قصروا في ذلك ظُلمت الامة، وكان وزرها على من حرموها الهداية، وأي وزر اعظم من هذا؟!، ويا له وزراً ما أثقله!، ولا يناله العفو، لانه تبعة من اكبر التبعات وافدحها.

من اجل هذا نذرت بنت الهدى نفسها لاداء حقوق الامة، وحرمت نفسها من راحتها، فبذلت جهدها وكل وسعها في سبيل التوعية والارشاد الى السبيل القويم... من اجل ذلك كان مكان بنت الهدى الوحيد هو في اوساط

بنات جنسها، تستقبلهن فيالبيت الذي حولته الى مدرسة اسلامية كما فعل اخوها واستاذها، او تذهب الى بيوتهن، او مناسباتهن، او معاهد وعيهن في الاماكن المعدة للدروس الاسلامية، وتقطع لهذا المسافات الطويلة، وتبذل غالي الاوقات، وهي في غاية الانس واللذة بما تجهد نفسها له في سبيل ربها وعقيدتها.

الإحساس بالفراغ ومسؤولية ملئه

لقد كانت رضوان الله عليها تعلم يقيناً ان دور التبليغ النسوي شاغر، وانه ليس فيه من يسده من بنات الايمان بوعيها واساليبها الناجحة، وان الساحة مباءة التبليغ الضال، تعبث فيها دياجي الضلال كما تريد، تغوي العقول، وتستبيح النفوس، وتجر ابناء الامة افواجاً الى متاهاتها...

لقد فكرتْ في هذا الامر ملياً في ريعان الصبا الذي لم ينفتح الاّ على الاسلام والقضية الكبرى، قضية الرسالة التي يجب ان تسود على غيرها، وان تكون كلمتها هي الحاكمة، واعدت نفسها لهذه المهمة الخطيرة، فنهلت من معين المعرفة الصدرية، وكلفت نفسها وهي في اولى الخطى ان تتصدى للعمل الرسالي النسوي، فكتبت لمجلة الاضواء مبتدأة عملها، مشيرة الى اسمها...

ولكن الاجواء الحاكمة في وسط الحوزة في ذلك الوقت كانت تستثقل بروز صوت نسوي يدعو الى الاسلام بسبب الاشكالات الناجمة من التحجر، وعدم الوعي، ومن بعض الحساسيات، من هنا تم ارجاع موضوعها اليها مع الاعتذار اللطيف من احد المتصدين في امور المجلة، ولم تيأس بنت الهدى لانها كانت مع عقيدتها الراسخة بحقيقة دورها، ومع دعم اخيها المعنوي، ومع علمها بان الدرب شائك، وليس مفروشاً بالورود للعاملين المخلصين

ولاسيما لمثلها، لذلك اعادت الكرة فكتبت، ونشرلها اول موضوع لكن لا باسمها بل برمز (أ ح)، اتقاءً من المسؤولين عن المجلة للخط المتحجر، وخوفاً من سهامه التي يخشون ضررها على وجود المجلة وهي في بداية انطلاقتها... ومن تلك النقطة الصغيرة المحاطة بالابهام، والحذر، والترقب، والاشكالية المقيتة، انطلقت رسالة العمل الكبرى لرائدة الصحوة النسوية في العراق، ولولم يكن الاحساس بالمسؤولية المقدسة يستحوذ على بنت الهدى لم نجدها تحولت من خلال كل تلك المعاناة والمكابدة المرة الى مارد اسلامي نسوي أثّر اثره الكبير في هذا الوسط الحساس في اصعب الظروف واخطرها.

نذر النفس للإسلام والعزوف عن الدنيا

هاتان الصفتان الرائعتان هما من اعلى سجايا تلك المجاهدة الخالدة التي اعانها الله بهما على أن تعتلي اسمى المكانة فيالنفوس وفي الواقع الذي كادها فكان الله معها حتى انتصرت اروع الانتصار.

لقد صممت رحمها الله على امر فريد وخطير في حياة مثلها، لا نكاد نجد له شبيهاً في التاريخ الاّ في شخصية مريم المنذورة لله، الخالصة لوجهه، المتمحضة للعقيدة والمسؤولية الثقيلة.. لقد وقفت نفسها لرسالتها، متناسية ذاتها وما فيها من الدواعي التي تكون لدى غيرها حتى من خيرة الصالحات، فخطّت بالعلامة الحمراء على شيء مهم واساسي في حياة مثلها وهو الزواج، فبات مرفوضاً رفضاً حاسماً، وردت الرغبات المحترمة حتى من الواعين الاجلاء بالاقتران بها لتكون عوناً لهم في حياتهم الرسالية الهادفة، فكانت بذلك واحدة من النماذج الانسانية الخالدة التي ضحت براحتها لربها، وشرت

زهرة الحياة الدنيا بدينها ورسالتها.

ولقد تطلب هذا الاقدام الفذ على (نذر النفس) قضية كبيرة مهمة ما أمكنت ولا تحققت لغير بنت الهدى مع كل ما يتوفر لديها من عوامل القدرة والنفوذ والوصول الى المنى عند بزوغ نجمها المتألق الباهر، وتلك القضية هي العزوف عن الدنيا، وحذف وجود حبها في القلب، رغم انها حق اقرته الشريعة لبني البشرية، وهو من أهم مطلوبات بنات جنسها.

نعم كان لديها ظاهر من الدنيا فرضته عليها مسألة الوظيفة الشرعية المقدسة، ولم يكن له ربط بتوجهات قلبها النافر من القشور الترابية، فلأنها كانت مهوى النساء، ومحور العمل الاسلامي النسوي، كانت مقصد الراغبات في اللقاء بها أو اللواتي لم يكنّ ينظرن للمتدينات الاّ نظرة تثير الاشمئزاز حول افكارهن، وحول المضمون والظاهر، وانهن لا يعرفن غير سجادة الصلاة، ومسبحة الذكر، وكلمات العجائز حول الموت والقيامة، وقصصهن الخاوية ومواعظهن البالية المليئة بالخرافات والاساطير، اما حين تجد هذه المجموعة من النساء المتحضرات ـ ان صح التعبير ـ امرأة كبنت الهدى مثلهن في المظهر المواكب لروح العصر والمدنية، ولا تتحفظ عليه الشريعة لمثلها في مثل دافعها وهدفها، وتتكلم لهن بلغة العصر وبالوان الاساليب البيانية التي تعتبر ثقافة المتنورات، ومنطق المثقفات، مما لا مراء لاحداهن في أنها اللغة الفضلى المؤدية الى الغرض من ازاحة الشبهات، وتثبيت الحقائق، وبها وحدها يمكن الزامهن، وعن طريقها يمكن جذبهن، انهن عند ذلك وبحرارة الاعجاب تتبخر لديهن تلك الصورة الكئيبة القاتمة عن المرأة المؤمنة، وتحل مكانها صورة الملاك العصري الذي يستحوذ على قلوبهن، فلا يخرجن من محضره الاّ بالحب والاحترام والانشداد الروحي الذي قد يغير في اللحظة، ويعيد الى الرشد والصواب في اقصر الاوقات، وما دامت

بنت الهدى على يقين بان: (ما عند الله باق)، فاللحاق سريع، والازوف وشيك، واللقاء مع البقاء الاسمى في منتهى المنى قريب، لذا كانت رضوان الله عليها تهتز عندما تقرأ هذه الاية:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

وهي تنسجم ابلغ الانسجام واروعه مع مضمونها التحذيري العجيب من بريق الدنيا وخداعها واحابيلها، وقد رأت انها قادرة على ان تسحقها سحقاً فريداً لم يتح لغيرها من بنات جيلها، فاتكلت على حبيبها الوحيد وهو ربها الذي عشقته منذ نعومة اظافرها، وذابت في نور رسالته وعبير شريعته، وانطلقت في عملية الاعراض عن بهارج الحياة الفاتنة انطلاقة خلاّبة تخلدت بها بنت الهدى في صف (العظماء) والنماذج الفريدة.

فلسفة التأسّي

إن للاسوة في الحياة تأثيراً بالغاً جداً، وقلما نجد انساناً لم يتأس في حياته بقدوة يحترمها، وشخصية يكبرها في نفسه، ونموذج يراه الاروع الافضل، يحذو حذوه، ويسير على خطاه، وحتى الذين لا يظهرون انهم قد تأسوا واقتدوا في حياتهم فانهم في اللاشعور يحترفون ذلك الاقتداء، ويندفعون بقواه المؤثرة وان لم يشعروا... ولحقيقة تأثير القدوة في الحياة اكد الاسلام على مسألتين مهمتين جداً:

اولا هما: ان يكون خِيَرة التأسي من الرياديين والقادة واصحاب المسؤولية الرسالية قدوة للاخرين باعمالهم الحميدة، وسلوكهم الرفيع، وصبرهم على منهج الالتزام، وخط التحفظ من المشينات، والترفع عن توافه

الامور وصغائرها: (كونوا لنا دعاة باعمالكم.)

ليرى الناس زين المنهج الذي يتبنونه بزين فعال الداعية اليه، وينقطع عذر المتعللين بعدم القدرة وغيره، لان الوقوع ادل دليل على الامكان كما يقول المنطق السليم، وبذلك يكون الاسوة حجة لله في واقع الممارسة وحقيقة المشهد المحسوس.

وثانيتهما: أن يقتدي الاخرون بصفوة البشر، ويسيروا على مثالهم، ويمشوا على منوالهم، ويتخذوهم مناراً للالتزام به، والاخذ بمنهاجه، ليكون هؤلاء المتأسون بصدق التاسي وشهادة التجربة للواقع الملموس على ذلك اسوة لغيرهم، اذ لا بد لكل جيل من اسوة، ولكل محيط من نماذج اقتداء تكون برهاناً على الحق بحسن الالتزام، وداعية اليه بالسلوك الرفيع، وحجة على الاخرين بحقيقة التجسيد الرائع.... من هذا كله نعرف لماذا جعل الله رسوله واهل بيته قدوة للمسلمين، وندرك ان وظيفة الاقتداء بهم أوجدت المعجزات في صنع النفوس، وصب القلوب في قالب التأسي، لتخرج وكأنها نسخ طبق الاصل من المقتدى به، لتكون وسيلة لاستمرار تأثير القدوة الاصل وبقائها حية في الواقع.

وكانت من معجزات ذلك التأسي بهم شخصية الشهيدة بنت الهدى التي جعلت سيدة النساء فاطمة الزاهراء وابنتها العقيلة زينب عليهما السلام مثالها في الحياة، ونموذجها الذي صبت في قالبه وجودها وسلوكها.

لقد أخذت من الزهراء علاقتها المحيرة بالاسلام منذ الصغر بعد ان نهلت معرفته ووعيه من معينه الصافي في البيت في رحاب اخيها، كما نهلته اسوتها الزهراء في رحاب ابيها، وكانت لاخيها منذ البدء في الخط عوناً على المشكلات، ومسلياً عن الهموم، كما كانت الزهراء لابيها كذلك.... سلكت طريق الجهاد والمكابدة والتحمل من أجل الخط والخروج الى ميدان النضال

والمقاومة كما سلكته من قبلها قدوتها، وشكلت عنواناً لرفض الظلم والانحراف، والوقوف بالصرخات الرافضة في وجه الاستبداد، والاستهتار بالاصالة، والخروج عن سواء السبيل... وقررت بصدق الاقتداء وقوة العزيمة فيه ان تؤول مآل قدوتها البتول، ضحية الرسالة، وقربان الرفض، ونبراس الفداء، شهيدة خالدة في الارواح والضمائر.

ولم تنس طبعاً ان تأخذ من الزهراء بلاغتها ونبوغها الادبي لتسخرهما في مجال الخدمة والتبليغ، وكما خطبت الزهراء، ووعظت، وشرحت فلسفة الاسلام ببيانها الساحر، كذلك فعلت ابنتها المتأسية بها، فاستخدمت الجانب الادبي وسيلة للخدمة الصادقة، وطريقاً الى العمل الرسالي البنّاء.

واخذت من زينب سجية البطولة والجرأة في ذات الحق، مواكبة تكرار الملحمة الحسينية المعاصرة بروح الحماس الزينبي، معاهدة اياه على المشاركة فيالثورة، وايصال صوتها، وابلاغ رسالتها في صرخاتها على اسماع الظلمة والطواغيت، تعرّيهم، وتفضح زيفهم، وتكشف للناس خداعهم الذي مارسوه للتضليل والاغواء، وصدّ الامة عن شريعتها وقادتها الحقيقيين.

وكانت صيحاتها التاريخية في حرم جدها امير المؤمنين، وفي جموع النساء عند اعتقال أخيها الصدر ـ يجسد عنفوان العقيلة امام جموع أهل الكوفة، تستثير مشاعرهم، وتحرك نخوتهم، وتؤنب ضمائرهم، وتستفزهم للثأر.

وكانت وقفة بنت الهدى التاريخية أيضاً امام الجلاوزة الذين جاؤوا لاعتقال أخيها وهي تقرعهم، وتسحق انوفهم بحذاء الاستخفاف، وتصب على رؤوسهم جام غضبها بمنطقها البليغ مثالاً رائعاً يعيد الى الاذهان الموقف الخالد لبطلة كربلاء امام عبيد الله ويزيد وجلاوزتهما، تزلزل الارض من تحت اقدامهم بتقريعها وبلاغتها.

كانت رضوان الله عليها تلهج بذكر سيدة النساء وابنتها الحوراء، وتؤكد على قضية الاقتداء بهما في محاور العفاف، والحشمة، وروح الجهاد، والخدمة. ومما لا يجوز اغفاله هنا انصافاً للحقيقة أن نذكر أن بنت الهدى تأسّت كذلك باستاذها ومربيها وأخيها الصدر تأسياً جعلها تجيد مزج نور الفهم والاقتباس ببهاء العزم والتصميم، لتكون الحصيلة ملاكاً مهيباً يطل من سماء الاقتداء، يأخذ بمجامع القلوب، ويدهش الالباب.

البصيرة بالواقع والأساليب

لا شك في أن أي متصد، وعلى أي صعيد، وفي أي مشروع، لا بد له في مساعيه الى النجاح من دراسة الظروف الموضوعية التي تحيط به، ومعرفة الاساليب الناجحة في معالجة معطيات تلك الظروف لبلوغ الهدف، وسلوك سبيل الحكمة والتدبير في التعامل مع الواقع بما تفرزه ملابساته، في مقتضياتها من السبل والوسائل الكفيلة بالوصول الى الغاية من ايحاءات للحل، وشفرات لفتح الاقفال تحتاج الى تحليل صائب.

ويستوي في هذا الموضوع كل العقلاء المخططين لنيل مرتجياتهم، سواء كانوا أنبياء، ام مصلحين، ام سياسيين، أم غير ذلك، وحتى رب العزة سبحانه وهو القادر القاهر يتعامل مع ملابسات الواقع واجوائه وظروفه تعامل من لا يريد أن يقهره بسلطة خارجة عن الشروط الموضوعية للتعامل مع واقع الارض... ومن أجل هذا يعاني انبياؤه الكرام الامرّين من مشاكل ذلك الواقع، وطريقة الخروج منها الى المأمول، ويسلكون كل مسارب الحكمة والبصيرة فيالمسير نحو التغيير، بعد معرفة المحيط وما يكتنفه من اوضاع، ليكون الاسلوب في الاحتكاك به على ضوء معطيات النظر الدقيق في شؤونه وحالاته.

وبنت الهدى طاب ثراها هي على سجية المتصدين الأخيار في دراسة الواقع الذي تريد أن تقوم فيه بدور التغيير، واختيار الأساليب التي تؤدي الى المطلوب. ولأن توجهها الأهم كان نحو المرأة المسلمة التي اضطهدها الانحراف، وضلّلها المجرمون، وابعدوها عن مسيرها القويم في ظلال دينها ورسالتها، كان لا بد لبنت الهدى ان تختار السبيل التي غزيت من خلالها المرأة ثقافياً وعاطفياً، فرأت في المنحى الادبي والشاعري وبالاخص (القصة) أهم تلك الوسائل والسبل، فسلكته، وأبدعت فيه قصصها الرائعة التي عالجت بنجاح مقتدر ازمة الضياع الذي سيطرت متاهاته على الوسط النسائي، وكانت تحفها القصصية المجددة الباهرة: الفضيلة تنتصر، امرأتان ورجل، الباحثة عن الحقيقة، الخالة الضائعة، لقاء في المستشفى، ليتني كنت اعلم.

التحرّك باتجاه الطليعة

ركزت بنت الهدى على الوسط المثقف في الجامعة، وسعت الى الارتباط به نفسيا، والاقتراب منه ما امكنها ذلك، لعلمها ان الشابات في الجامعة هن عماد المستقبل، ويمثلن أمل الاسلام، وهن اللواتي يحملن مشعل القرآن بوعيهن وشخصيتهن ونفوذهن في المجتمع..

وكانت لبنت الهدى على هذا الصعيد لقاءات وحوارات كثيرة مع هذا الوسط من الامة، ورتبت فصول تدريس في بغداد، وحلقات توعية لهذا المحفل النسائي الكريم في بيتها واماكن اخرى، واجتذبت لجهودها المباركة افواجا من حرائر العراق، ونفذ مشروعها الايماني في الصفوف التي جندها الباطل في عالم المرأة، فأصبحت الشابة المثقفة الواعية اهم عنصر من عناصر المواجهة الاسلامية العصرية، وابرع قدرة نافذة للاسلام لغزو الظلمات في عقر دارها، تبددها كما تبدد الشمس الساطعة حالكة الدياجير.

وركزت الشهيدة على معالجة الشبهة في ذهن المرأة، فهي تعلم من خلال مخالطتها الدؤوبة بالمثقفات، ومطالعتها اللازمة لكتب الضلال وحراب الغزو الفكري التي استهدفت نصف المجتمع ـ ان دور الشبهة والفرية على الايمان والاسلام هو النار التي اججها اعداء الدين في عقيدة المرأة المسلمة والتزامها، فكادت ان تأتي عليهما لولا ان قيض الله جنوده الواعين وفي الطليعة كانت بنت الهدى فردوا الشبهات، وذادوا عن حياض القرآن، واعادوا الى معقل المرأة حصانته ومنعته وقدسيته، وصيروه معسكراً للحق تتدرب فيه المرأة الرسالية على فنون المواجهة الثقافية والفكرية، لتخرج لبوة ضارية على فلول الضلال، ورسول نجاة لبنات جيلها، وملاك سكينة للمتعبات المرهقات في اطواق الحيرة والعذاب.

إنّها رحمها الله تقول على لسان الصفوة المجاهدة من بنات الرسالة:

غد لنا مهما ادعى ملحد

وارتجلت مبادىء وافدة

غد لنا اذا صمدنا ولم

نضعف امام العصبة الجاحدة

ان جل وقت الشهيدة كان لتلك الطليعة فى العمر والثقافة، اي الشابات الجامعيات والمثقفات، وكن يحظين بالاهتمام الفائق عندما يأتينها في بيتها في النجف، او في مقر نشاطها في الكاظمية، ولم تكن تضيق بواحدة ممن يقصدنها او تقصدهن للفائدة، وكن يجدن عندها صدراً رحباً برحب الفضاء يتسع حتى للهفوة والقسوة واللجاجة الشاذة، او ما قد يبدر احيانا من سوء الادب، ويكون موقفها الملائكي جواباً شافياً يرد الامور الى نصابها، ويحوّل اللجاجة الى استسلام، وسوء الادب الى غاية الاحترام...

عندما كانت الشهيدة تحاضر في بيتها حول موضوع (التبرج وحرمته)، وفيما هي في حديثها هذا اذ قالت احدى الحاضرات: (ولكن يا علوية ان النفس تشتهي احياناً.)

فلم يكن من الشهيدة الا ان تردها بابتسامة مشرقة مشفقة، وعتبِ رفيقٍ من عينين حانيتين، وراحت وجوه بعض الحاضرات تلاحق المتحدثة بالغضب والنفرة، حيث لم يصدر من الشهيدة اي شيء يجعل تلك المتحدثة في موقف حرج امام الاخريات....

مثل هذا حدث يوماً في بيت الشهيدة وقد آن وقت صلاة المغرب، وكان لديها وافدات حديثات عهد بمعرفتها، ولعلهن حديثات عهد بالالتزام ايضا، وهي مسترسلة في الحديث الشيق معهن، فقامت احدى الحاضرات لتصلي على عجل، وبعد ان اتمت صلاتها التفتت الى الشهيدة وقالت: (لماذا تتساهلون في الصلاة واوقاتها؟)

فالتفتت اليها وهي ترى وقت الصلاة بعد في دقائقه الاولى لتجيبها برفق عطوف وبسمة وادعة، وهي تستغل هذه البادرة الساذجة لتعطي الدرس النافع: (وهل عندنا غير الصلاة؟ وكيف نتهاون فيها ونحن نعلم ان وصية كل نبي ووصي نبي هي الصلاة، والمحافظة عليها. وان من استهان بها لا ينال شفاعة الرسول واهل بيته؟!)

قالت هذا وهي تتذكر جدها السبط الشهيد في كربلاء يقول لمن ذكر أمامه وقت الفريضة ظهر عاشوراء: (ذكرت الصلاة، جعلك الله من الذاكرين.)

صدق النية

لقد تضمن وجود بنت الهدى ضميراً حياً شفافاً، تجسد فيه حضور الله

ورقابته بأعلى حالات التجسد، وقلباً عاشقاً تيّمه حب الحقيقة السامية فاستباحه، وصيّره حماه المصوّن من عاديات العلقة بسواه. واحتوى كيانها روحا ملائكية تمشي مع طاقة الانسان القادرة على ان تسمو، وان تصبح في صف الملائكة.

لقد عمّر الايمان الصادق الراسخ كالجبل الراسي الاشم قلب تلك العقيلة من عقائل الفضيلة الزاهرة من هبات اهل البيت، وارثهم الجاري فيالدماء، فهم اهل المحامد والمكارم والخصال الرفيعة، تناقلتها الاصلاب الشامخة عبر الارحام المطهرة.

لقد عاشوا عالم الصدق. فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فما وهنوا في المواقف، ولا ضعفوا عند الملمات، ولا استسلموا للهوى والنزعات، ولا استجابوا لداعي الغريزة العشواء.

طووا الدنيا طي المنازل، وازدروها ازدراءهم التراب، ارادتهم فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا انفسهم منها، فهم متيمون بما اعطاهم الله من حلاوة قربه، ولذة وصله.

لقد صفت انفسهم من كل شائبة، وتنزهت نياتهم من كل دنس ولبس.

ان صدق النية هو السر وراء تلك المناقب والمفاخر التي حازتها بنت الهدى كما يحوز الغواص المغامر الصبور أبهر اللئالي، وهو المحرك لتلك المواقف المتفردة بروعة الجلال في جهاد العقائل، واحتمال الحرائر في تاريخ المرأة التي صنعها القرآن....

لقد كانت نيتها تبِرأً نقّاه لهيب النوائب والمصاعب من اوشابه في غمرة الالام، ومرارة الصبر، وجرعة الغيظ المكبوت بقدرة الحلم والتعفف، فكان ذلك العسجد الفريد الذي زين حياة بنت الهدى بزينة الشمائل والقيم وخصائص اللطف الالهي.

لقد كانت صادقة مع ربها، واي صدق نية اسمى مما احتواها من توحد الله بها، وتفرده بنفسها، وسيطرته التامة على قلبها، مالم تُبق معها لسواه غير الرفض والحرمان المرير.

وكانت صادقة النية مع دينها، فالتزمته كعبة تطوف حولها طوافاً واصباً لاهوادة فيه، فوقتها كله له، وجهدها جميعه في وجوده، ومشاعرها على سعتها ورقتها ووثبتها وقفْ مطالبه وشؤونه.

لقد وعته، وتفهمته، وغاصت في معانيه العالية ومراميه البعيدة، فانسجمت مع روح مقاصده، وذاب وجودها فيه لتعود اسيرة هواه، تلتذ فيه بمالم يخطر على البال النافذ من افانين اللذة والوانها، فحق لها اذن ان تهيم فيه هيام الفراشة بالنور ولو جرها الى الاحتراق.

وصدقت النية باشرف افانين الصدق مع امتها فوهبتها راحتها لراحتها، وشأن ذاتها لشأن سلامتها، واصبحت وهي تذوب في الله ورسالته علاقة فريدة بربها وعباده الذين جعل وصلهم به امانة في اعناق العلماء المصلحين وجهاد المتقين، وصار رعيل المرأة في وجود بنت الهدى امراً مقدساً، وامانة مفروضة، وصار الفكر الدائم بهذا الرعيل من ذات الفكر ببارئه، ومن ذات الفكر بشريعة ذلك البارىء العظيم.

وصدقت بنت الهدى في احتمال امانة المسؤولية صدقاً لم يسبقها فيه في عراق المحنة الفقماء الا اخوها صدر المكارم والجهاد والتضحية، ومشت على درب تلك المسؤولية الكبرى التي هاب اثقالها الكثيرون ممن تذرعوا بالتقية، او تشبثوا بالانتظار، او ذابوا في مصهر اليأس فقعدوا مع الخوالف المتربصين، ومنهم من هم بادون على تلال العزلة في اسار الخوف الجامح يسألون عن انباء القرابين، وما هابت هي مع انها الانثى التي ينبغي لها العيش الآمن من القواصف بين رعود الطغاة، ووعيد الجناة، وكواسر الطريق المتوثبة.

المؤهلات الشخصية والمميزات الذاتية

تفردت الشهيدة (بنت الهدى) بخصائص عزّ نظيرها في وسط العاملات المجاهدات، وكانت تلك الخصائص من عوامل النجاح الفريد الذي لقيته في مسيرتها الظافرة... وان يكن بعض تلك المواهب ذاتياً بمعنى انه لم يكن لها دور في اختياره، فان رغبتها وحكمتها في توظيفه للخدمة الاسلامية هو وسام الشرف الذي يزين صدر هذه الانسانة المقدسة التي عرفنا انها نذرت نفسها خالصة لله لم يشركه احد في توجهاتها وطاقاتها.

لقد كانت تمتلك جاذبية فائقة تستحوذ بها على محاورتها وجليستها، ولا مبرر لهذه الهبة الالهية التي يعز بها الله عباده العاملين الا لطفه سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

وكان لديها رضوان الله عليها قابلية التحمل للاذى والتعب والارهاق، فهي لا تكل، ولا تمل، ولا تعتذر عن عمل الخير بسبب مرض، أو ألم، أو نَصَب، فطالما تراها وهي في احدى تلك الحالات التي تعتري الانسان في سيره فتقعده حينا او دهرا ـ تؤدي وظيفتها وكأن شيئاً لم يكن، ولا تحس الجالسة اليها انها تعاني من مكروه المّ بها، فهي تشعر ان عملها المقدس الذي وظّفت نفسها له لا يمكن التراجع او الاعتذار عنه، ولا فرق عندها بينه وبين اقامة فرائض الصلاة التي لا تسقط على أية حال دون مسوغ شرعي.

وكانت الشجاعة والجرأة من مميزاتها العجيبة، فرغم ان طريقها محفوف بالمخاطر، وحركاتها مرصودة من قبل طغاة العراق، ويصل سمعها الوعيد والتهديد ونذر الشؤم، وتأتيها اخبار الممارسات الاجرامية التي تفوق الخيال في حق العاملين والعاملات في سجون الجلادين، رغم كل هذا كانت لا تزداد الا صلابة وعناداً واقداماً، كأنّ الوعيد مِحدّ تسن به صارم العزيمة في

نفسها، لتعود اعلى مضاءاً وأبعد غوراً في الاستبسال.

وناهيك بموقفها حين واجهت الجلاوزة بفظاعات التقريع والتشفي الذي يفوق البصق في وجوههم، وتمريغ انوفهم في التراب... وموقفها يوم خرجت على أعين الاشهاد في وسط الملأ في النجف، تستنهض الامة لنصرة قائدها، وايقاف الظالم عند حده.

وهلم العجب في موقفها حين جاءتها زمرة البغي لتقودها الى بغداد خلف اخيها بعد اعتقاله الذي استشهد فيه، فقد خرجت اليها كأصلب ما تكون، غير هيابة، ولا متخاذلة، ولا مولولة، كما هو شأن بنات جنسها في امثال هذه الخطوب الجائحة والنوازل القاصمة.

وحسْب المرء هذه المصاديق دليلاً قاطعاً على حقيقة البطولة الايمانية التي تحلت بها تلك العاملة الاستثنائية في تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، ولو لم تكن شجاعة جريئة لقعد بها الخوف عن أي نشاط اسلامي هادف، لانه يدعو الى التغيير، وعودة العدل الاسلامي، ولصار حالها حال غيرها ممن قعدوا وسكتوا، وممن قعدن وسكتن، خوفاً، وتقية، وابتعاداً عن مواطن الهلكة.

كانت الرصانة الكافية، ومتانة الشخصية، والوقار المهيب من صفاتها المؤثرة ايجاباً في حركتها، وكانت موزونة الخطى، مدروسة الحركات والكلمات، تسوسها حكمة فريدة في القول والعمل، تتعامل بها بسياسة المؤمن، الكيّس، الفطن، النابه، البصير. وكانت هذه المحامد من موجبات نجاحها، واسباب فلاحها.

كانت البشاشة الساحرة من روائع خصالها المحيرة، فالبسمة وطلاقة الوجه لاتفارقان محيّاها مع تلميذاتها وزائراتها: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكانت اول المفاتيح التى تفتح بها القلوب، تمهد للكلم الطيب، والهدي النافع، والموعظة الناجعة...

ومن اغرب ما شُوهد من سلطان الارتباط بهذه البشاشة والطلاقة لدى تلك المجاهدة، ولزومه لها لزوم قلبها وروحها، أنها كانت لاتفارق هذه المنقبة حتى في احلك ظروفها، واشد ساعاتها سوءً، فكانت تهش لقاصداتها وزائراتها فى أقسى أزماتها.... قصدتها احدى مريداتها في ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة على اثر نوبة نفسية حادة، واضطراب روحي شديد، بسبب ظروف قاسية، كانت تمر بها الحوزة والحركة الاسلامية على ايدي جلاوزة بغداد.

وطرقت الباب، وكانت تظن ان اهل البيت قد استسلموا لبعض سلطان النوم، وخرجت لها زوجة الشهيد بحفاوتها المألوفة، واخذتها الى داخل البيت، فجلسا في وسط الدار، حيث عرفت الزائرة ان العلوية بنت الهدى قد اخلدت للراحة، وما هي الا لحظات حتى رأتها قد اقبلت وطيور الكرى تداعب عينيها، وهي بطلاقتها المعهودة، وبشاشتها المشهودة، وقد عزفت عن نومها، وقامت لترى ما شأن هذا الطارق الذي طرق منزلها في هدأة الناس الى الراحة، ولم تنفعل او تغضب قط من هذه المزاحمة في ذلك الوقت المتأخر، وانما كانت تحس ان هناك امرا يجب عليها ان تعرفه ادى بهذه الزائرة ان تلج عليهم الدار في ذلك الوقت، وان هناك مسؤولية شرعية او وجدانية تقتضي الاهتمام بامور الصواحب والقاصدات.، او لنقل حتى الذين لا يجيدون التصرف. وراحت كعادتها تسأل عن الامور التي كانت هي حديث الساحة الهمسي، وكانت تبدي رأيها من دون خوف اوتردد.

* * *

ان ما امتلكته الشهيدة السامية من صفة التواضع التي زينتها بأروع

الزينة، ورفعتها الى اسمى مقام، قد فتحت لها ابواب النفوس على مصراعيها، لترحب بمقدمها الى مكانة الاكرام والاحترام.

تواضعت للجميع فأحبوها حباً جماً، ولم يصرفها مجدها، ولا عزها، ولا مستواها الرفيع من العلم والمنزلة، ولا حَسَبَها، ولا ما بلغته من الشأو والكرامة ـ عن ان تعامل الاخريات بمنتهى اللطف والمحبة، والتواضع، بعيداً عن أي لون من ألوان التعالي، او الاحساس (بالأنا) أو الشعور بالامتياز، او الرغبة في افهام الاخريات أنها شيء يفوقهن، وانهن دونه.

تراها زائرتها بزينة تواضعها فيبهرها الحسن الخّلاب، فتسلم مقودها لهذه الشخصية الكبيرة المتواضعة التي ما دعاها ألقُها ولا صيتها الصاعد الرنان ان تنظر الناس من عل، او تشمخ بانفها عليهم، بل كان عزها المتناهي لا يزيدها الاّ ذلة امام المؤمنات وفي نفسها، وهكذا هيالنفوس العظيمة بايمانها وجهادها، كلما عظمت معرفتها بربها تواضعت لخلقه، وكلما شمخت بايمانها وسمقت تذللت للعباد، ونزلت فيهم كأدنى منزلة احدهم، ولا غرو فرسول الحق اعظم انسان في التاريخ كان يؤاكل العبيد، ويجالسهم على التراب، ويقول لمن يهابه ويضطرب امامه:

(هون عليك، فانما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة).

وكانت تربي بنات المدرسة التي تشرف عليها على خصلة التواضع وخصوصا الجلوس على الارض، واذا ما اعتذرت واحدة منهن افهمتها العلة من ذلك، وحببت اليها ذلك العمل، وانه يجب على الانسان ان يتكيف مع ظروفه ومحيطه.

كانت تدرك ان الوهلة الاولى للزائرة صعبة، خاصة اذا كانت قد قصدت زيارة شخصية مرموقة في نظرها، وكانت تقول ان هذه الوهلة من اهم اللحظات، فالزائرة لا تدري طبيعة من تلتقيها،وكيف ستعاملها؟، وما هو

موقف الطرف الاخر منها؟، وما هي نظرته لامثاله؟. وتقوم بنت الهدى بحسن تعاملها بتبديد تلك الوساوس والتصورات القاتمة، لتشرق من بينها بسمتها واستقبالها المنقطع النظير لزائرتها، حتى كانها بين اهلها ومحبيها. والعجيب انها تتفقد تلك الزائرة تفقد الام وليدها، فان كانت تصطحب طفلا او رضيعا، وبدا على الطفل او الرضيع انه جائع او متضور قامت بالاستفسار عن سبب بكائه، ثم تبادر الى المجيئ بما يحتاجه من طعام، او ماء فاتر لتهيئة الحليب المجفف ان كان طعامه ذلك، الامر الذي يجعل الزائرة دهشة مبهورة امام شخصية متواضعة تقوم حتى بمثل هذه الاعمال لزائراتها.

❊ ❊ ❊

وكان من سجاياها التي حببتها الى نفوس اللواتي التقينها، واستمعن اليها، وأنسن بها ـ لغتها العذبة في الحوار، ومنطقها الادبي الشائق، وكلماتها المعسولة، والفاظها المهذبة، واستخدامها لغة العصر، واساليب الثقافة المستحدثة التى تثير الاعجاب بها لدى مستمعاتها. وكانت مجاراتها غير المسرفة للزمان في المظهر والكلام من العوامل التي جعلتها لدى من يلتقينها قدوة الدين المنفتح على الحياة، المجافي للتزمت والانغلاق والتحجر.

كانت هي تذكر أحياناً لاهل خاصتها من اعوانها ان دافعها للباسها الانيق هو العناوين الثانوية للخدمة والجذب للاسلام، ولولا ذلك لما كان لها الا ما يرينها عليه معهن من البساطة المتناهية، كأنها تريد ان توحي للمتأنقات المسرفات حتى من نساء العلماء وبناتهم بهدف الاناقة، والتباهي بها، ومنافسة الاخريات ـ ان هذا الهدف المجرد من المعاني الخيرة السامية هو ضرر على الاسلام والحوزة، لانه اسراف بلامبرر، وبذخ بلا مسوغ، وفيه فتح لابواب التهمة، وتذويب في مصاهر الدنيا لنفوس يجب ان تحالف الزهد والاعراض عن المظاهر الدنيوية الا ما الزمت به او حببته الشريعة، وكان فيه غبطتها

ومصلحتها.

* * *

كانت بنت الهدى اديبة، مبدعة، راقية الوجدان، جياشة العاطفة، شاعرة في ذروة الاحساس، ناثرة تجيد سبك المضمون، ومن هنا كانت تدرك بقلبها المرهف المستلهم النافذ سبل العبور الى الاعماق من خلال التعابير التي تجسد المكنون، والكلمات البليغة التي ترسم صورة النفس الحنون، والالوان الادبية الزاهية التي تلون الحوار الذي يمثل مرآة الظهورالذي تختزن وراءه بنت الهدى لجليساتها كل الحب، والحرص، ورجاء الخير في اعلى درجاته. وكانت لهفة الجذب الى صفاء الله والى رحابه تجيش في انحائها المستصفاة، وتسيطر على كل رغباتها وتوجهاتها المستخلصة، وتجعلها على نهج جدها الرسول الدوّار بطبه، الذي لا يستنكف ان يقصد كل ذي علة منكود، ويسعى في شفاء كل سقيم مهما كان داؤه، ويكون اسعد ايامه ذلك اليوم الذي يرى فيه انه قد رفع الى رحاب الله انساناً جديداً، ولا مغنم له من ذلك الا رضاه سبحانه، وهو منتهى مأموله ومشتهاه....

* * *

ان من اروع ما جذب النفوس الى بنت الهدى، وجعلها فيها ذلك الملاك المقدس المعشوق الذي تطوف حوله المشاعر والاحاسيس بكل ضراعتها ولهفتها وشوقها ـ هو أنها كانت عالمة عاملة، واعظة متعظة، آمرة مؤتمرة، ناهية منتهية، تدعو الى الاسلام وهي مثال التجسيم له، وتهدي الى الصلاح والى الصراط المستقيم وهي محض صلاح واستقامة، فلم تكن يوماً ممن يعنيهم التعنيف الالهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وكيف لا وهي لم تكن قط الا عملاً باهرا سبق بلاغها بالمقال، وفعلاً

زاهرا قبل الدعوة الى الفعال، والتزاماً يدعو بخير السنة الدعاية الى الهدى، واعتصاماً يحض على الخير فاق الوصف في كل مدى؟.

من هنا كان لسانها الهادي نافذاً الى القلوب نفاذ العطر الى المشام، وكان قولها مؤثراً في النفوس تأثير ارقى المشاعر في أرق الافئدة، وكأنّ لكلامها سلطان جاذبة الارض. وقد جعل لها الله سبحانه بشفاعة حبها له، ويوسيلة تعلقها به – حبا جما في الصدور، وتعلقا فريداً من الارواح، وصدق حيث قال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

* * *

كان لديها القدرة الكافية على احتمال مرّ الصبر في المداراة، ومقاساة طبائع الناس، واعطاء كل موقف وكل شخص حقه من لون التعامل والكلام واسلوب الحوار.

ومن المعلوم ان قاصداتها ومن تقصدهن صنوف شتى:

فيهن الغليظة الجافية، والرقيقة المنسابة.

وفيهن الفطنة الحاذقة، والبليدة الجامدة.

وفيهن الحمقاء العابدة، والمتدينة الواعية.

وفيهن الشيخة الكبيرة والصبية اليافعة.

وفيهن المتعنتة المتزمتة، والمنفتحة المتفهمة الرشيدة.

وفيهن ابنه المرجع.

وابنة البقال.

وابنة التاجر.

وفيهن الامية الجاهلة، والمثقفة من اعلى المستويات.

وفيهن المشبوهة المدفوعة.

والمتطفلة

وفيهن المتباهية المتأنقة التي تجسد معرضاً متنقلاً للازياء والزينة، ولا تعرف حتى في مجلس بنت الهدى غير الحديث عن آخر الموضات.

وفيهن المعدمة التي حرمت من كل مظاهر الدنيا واوصافها.

كانت بنت الهدى تلتقي وتمارس دورها الرسالي مع كل تلك الاصناف المختلفة، فما ظنك بما يحتاج اليه هذا الامر الكبير من المصابرة، والاناة، الكياسة، والمداراة، ومرارة المعاناة في تحمل الهفوة، والكبوة، وغباوة السؤال، وسوء المقال، ولجاجة الحوار، وسذاجة الفهم، واميّة الاستفهام، وغش الدخيلة، وخبث الطويّة، وتفاهة المطالب، وسخافة الطرح، وخرق روحية المجلس بالامور الباهتة، والرغبة من اغلب الحاضرات الاّ تؤثّر بنت الهدى واحدة منهن على سواها بعينها ووجهها، فوجهها الى الجميع، وعينها اليهن على السواء؟.

وما ظنك بما تتطلب تلك النفوس المتباينة والتوجهات المختلفة من: الحيطة، والفطنة، والحذر، والحكمة، ودقة التدبير، ووقار التصرف، ورزانة الموقف، وطيب الانسجام، وسعة الصدر، وحسن الاختيار لاسلوب التعامل، وروح التفهم، ومندوحة الاستيعاب، ووضع كل حركة وقول حيث ينبغي، وبذل الجهد المضني في ارضاء الحاضرات جميعا قدر الامكان، والخروج بالسلامة حتى من الاساءة غير المقصودة الى واحدة منهن على استحقاقها؟.

النفس اللوامة

لقد اعز الله ذلك الكيان الذي حباه بلطفه وكرمه في تلك المرأة المثالية بجوهرة هي من اثمن جواهر الوجود المعنوية، الا هي (النفس اللوامة) التي تقف امام صاحبها رقيباً، وحسيباً، وشاهداً، وحاكماً في محكمة الوجدان التي

يقيمها الضمير الحي في ساحة العدل والجزاء في القيامة الصغرى التي تقام في اعماق كل انسان يمتلك صحوة التأنيب، حيث توضع الموازين القسط من قبل الواعظ الخفي امام الروح النادمة لترى قيمتها فيما احسنت او اساءت، فان خفّتْ موازينها بادرتها بالسعي الصدوق النادم على ما فرط منه، يريد التدارك والاصلاح ما دام في الحياة متسع للتائبين كي يتداركوا ويصلحوا.

لقد كانت نفس بنت الهدى لوامة في ذروة اليقظة، والحساسية، واللوم، واللوعة، من مصدر الندم الذي اكثره ما خالف الاولى، وجانف شأن المقربين، وهو شأنها الذي عرفت به، فاذا شط بها المسير يوماً لعارض لئيم عن ديدنها الرفيع انكرت على نفسها اشد الانكار، ووسمتها بميسم العار، كأنه النار تتلظى في احشائها، الى ان تعود الى سجيتها عودة الظافرين.

وتبلغ الشفافية والصفاء في عالم النفس التقية اللائمة لدى بنت الهدى حداً عجيباً حين تحاسب نفسها امام القريبات منها، وقد نسيت وهي في فورة الندم أنها في محضر صواحبها، ويكون الدرس النافع أنها تعظهن من خلال موعظتها نفسها امامهن، وتعودهن على ديدن الحساب والرقابة والمتابعة الدقيقة لخطى المسير التي تكون فيها الزلات والعثرات.

حين تخلو الى نفسها تقوم قيامة ضميرها، وتقف هي فيها امام الاشهاد من اقوالها وافعالها التي توضع في كفتي العدل الصارم، ويأتي كتابها المحصي الدقيق فتنظر فيه، وليس فيه الا المحاسن التي تمحض وجودها لها، وباعت دنياها بها، فتستقل بعضها وتهونه، وتحتقر الاخر وتدينه، وتأسف على شيء منها انه لم يكن ماهو افضل منه، وتعتبر شيئاً آخر فيها ذميماً لانه يسير امام شانها في الخير والمرجو منها فيه، وهكذا هي في نكوصها في معركة الملام حتى ترفع راية الاستسلام امام سطوة الضمير، لتعلن بتصميم قاطع أنها لن تعود الى ما انكره عليها وجدانها مما لا يليق بشأنها.

دخلت عليها زائرة محبة حيث كانت هي في أزمة نفسية خانقة عند فاجعة اليمة ألمت بعَلَم من أعلام العلم والجهاد (اختفاء اثر السيد موسى الصدر في ليبيا)، واخطأت تلك الزائرة تقدير الموقف، وتوجهت لتحاور بنت الهدى حوارها المسترسل كما في الايام المعتادة، وكان صارف الهم المقدس اقوى من ان يسمح لبنت الهدى ان تكون على حالها كل يوم، فأحست المحاورة بالضيق والالم، وانصرفت عن المجلس... وما هي الادقائق مرت على بنت الهدى حتى ثارت ثورة النَدَم في النفس النقية، وكانت عارمة قاسية اجبرتها على الاعتراف لا في اعماقها فحسب، بل امام الحاضرات، فقالت:

(لعلي لم أحسن حوارها، ولعلها انزعجت فخرجت غير مرتاحة بسبب موقفي، لا بد ان اجبر خاطرها حتى تطيب نفسها مني.)

كانت حركاتها في اطار العمل كلها تحت المجهر الدقيق لتلك النفس، النافذ النظر، في مختبر التحليل والتجزئة المعد لها من خلوصها ونقائها على طريق خطاها، لتفحص اعمالها فحص الشفيق، ويحول رايه فيها الى طبيب رشدها وشأنها ومقامها في كمال العمل والمسارعة فيه، ليصف لها الدواء الشافي، تأخذه من مذخر النفس الصافية جرعات من المواقف المطهرة، والاستعدادات الوقائية، في حرص شديد على العافية من عوارض السوء لمثلها وهي كسيئات المقربين التي يراها الابرار حسناتهم وخير فعالهم، فلكلٍ مقامه في الخير، ودرجته في طلب الرضوان، ومسؤولية كلٍ امام الله والوجدان على درجة علمه.

وكل ما عانته بنت الهدى من عنائها في تهذيب النفس وتكميلها، وما لاقته من المرارات فيذلك هو من صنع تلك النفس اللوامة التي اقسم الله بحرمتها وشرفها في كتابه المجيد لانها (قيامة صغرى) الى يوم القيامة الكبرى. ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ ـ ٢].

فكانت هذه النفس لدى تلك المرأة السامية نبي الباطن الماثل برشده لها يهديها مواطن الكمال، ويجنبها مواضع العيوب، وهي بين يديه مصيخة السمع باذن واعية، مرهفة الشعور للفهم والاستلهام، متحفزة القلب للعشق والانفعال، متوثبة الاحساس للامر والنهي، متوفزة الخطى بداعي الرقيب بين الاقدام والاحجام، زمام فؤادها في قبضة الرسول الباطن المكين، كزمام خطاها المنقاد طوع الهدى لخاتم النبيين، وخطام روحها الوالهة في يد الضمير اليقظان، كخطام سيرها المشدود بمشيئة الرحمن.

وما اصدق من زينها ولعله اخوها بوسام اللقب الرفيع (بنت الهدى)!، فهي حقاً بنته التي تحدرت من صلبه، وهي سليلته، وشنجة من معانيه الزاهية، وعبقة من انفاسه الفياحة، عاشت فيه، واحترقت في عشقه، وخلدها الهيام الصادق في رموز العاشقين واقداء العارفين.

غيبة اليأس وحضور الأمل

كانت بنت الهدى تحمل في قلبها أملاً منفتحا مع خطاها على الطريق الى الهدف المقدس، ولم يكن يعرو هذا الامل العنيد طائف من يأس، او عارض من قنوط لتقعد بهما عن الصيال، او تحيد عن النزال.... كانت في ساحة الوغى، وعرامة الشرور، ودعارة الفجور، وعاديات الالحاد، ورعود الظالمين، اصلد من الصخر، وارسخ في عمق الثبات من رواسي الجبال، فقد وثقت بالله حين وعدها النصر باحدى الحسنيين.. الفتح او الشهادة. واخراهما خير من اولاهما. ووعدها أنها اذا تكثفت عليها المحن، واشتدت الخطوب، وكاد اليأس يأخذ مكان الرجاء، فتح الله باب الظفر لتدخل منه الى عالم الكرامة بنياشين الخلود.

كانت رضوان الله عليها ترى ان حقيقة المطلوب منها هو اداء التكليف

الذي تمثل في نشر الوعي الرسالي، وبيان كلمة الله، وتثقيف الجيل على مفاهيم الاسلام، وايجاد طليعة واعية رشيدة تتصدى لدور التبليغ فيالساحة لتستقطب الامة الى صف الشريعة، وتوصد في وجهها ابواب الضلالة والشقاء.

وكانت ترى ان هذا الواجب العظيم الذي تركه آباؤها واسلافها العظام اثقل امانة في عنقها لاسيما وسط المرأة الذي لم يُستهدف وسط غيره مثلما استهدف هو من قبل اعداء الله وخصوم الدين الحنيف ـ لا بد ان يكابد الذين يحملونه وظيفة مقدسة اشد المصائب وافدح البلاء، كما رأى الذين حملوا واحتملوا من قبل فخلدتهم مواقفهم الباهرة اسوة للعاملين، ومن هذا الطريق (اداء التكليف) يكون النصر محرزاً وهو في الاساس الخروج من عهدة المسؤولية، ونيل رضا الله بذلك، ولا نصر اروع منه، فان امكنت الظروف من بلوغ غاية المطلوب في السير على ذلك الدرب (اقامة العدل الالهي) و(بناء دولة الاسلام) فذلك هومنتهى مأرب المجاهدين في الحياة، وان حالت بينهم وبين المرتجى قواهر الظروف، وحبسوا دون مهامهم الرسالية، وحيل بينهم وبين اقدس مايبتغون، فهم منتصرون لقيامهم بالمهمة الملقاة على عواتقهم، فائزون برضا من ائتمنهم عليها فصدقوا في حمل الامانة.

في مثل اجواء العراق التي حكمتها جاهلية القرن بافظع اشكال قسوتها وضلالتها والحادها، كان قدر بنت الهدى ان تكون المتصدية الرسالية التي تحمل لواء العمل المقدس في اخطر مجال وهو (عالم المرأة)، لتدك حصون العمى، وتقلع اوتاد الانحراف، وتشرع الابواب والنوافد على النور الذي حجبته اللياليالغادرة عن القلوب التي قتلها الظمأ.

وتواجه تلك المجاهدة الفذة شراسة الخصم التي ثبت للعالم كله أنها الوِتر وليس لها مثيل في دنيا القسوة، فلم تهن، ولم تضعف، ولم تتراجع،

وبقي املها بالله طوداً لا يهتز، وظل رجاؤها النصر باحدى الحسنيين على حاله في الرسوخ المكين يفوق الوصف، ويستثير العجب.... كانت تردد:

اسلامنا انت الحبيب

وكل صعب فيك سهلُ

ولاجل دعوتك الحبيبة

علقم الايام يحلو

ان ذلك الامل الراسخ والثقة القاطعة بالنصر هما نبعة الايمان الفذ المقتدر، وسلالة التوكل على مالك كل شيء، وجبار السموات والارض، وهما صنعة اليقين بأحقية المبدأ والموقف والطريق. وحسن عاقبة العاملين الصابرين، ونهي الله عن اليأس من روحة على كل حال، يعضد هذه كلها الواقع المهيب لتوجه الامة الى المنهل العذب الذي فجر عيونه رائد الصحوة الاسلامية، ودل الناس عليه باعلى الوان الدلالة:

بالبرهان الساطع، والبيان الجذاب، والفكرة الرصينة، والاستدلال النير، والروح العصرية، ولغة الزمان، والقدرة الفائقة على الكشف عن كنوز الايمان الحق في معارفه، ومعانيه، ومفاهيمه، واحكامه.

من القلب إلى القلب

تحلت شهيدة الاسلام الخالدة بخصلة فريدة تحلى بها اخوها الصدر، والعظام المقدسون من امثاله، والهداة الابرار الذين اخلصوا دينهم لله، ونزهوا مسيرهم على خطه طلباً لرضاه، وتلك هي سجية الحديث من القلب، ذلك القلب الذي ملأه العشق الالهي، والذوبان في ذات الله سبحانه، والتمحض في البحث عن مرضاته انى كانت، وحيث يكون هذا النابض المقدس له وحده

يكون كل همه وهو يخالط عباد الله ان يحوزهم لله، وان يجتالهم عماسواه، في رغبة طاغية تتجسم شخصاً حسياً يمسك بقدرة عارمة زمام من يتحدث اليهم عن لسان الحق ليقودهم الى ساحل الامان في الظلال الوارفة.

واذا كانت الجمادات محكومة للجاذبية فيما بينها، فمن باب الاولى ان تكون الارواح الشاعرة ذات الاسرار الالهية التي نفخ الله فيها من مشيئته ـ قادرة على ان تصنع العجائب في الشد اليها بطاقة صفائها، وما كتب الله لها من تحبيب الاخرين اياها، وغرْس الود لها في النفوس راغبة او راغمة.

لقد كانت بنت الهدى وهي تتحدث الى جليساتها او المتعلمات على يدها كأنها قلب يتحدث بكلام يوحيه الاحساس المشرق، وتفوح به المشاعر المتضوعة، فلا يملك السامع الا ان يقدم قلبه هدية للقلب الشفيف الذي يتحدث معه بلسان الود والصفاء،، وللمعاني الرفيعة التي يفيض بها من معين الصدق والاخاء، فتنساب الى الارواح انسياب اللطف الخفي القادر على التاثير والتغيير.

لقد كان لها مع حديثها العذب الرفراف اسارير تتهلل، وبسمات تسحر، وانمياث في المفاهيم التي تطرحها، فتشعر السامعة ان محدثتها صادقة الدعوة، معتقدة بما تقول، منسجمة مع ما تبلّغه غاية الانسجام، فليس ثمة دعاوى الكذابين، ولا اقاويل المخاتلين، ولا سفسطات الوضّاعين، بل هي روح مؤمنة، معتقدة، ذائبة في خطها، تفرغ في كلامها عن لسان الحق، وتجسد فيه صدى الوحي، فلا عجب اذن ان تخشع لها القلوب، وتنحني الرقاب، وتنقاد النفوس بسطوة التسليم.

اكثر اللواتي التقينها حتى اولئك البعيدات جداً عن المعاني الايمانية والمعارف الالهية شهدن بعد اللقاء بها انهن سحرن بكلامها، وانجذبن اليها بعاطفة لم يعرفن من اين اتت، فحين طلعت عليهن بنت الهدى بقلبها

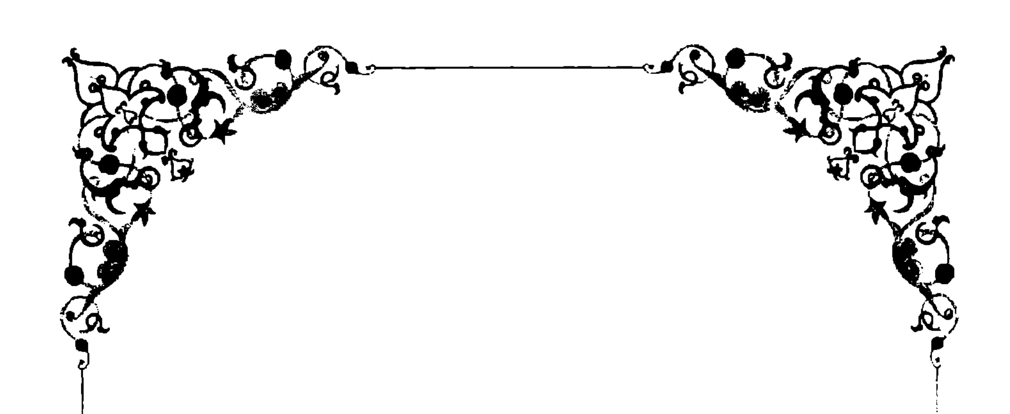
فكلمتهن ودعتهن الى الهدى دعوة سافرة اومن وراء حجاب، وقد كن في نظر الآخرين أبعد شيء عن قبول الرشاد، ملن الى خطها تواً او بعد حين، وصار بعضهن من الرساليات، وقتل بعضهن في سبيل الله شهيدات خالدات، سبقن المرشدة الى ذلك، اوظفرن به بعدها، ولم يكن يخطر في بال احد انهن سيهتدين، ويصبحن من قرابين الهدى.

وان كل بنات الايمان اللواتي عاصرنها وعاشرنها وهن اليوم بين ظهرانينا شاهدات بالحق لتلك الحقيقة (قدرة الجذب) التي منحها الله بنت الهدى، حين منحته قلبها، فسواه بيد اللطف على عين الاختيار والاصطفاء.

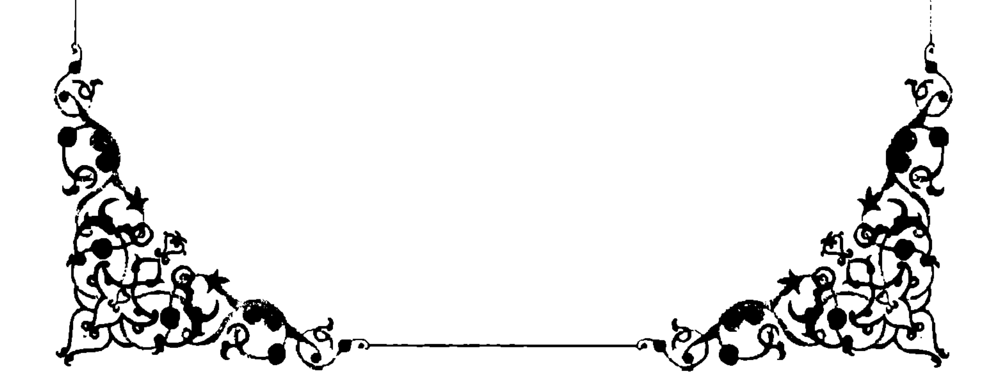
وهناك شواهد ايضاً للجذب الفرد الغالب فيسيرة تلك العلوية، منها تلك القضية التي حدثت عند خروجها (رضوان الله عليها) الى صحن امير المؤمنين بعد اعتقال اخيها في رجب، داعية الى ثورة الغضب والاعتراض على مافعله الظالمون برائد الامة، وزعيم الصحوة، ومنارة الطريق.... ومشت جاذبية دعوتها في النفوس مشيها الاخّاذ، فانقادت لصيحتها، وملأت شوارع النجف وازقته تلك النفوس التي جاشت فيها مراجل الغيظ من نداء بنت الهدى، وعلت صيحة الاستنكار، وامتدت في الافاق، لتكون الدرس البليغ الذي ارادت تلك اللبوة المقدسة ان تفهمه زمرة البعث، لتفرج عن أخيها المظلوم وهذا ما حدث.

ونظير هذه المفردة من مفردات الجذب العام ما حصل على يدها (طاب ثراها) حين وقفت في جمع الظالمين الذين جاؤوا لاعتقال اخيها فيالمورد المشار اليه آنفا، فاذلتهم، وارغمت انوفهم فيالتراب، وسفهت احلامهم، ووضعتهم واسيادهم وفكرهم تحت قدميها بغاية الاستخفاف والازدراء، وهم صامتون قد بهتوا من الحيرة، بل مجذوبون مبهورون، لو أتيح لهم ان يكسروا قيود هواهم، وكبول السنتهم لمالوا اليها خاضعين، وعبّروا لها

بالسنة الثناء عما فعله خطابها فيهم من فعله العجاب... ويشهد لهذا الامر ان اولئك المردة العتاة الذين سخرهم الطاغوت لاعتقال النور وهم مخولون ان يفعلوا كل شيء لتحقيق المطلوب، وان يزيلوا كل مانع امامهم الى الهدف المنشود، وبيدهم سلاح البطش وصلاحية الاستخدام ـ نكسوا رؤوسهم ضارعين، ولم ينبس احد منهم ببنت شفة، ولم يحر جوابا، وكان الجو محكوماً للصمت المهيب الذي تصول فيه بنت الهدى ببلاغتها وقوارعها تعبث بقلوبهم وارواحهم.... لقد كان ذلك حديث قلبها الذي اخترق حتى السدود التي اقيمت بين قلوب اولئك الاعلاج وبين الاصغاء لدعوة الحق، ومن الذي يستطيع ان يمنع قدرة التأثير لذلك القلب الكبير الذي أعاد في ذلك المشهد من صنعه لوحة فنية باهرة للخلود، صنعتها يد المجد الزينبي في الكوفة، وهي تخطب فيمن أصاخوا لها بمنتهى الهيبة كأن على رؤوسهم السيف.



واحة الشعر



رثائية الشفق الحزين

من أوْج احساسي والجوى
ثنائي والسلام في مصهر الاشواق
يا مسرح الالهام في احلى ضِرام
في افق الهيام ❊ ❊ ❊
يا ذروة الاشراق فكر العقيدة
في مغنى الشذى بان فيك شموخه
يا عبقة العرفان فذّا عنتْ زمَرُ الغواية والونى
يا سحر الغرام لجلاله
يا لجة الاسرار باءت لعمري بالصَغار...
يا همس الندى وشمّرت اذيالها
يا نشوة الاسحار للنكسة الكبرى
في اشهى مُدام وخزي الانهزام
يا مجمع اللذات وبك الفقاهة والاصول
في طيب الوصال وحوزة النهج الرفيع
وانس سامرة الهوى الولهان تفاخرت بفتوحها العظمى
يندى بأخيلة المدى وقد رشت على الآفاق
يسمو ألوية المحامد تزدهي
بأجنحة الملائكة الكرام بالسحر بالاعجاز
ما زلت معمود الصبابة بالفتح الهمام

* * *

موسوعة الافكار انت
تحيرت فيك الحلوم
واسلست بالحب والاعجاب
ناصية النُهى
تشدو لهلة رائد الفكر
المكلل بالبهاء
وبالسمو
وطلعة البدر التمام
يا فيلسوف الحق
يا عمق الرسالة
يا مجدد شرعة القرآن
بالفهم الاصيل
وثورة الابداع
في قهر البراعة
زانها البرهان في زهو الشموخ
كأنه حد المواضي المرهفات
تفجر الاهوال
في سُدُف الظلام

* * *

يا مبدعاً ثورية مشبوبة
في نهج سبط المصطفى
خير الانام

يا باذلا في الله أزكى مهجة
وحليف همٍّ
فاق محذور الحِمام
يا رهن اطواق الظلامة والاذى
في مِذْوب التهمام
في الخطب المُدام
شَبْو بقلبك كي تريح قلوبنا
أَرَقٌ بعينك
كي يطيب لنا المنام
حسدتك أوغام اطار حلومَهم
مجدٌ تألق زاهراً
وهمٌ رَغام
حاشوك بغياً
للمهاوي والردى
ما ذادهم عن ذاك إلٌّ
او ذِمام
والكفر ذفّفَ
حيث انت رميّةٌ
نشبت نصول الغيظ فيها
والسهام

* * *

سارت وراءك تحتذي
زمر الميامين التي

عشقتك عشق المستهام
جَبَهَتْ طغاة الرافدين
مرامها كإمامها
حزُّ الظُبا او لا تُضام
واعارت الرحمن ارواحاً
ابت الا رضاك
بوقفة الشُمّ العظام
قد أبصرت
فيك الدليل لركبها
في طيش معتكر الضلالة
والظلام
تحنو عليها
مثلما الأمّ الرؤوم
بلا حدود...
لم يحالفك الكرى من اجلها
سامرتَ نجم السُهْد
تأبى ان تنام
عودّتَها طيب اللقاء وأنسه
وحديث روح نافذاً
سطع البهاء به
وفاح النشر
من روض الوئام
في هيج موج العاديات من العمى

أُلْفتك فُلك نجاتها
والمُستعام
واسيتها لمّا استضيمت
وهي في اسر الطُوى
شاطرتها طعم العُجام
قد سُستها باللطف خير سياسة
اعددتها للفتح
للكرَب الجسام

***

لك اسوة في الغرّ لمّا دبّروا
شاموا سيوف العقل
في وجه الطَغام
حتى اذا آن القطاف
حسرتَ عن
قلب تشظى هادراً
فيه اضطرام
وفلقت بحر الهول في
اعجاز همتك التي
حارت بها فِطن الأنام
وعبرت موج الخطب
في روح
يحصّنها اليقين
يثيرها وهج القيام

أبطلت مكر السامري
قبلك والفخام
وضلّةً موسومة
وورثت كَل ذُحولنا
بخُوار بهتانٍ عُرام
وتراتنا
قاسيت كيدَ الأفك
ولزمت فرض الثأر
عجْلا فاتناً
اسمى الالتزام
وشربتها كأساً دِهاقاً
ورأيت شأن الصوْل
من سِمام
في أثباجها
وحملت أثقال المسير
أعلى سجايا من يراعون
ولم تكن تعنو لروْعٍ
الذِمام
شيمة القَرْم الهمام
ما هِبْت من فزعٍ

* * *

ولم تدع الحمى
يا خائض الغمرات
لتذب من نأي
في لهواتها
وفي رشق الكلا م
وسواك كالبادي
وبقيت حِلْس الكرب
ويهدي الاتهام
صخريّ القوى
بث المنون اليك
لا مثل من
في تخذيله
في سكرة النُعمى استنام
سماك ضِلّيلا
كابدت في عنف البراكين التي
وكايد في الخصام
هدرتْ برغْد الاصطلام

* * *

* * *

يا وِتْرُ
لمّا صوى ضِرْع الامان
أوليت العراق بديعة
وصوّحتْ ارجاؤه
عيّتْ بها النُجَداء
وتجهمتْ ارض صوَام

وجفا بنوها حضنَها
على المحن الصُرام
المخشوشنَ المشحونَ بالبلوى
* * *
وبالمحن العُقام
يا من تضرّم للهدى
ظل التقي لجرأة وفريضة
لما دعاه لنصره
يلوي عنان الخوف
ارخى له اسمى زمام
يصبر في الضِرام
في لج عاصفة...قصيفٍ هادر
ما كان كالرِعديد
وزعيق اعصار
منتفخاً له سَحْر
ونار واخترام
يفر به الى دعة السلام
فنبا بهفهاف الظلال
حاشاه
ولم يكن يهفو اليه
ما سلك الطريق الى الهناء
واشترى الموت الزؤام
ليعاف امته
واهتاج ركب المرملين
مع العيش الجَهام
لفيضه
فشعاره كفؤاده الطوديّ ـ لا ـ
ينجي الربوع المُمْحلات
للنأي عن شعب
من الأُوام
أبى حكم القِزام
* * *
محياي محياه
يا من مضى في الدرب
وهيهات الجفاء
رغم شروره
صابُ الفراق
لم يختش التهويل
امرّ من طعم الحِمام
لا فرْط الملام
في السلم صاحبه
نور البصيرة
وقائد ركبه
في فؤادك زاهر
وانا القرين له
يهديك في الخطوات

هدي الاعتصام
فكنت مسبحا بالحمد
ذو حسبة مشهودة
تشكر لطف من يحيي الرِمام
مستمسك بالعروة الوثقى
بهداك في التيه
ملاذك والدعام
استنار سُراتنا
في دمعة المظلوم
بالرشد يحدو ركبهم
قلبك يلتظي
نحو الأمام
ويثور موّاراً
تسنو سحائبه
به حَرَد انتقام
جناباً مجدباً
انطقت افواها غدت مكعومة
يهتز يربو
وازلت عن من كمّموا
نبته روض الخَزام
سوء الكمام
ويفيض من أندائه
وقشعت بالإصباح
نبع جرى
عن جيل تعطش للهدى
سلساله شبماً
حظر الغواة
ليروي كل ظام
بفرية الشبهات
كسر العُناة كبولهم
بالتضليل
وتوسموا
بالختل الوبيء
فيك المحرر من أسار
بجحفل الديجور
واهتضام
بالاسوار
وبك استضاء المدْلجون
بالافق الملبد بالرماد
وامّلوا
وبالقَتام
في صبحك الوهاج

* * *

حتفاً للظلام
جاؤوك افواجا

* * *

يا أسوة الابدال — من حلال أو حرام

عشت ترفّعاً — جافيتها نُكْر الجفاء

عن زخرف الدنيا — وسِمْتها خسفاً

وعن سخف المقام — وباءت

الخير مأمول لديك مناله — منك بالزهد الذي

والشر زاوٍ — فيه اجتويت الشَيْن

والندى كالغيث هام — مفتوناً

اعرضت كالعَطْلاء — بتسفيه الحطام

عن دنيا الورى — ابصرتها

تُزري بمن ولهوا اليها — كإمام من بَصُروا بها

باقتحام — هي عظم خنزير

بل فيك من جَنَف — في يد قد غالها

الى اضدادها — داء الجُذام

ما يبهر الالباب — * * *

ذكرى للانام — أولاك لقمان الحكيم

عيناك عنها مثل عيني حيدر — نباهة

مصروفتان — وحباك أيوب

عُراك عنها في انفصام — التصبر في الجسام

لم تألها كرّ الزمان كشاحةً — واسيت يعقوب الحزين

لم تلف عندك — بشجوه

غير بغض واتهام — تبيضّ منه العين

لمّا غفا المفتون في أحضانها — بالدمع السِجام

وأتى اليها — أصفاك مخِتدك المصلل

يا اصيل
شمائلاً
بانت على صدر العلا
اسمى وسام
وورثت من طه الامين دماً به
حُمْر الكريّات الطهور
هي الجهاد
وبِيضها شيمُ الكرام
ونهلت من نبع الوصي
شهامة
قد زينَتْها
حكمة الفذ الهمام

* * *

واخذت من سبط الرسول
المجتبى صبراً
تحدّ به سِنان الاعترام
ومن الحسين
افدت روح شرارة
فجّرتها
في هيكل العرش الحرام
ونجيعَ مهجة ثائر
تمحو به
ظمأ الهواجر

والشقاوةَ والسَقام
ومن البتول الطهْر
جمرَ ظلامة كبرى
وقلباً واجداً
فيه اضطرام

* * *

وحباك سجّاد العباد خشوعه
وسجوده ودعاءه
دأب النَهام
والباقر الميمون
اورثك العلوم
فكنت باقرها الذي
بذّ الانام
ومن ابنه فيض السحائب
بالمعارف
سيد الاقطاب
حزت كرامة الابداع
في نهج التآخي والوئام
ومن ابن جعفر
ذي المطامير، الملوّع
قد ورثت قيوده
والسجن والترويع
والهول المُدام

* * *

ومن الرضا

أُسْنيتَ إكراه الظروف

أردت فيه الخير

للدين المضام

ومن الجواد حُبيت جوداً وارفاً

وفيوض علم

في الصبا

كالبحر طام

ومن ابنه الهادي غنمت حصاره

وسنيّ جمر

كل يوم مثل عام

ومن النجيب العسكري

مراجلاً تغلي

بغيظ واضطهاد

واهتضام

* * *

يا لهف نفسي

كيف تُخترم المنى؟

ويحول دون النبع

مشؤوم الفطام؟

فرحلتَ مثل ملاك قدْسٍ

عارج في غمرة السُبُحاتِ

في ابهى تراتيل السلام

وأفلتَ مثل أفول شمس

غيّبتْ في افْقها المحبور

سحر الابتسام

تلقي على شعب أحبك

نظرة عُلْوية

فيها تباريح الهيام

* * *

يا راحلا عنا الى عليائه

من غُرّة الامجاد

من صبح المحامد

من شذا الاكبار

من وجْد الشِهام

فيم الرحيل

وهذه أرواحنا

موصولة بخطاك

في هذا الزحام؟

فيم الرحيل

وكل آمال العراق

تعلقت بلواك

يا نعم الامام؟

فيم الرحيل

ونحن في لُجّ الخضم

من الدليل لنا
الى شاطي السلام؟

* * *

يا راحلا
والركب في نصف المدى
ما ضرّ لو بلغ المسار
بك التمام؟
ما ضرّ لو كحّلتَ عين سُراتنا
والمدلجين
بنور صبحك ظافرا
يرنو من الاشراق
في الافق المهيب
بكل زهو الابتسام؟
ما ضرّ لو اتممتَ نهج الفتح
في نفح اليراع
يمور بالفِكر الحسان
السابحات
مع النجوم الشامخات
يطوف حول جلالهن المجد
بالاعظام يشدو
في نديّ الفخر ميّاساً:
اذا قالت حَذام؟

* * *

أأبا المفاخر
لم يغيّبك العدى
كالشمس خلف السحب انت
تنير حالكة الظلام
هيهات لم تذهب سدى
تلك الهموم الزاكيات
ولم تزل كالسحر تجري
في عروق الصادقين تقودهم
باللطف في درب المرام
ما زال عزمك في الجحافل مبعثاً
ويعبّ منه الافْق
إيقاظ الذرى
ورؤاك ما زالت
منارات الرجال الصيد
تحدوهم على نهج المآثر
تستحث الخطو
تهتف بالجموع
تصيح هيا للأمام

* * *

يا وِتْرنا الموتور
ثأرك ماثلٌ
في العين عند لسانها
وبه شغاف القلب صلى فرضه

ناجى بمحراب القداسة ربه
بالعهد.. بالتصميم
بالطُهْر المضام

* * *

أرأيتَ يا شجْو الظلامة
عارهم؟
أرأيتَ يا مهوى الكرامة
هُلْكهم وبوارهم؟
وهتاف أهل الحق يخرق سمعهم
بالحب والاجلال
للصدر الامام؟
أرأيتَ قهر الله
مرّغ في التراب انوفهم
ليذيقهم بالمذهلات
شنارهم؟
ارأيت كيف هوت
رؤوسهمُ التي ضاقت بها
تلك الحجور الخائبات
فابرزتها كي نرى
وجه المسرة:
ذلّهم وصَغارَهم؟
ادريتَ
كيف غدت مخازيهم
حديث الارض
سخرية الانام؟
أدريتَ كيف بدا مآل امورهم؟
أدريتَ عقبى غيّهم وشرورهم؟
ارأيت نعل الشعب
تعبث في جبين غرورهم؟
ارأيت فرط الخزي
كيف مشى بهم نحو الفظاعة
في جحيم قبورهم؟
ارأيت كيف أطل مجدك
من علٍ
ليقول: ان دم الابيّ الصدر
مخزاة الجناة
به اذل الله شُذّاذ البرية
والطَغام
فعليك يا نبض الفؤاد
تحية قد نُزّهتْ عن شِفْعها
وعليك من ركب الهدى
المشتول في حزن المدى
ازكى سلام

* * *

سُقياً لقبرك
ضم عَرْف فضائل

وحواك عزاً لا يُضام
والفذوذ الغُرّ اهل البيت

ولا يُرام
في أسمى مقام

وازدان عبّاقا
فعليك من رب السماء

بجرح شامخ
سلامه الفينان

راحت تقدس لثمه الهيمان
يغمره الرضا

أفواج الملائك
ما غنّت الاطيار

حذو افواج الكرام
أو سَجَع الحَمام

قد فزت بالمنشود:
وعليك منه صلاته النشوى

وصْلاً ساحراً
بروح حنانه

في غمرة السُبُحات
موسومة بوُصوبها

في أشهى المنى
في هلة الإشراق

بجوار أحمدَ
او جُنْح الظلام

❊ ❊ ❊

أُنبيك بنتَ الهدى

أم تُقى

يـا آمـنَ الـصدر يـا اشـجى مراثينـا
يـا دمعـة الحـزن لـم تبـرح مآقينـا

يا كوكب المجـد قـد زانـت بمحتـدها
وجـه الخلـود بخيـر الرسْـل منجينـا

يـا ثـورة الآه فـي اعماقنـا انفجـرت
ولـم تـزل حممـاً منهـا ليالينـا

يـا بـسمة الـصبح فـي آفاقنـا انبلجـت
بنورهـا الفـذ فـي الظلمـاء يهـدينا

يـا قبـسة الحـق والايمـان سـاطعة
يا روضـة الانـس فـي الاحـزان تؤوينا

يـا قـدوة الركـب تهديـه بحكمتهـا
وتنثـر الـنفس وردا فـي فيافينـا

ان غاب وجهك عنا لم تزل شُعَلاً
هذي الوصايا وهذا الصوت يدعونا

الى المعالي وركب العز ما بقيت
هذي القلوب بنبض الرشد تحيينا

يا نسمة اللطف هبت من خمائلها
عرائس الخير تزهو في روابينا

يا صنعة الدين في النسوان معجزة
بدورك الفذ قد اخزى الممارينا

كم ذاب فكرك زيتا في مشاعلنا
وشعشع الوعي هديا في دياجينا

وما ضعفت وكيد الشر مستعر
وما وهنت وسوط الظلم يعلونا

انّي وقلبك موصول ببارئه
في روضة القرب درسَ الصبر يعطينا

عليك منى وممن فيك قد ولهت
تحية الروح يا ابهى امانينا

يا قصة العشق يا اغرودة ذبحت
في منحر الصدق تشدو ذكر بارينا

يا صيحة تلو صوت الصدر صاعقة
تحدت الظلم سامته البراكينا

يا من بأنسك قد ضحيت مؤثرة
رضا الاله ونصرَ الدين تبغينا

يا من رعيت ذمار الحق صائنة
وعشت للنبل احييت الموازينا

سموك بنت الهدى والصدق حالفهم
ما اعذب الاسم يا نور الهدى فينا

يا آية الرفض للحوراء قد تليت
كأمسها اليوم مضمونا وتكوينا

يا عصمة الذيل في ايدى الخنا أُسِرتْ
يسومها الشمر والاوغاد توهينا

يا زينب الطف قد عادت كهيئتها
تزيد هالة وجه الفخر تزيينا

يا من حكت ام عيسى في تحصّنها
كأنها النذر يحكي اخت هارونا

تركت دنيا المرايا غير عابئة
فانت في جنة المحراب تزهينا

عفافك الفرد تهنا في معالمه
وصبرك الفذ عند الوصف يعيينا

أنبيك بنت الهدى قد ساء حاضرنا
يا لهف نفسي على ايام ماضينا

كنا جميعا وكان القلب متحدا
فى منهج الصدرتخشانا اعادينا

الـــروح واحـــدة والـــسعي مـــشترك والـــصدق يغمرنـــا والحـــب يؤوينـــا
اذا اشـتكى الـداء منـا واحـد سـهرت لـــه العيـــون كـــأن الـــداء يؤذينـــا
وان دهى الخطب من اصحابنا احـدا ومـن رأيتنـــا كلنـــا والخطـــب يـــشجينا
عجيـــب صـــروف الـــدهر محنتـــه قـــد داهمتنـــا وفيهـــا الله يبلونـــا
يـرى الـصدوق مـن المكـذوب باطنـه وطالـب الطـين ممـن يفتـدي الـدينا
يمتـاز فيهـا ذوو الاخـلاص فـي فـتن هـــي الغرابيـــل مـــن شـــوب تـــصفّينا
الـــدرب يـــا رب معـــروف بـــشوكته ومنـــذ بـــدر بهـــذا الفخـــر تحبونـــا

فيـــه العقابيـــل لا يجتازهـــا بطـــلا الا صـــليب فـــؤاد عـــاش مأمونـــا
وانصف الناس مـن نفـس ومـن رحـم وجاهـد الـنفس لـم يقـف الـشياطينا
وقـــاوم الظلـــم لـــم يبخـــل براحتـــه ولا بدرهمـــــه قـــــد نابـــــذ الهونـــــا
لـــم يمـــلأ الـــبطن مـــشغولا ببطنتـــه وحولـه الجـوع قـد هـد المـساكينا
لـم يلـف فـى نفـسه فـضلا يميّـزه عمـــن ســـواه وان حـــاز العناوينـــا
الا عنـــاء التـــصدي وهـــو مكرمـــة لطالـــب الاجـــر اجـــراً لـــيس ممنونـــا
ولـــيس يقنـــع ان يُـــدعى اميـــرهمُ ولا يواســـيهمْ فـــي الفقـــر تـــسكينا
(اليك عني) هـي الـنهج القـويم لمـن يـــوْمّ ســـاحتنا بالزهـــد مقرونـــا



.. كان على منهج الصّادقين العظام في موكب القادة النازهين.. وكانت فيه (رض) أبهى معالم القيادة الرّبانيّة، الجديرة بأن تستعيد بالمماثلة الفذة روعة ذلك الشموخ الفارد.. الذي صاغه النبيّون والربيّون عقوداً لا نظير لها، تزين جيد الحياة بحسنها وبهائها.. وكان ذلك المجدد البارع الذي أحيى تلك الفصول السّماوية التي قُدّت من كبد العلياء.. إنه الفهم الممتاز بالتفرد والأصالة، والعلم المتوحّد بالشمول والموسوعية، والوعي الخلّاق المتضوع بالتجديد، والسّلوك الفذ المنساب من نبع اليقين والاعتصام، والصّفاء الفكري والرّوحي الذي يعج بالبصيرة والفداء...



E-mail: arefli @ hotmail.com
www.alaref.net



H.Moussa 03/335797